عِلْمُ اللُّغَة

عِلْمُ اللّغة

مقدّمة للقارئ العربي

تأليف

دكتور محمود السّعران

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ٧٤٩-١١

حقوق الطبع محفوظة

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ٧٤٩-١١

* الإدارة : بيروت ، شارع مدحت باشا ، بناية كريدية ، تلفون : ٣٠٣٨١٦/ ٣٠٩٨٣٠/ ٣١٢٢١٣
برقياً : دانهضة ، ص . ب ٧٤٩-١١
تلكس : NAHDA 40290 LE
29354 LE

* المكتبة : شارع البستاني ، بناية اسكندراني رقم ٣ ، غربي الجامعة العربية ، تلفون : ٣١٦٢٠٢

* المستودع : بئر حسن ، تلفون : ٨٣٣١٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

النظر في اللغة وطرق درسها جد قديم؛ وللعرب في ذلك آثار كبيرة معروفة علينا أن نتدبرها ونقومّها لإبراز دورهم في تاريخ الدراسات اللغوية، وللائتناس بما يصلح من الأصول اللغوية التي أسسوها أصولاً لعلم اللغة الحديث.

ولكن الدراسات اللغوية في أوروبا وأمريكا نشطت ونشاط الثقافة الغربية بعامة، فأصبحت ـ منذ حوالي نصف قرن ـ «علماً» مستقلاً، متفرداً متخصص الوسائل. ولقد نقلنا عن الغرب كثيراً من العلوم التي سبقنا إليها، وجاوزنا في كثير منها، طور الأخذ إلى طور التأليف الأصيل؛ ودراساتنا الأدبية والنقدية خير حظاً من الدراسات اللغوية فقد تعرفنا على كثير مما أحدثه الغربيون فيها، وانتفعنا به، وصدرت عن باحثينا دراسات أصيلة على هدى النظر الأدبي الحديث.

ولكن تعريفنا بالنشاط اللغوي العلمي في أحدث صوره لا يزال تعريفاً هيناً غامض القسمات، ينتظر الجهود الجادة المتلاحقة من الأفراد والهيئات.

وهذا الكتاب في «علم اللغة» محاولة أقدمها في هذا السبيل؛ وهو كتاب يحدد أسلوبَ عرضه للموضوعات، ومنهجَ تناوله للمسائل، أنه «مقدمة للقارىء العربي».

وقد آثرت أن أبدأ تعريف هذا العلم ـ بعد أن قدمت له منذ سنوات بكتابي «اللغة والمجتمع : رأي ومنهج» ـ بكتابٍ مؤلف لا مترجم ؛ فالكتاب الإنجليزي أو الفرنسي موجه إلى قارىء ذي ثقافة لغوية خاصة ، وتكوين عقلي مخالف ، فهو مثلاً يغضى النظر عما نحن في حاجة إلى إيضاحه ، ويفصل فيما نراه في مرحلتنا هذه تزّيداً .

والقارىء الأوروبي يجد في لغته عشرات وعشرات من المؤلفات والمصنفات منها المطول ومنها المختصر، ومنها ما وضع لعامة المثقفين ، وما وضع لخاصتهم ، فهو من هذا العلم في حال خير مرات ومرات من حال القارىء العربي منه .

ثم إن القارىء العربي تَعلق بذهنه تصورات ومذاهب لغوية لا تيسر له متابعة التصورات والمذاهب الحديثة في علم اللغة إن عرضت له موجزة مركزة ، أو مشاراً إليها إشارة عابرة ، كما يحدث في المؤّلف الأوروبي أو الأمريكي .

ولذلك مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيئاً ما تهيئه لذهن القارىء الشادي لتلقى أصول هذا العلم بأيسر سبيل ، وأدنى مجهود .

ولقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدقة والسلامة ، حتى يستقل القارىء المبتدىء بتحصيل ما فيه ومدارسته ، وينتقل منه آمناً إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربية ، أو مكتوبة بلغاتها .

وكان أول ما راعيته تحقيقاً لهذه الغاية إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه ، وانتقاء اللفظ العربي المقابل له بحيث لا يوقع في الخطأ أو الاختلاط؛ فنأيت عن اختيار المصطلح اللغوي العربي القديم ترجمة لبعض

المصطلح الإنجليزي ـ كما صنع جماعة ـ وآثرت، حيث لا أجد المقابل العربي الملائم، أن أستعمل المصطلح الأوروبي؛ وذلك كي لا يختلط التصور العربي القديم بالتصور الأوروبي الحديث، وكي ينفسح المجال ويسلم أمام الباحث العربي حين يؤرخ الدراسات اللغوية العربية ويقومها على أساس من الفهم الحديث، فيصطنع المصطلح العربي بمعناه إلى جوار المصطلح الجديد المنقول بمرماه جنباً إلى جنب دون إيقاع للقارىء في البلبلة، ودون إيهامه بغير المراد.

ولما كنت أتوجه بكتابي هذا إلى القارىء العربي فقد فصلت الحديث في موضوعات لا يفصل فيها الغربيون، وأوجزت حيث لا يوجزون؛ وأكثرت من الأمثلة والشواهد في مواضع، وأقللت منها في أخر. وكنت لا أدع مناسبة، في الأغلب الأعم، دون تطبيق ما أقرر على الكلام العربي بياناً لصلاحية اتخاذ الأسس والتصورات الجديدة عند دراسته، ولمدى ما تقدمه من نفع لا تنهض بمثله التصورات اللغوية العربية القديمة وحدها.

وأنا لم ألتزم في جملة ما عرضت مذهباً بعينه، في كل أصوله وفروعه، من مذاهب الدرس اللغوي المتعددة، بل ركنت إلى التعريف بالأصول العامة التي أرتضيها، والتي قل أن يختلف فيها أصحاب هذا العلم، مع بيان مصادرها ومذاهب أصحابها في معظم الأحوال، ومع الإشارة، في الوقت نفسه، إلى الآراء المخالفة الصادرة عن مذاهب أخرى، حتى يكون القارىء على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة، وعلى دراية بالفلسفة التي قامت عليها، وعلى علم بأهم المؤلفات فيها، فلا يضل الطريق في زحمتها عندما يتاح له الاتصال بشيء منها.

ويسرني، آخر هذه الكلمة، أن أسدي الشكر مخلصاً إلى صديقي وزميلي الدكتور محمد أبو الفرج، المدرس بكلية الآداب بجامعة

الإسكندرية ، لقاء ما هيأ لي من المراجع والأبحاث اللغوية الحديثة التي عاد بها بعد انتهاء دراسته في لندن ؛ فوصلني بدراسات هادية ميسرة موحية .

دكتور محمود السعران

تَمْهِيد

نَحْنُ وَعِلْمُ اللغَة

ـ ١ ـ
دراسة اللغة «علم»

أ ـ منذ أواخر القرن التاسع عشر أخذ مفهوم «اللغة» طبيعتها، ووظيفتها، ودراستها في التغير. وقد أحدث ذلك التغير جهود متلاحقة بذلها علماء الغرب لدراسة معظم لغات العالم وصفاً وتاريخاً ومقارنة، وللوصول من ذلك إلى نظرية أو نظريات عامة في «اللغة» تكشف عن حقيقتها نشأة وتطوراً، وتبرز «القوانين» أو الأصول العامة التي تشترك فيها لغات البشر، وتعين على تحديد وتدقيق مناهج الدراسة اللغوية ووسائلها.

وكانت تلك الجهود في الميدان اللغوي تستهدي وتناظر وتساير النهضة العلمية والفكرية العامة التي شهدها الغرب في ذلك الزمان.

ب ـ لقد نتج عن تلك الجهود المترادفة القوية ـ والتي لا تزال متتابعة قوية ـ أن أصبحت دراسة اللغة «علماً» من العلوم، له ما لأي علم مستقل موضوعه، ومنهاجه، ووسائله.

(١) وقد نحيّ «علم اللغة» من مجاله، إلى حين، البحث في مسائل لغوية، أو في جوانب منها، ذلك لأنها مسائل لا سبيل إلى درسها الدرس العلمي الصحيح، إما لضآلة مادتها ضآلة تردّ الكلام فيها ضرباً من ضروب الفرض والحدس والتخمين أو ضرباً من ضروب «الميتافيزيقا»، وإما لاستحالة درسها دراسة علمية لأسباب أخر. ومن هذه المسائل في رأي

أغلب علماء اللغة المعاصرين، البحث في «نشأة اللغة»:

(٢) كما أن «علم اللغة» قد وسع من مجال الدراسة اللغوية، بأن أخضع للبحث مسائل جديدة، وبأن فصل البحث في مسائل لم يكن يفصل فيها القدماء، كما أنه قد استبقى كثيراً من مشكلات الدراسة اللغوية القديمة.

ولكن «علم اللغة» في بحثه جميع ما يبحث يصدر عن مبدأ عام، أو عن مباديء عامة، ويقفو منهجاً فرداً، ويستهدي وسائل معينة، فدراساته مترابطة متكاملة يسودها روح العلم وأسلوبه.

(٣) هذه الدراسة الحديثة للغة «علم» وإن خالفت، كثيراً أو قليلاً، العلوم الطبيعية مثلاً. فمادة اللغة. لا تخضع لما تخضع له تلك العلوم من التجربة المعملية - وإن استعين في درس أصوات اللغة ببعض الآلات والأدوات و« القوانين اللغوية» ليس لها ما للقوانين في العلوم الطبيعية مثلاً من حتمية وجبرية.

١ - إن أغلب ما يطلق عليه اللغويون «قوانين» لغوية ليس في جوهره إلا خلاصات مركزة تصف ما كان أو ما هو كائن في جانب من الجوانب، ولا يتضمن مقدماً الحكم على نفس الظاهرة لو توفرت فيها نفس الشروط مستقبلاً. وهذا أصدق ما يكون على ما يعرف في الدراسات اللغوية «بالقوانين الصوتية».

(فإذا قيل إن «الصائت الطويل»[1] e في اللغة الهندية الأوروبية الأم يظهر ā في السنسكريتية، وē في اللاتينية، وī في الأيرلندية القديمة) (ويمثل ذلك كلمة rāj السنسكريتية بمعنى «ملِكَ» التي يقابلها في اللاتينية rēg-em ،

(١) Long vowel.

وفيالأيرلندية القديمة ، rī)[1] فليس معنى ذلك بأية حال من الأحوال ، أن كل ā في السنسكريتة يقابلها بالضرورة ē في اللاتينية وī في الأيرلندية القديمة . إن أصحاب الدراسة اللغوية لا يقصدون من وراء هذا «القانون» إلا رصد ظاهرة معينة وتسجيلها ليس غير ، فقد لاحظوا كثرة الأمثلة التي تتحقق فيها تلك «الظاهرة» (فوضعوها في «صيغة» من الصيغ) ، أو في «معادلة» من المعادلات ، (أو في «قانون» من القوانين ، دون أن يضمنوا «قانونهم» هذا «الحتمية» التي يتضمنها «القانون» في علم الكيمياء مثلاً) .

٢ ـ نعم إن بعض «القوانين» اللغوية يتصف بشيء من الصدق والعموم أكثر مما تتصف به «القوانين الصوتية» وذلك كأن يقال : «إن اللغة لا تنشأ إلا في مجتمع» و«إن اللغة لا تستعمل إلا في مجتمع» و«إن الكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد» و«إن لكل لغة من اللغات نظمها الصوتية والنحوية» و«إن مصير كل لغة كبيرة أن تنشعب إلى لهجات» .

إن أكثر هذا وأمثاله أشبه بالتعريف بالخصائص والسمات ، وبإبراز

---

(1) T. Hudson-Williams: A Short Introduction To The Study of Comparative Grammar (Indo-European). Cardiff: The university of Wales Press Board, 1935; P. 37.

وفيما بين صفحتين ٢٤ ، ٤٦ من هذا الكتاب عشرات الأمثلة على «القوانين» التي تصير عليها أصوات اللغة الهندو أوروبية الأصلية وعلى الصفحات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من هذا الكتاب نفسه تعريف «بالقوانين الصوتية» المشهورة : «قانون جريم» "Grimm's Law" و «قانون فرنر» "Verner's Law" و «قانون جراسمان» "Grassmann's Law"

وأنظر ما كتبه العالم الدنمركي الكبير الأستاذ أوتو يسبرسن Otto Jespersen تحت عنوان «القوانين الصوتية والقياس» Phonetic Laws and Analogy في كتابه :

Language: Its Nature, Development And Origin: London, George Allen and Uuwin Ltd., (First published 1922) Reprinted 1947, Pp. 93 — 96.

الأصول والمقومات منه «بالقوانين» كما يفهمها من يدرس الطبيعة والكيمياء مثلاً. فإذا قيل إن المعادن تتمدد بالحرارة صدق هذا على كل معدن في كل زمان ومكان. وقانون «الجاذبية» لم يكن صادقاً في زمن مكتشفه نيوتن، ولم يكن صادقاً في بلده وحده بل إنه لصادق على ما سلف زمنه من أزمان، وعلى زمنه، وعلى ما يلحق زمانه ما استمر عالمنا على ما نعهده، فهذا هو المفهوم من «القانون» بمعناه الحق.

٣ ـ إن توسع اللغويين وترخصهم في استعمال لفظ «قانون»، أو إنَّ اختلاف «القوانين اللغوية عن قوانين العلوم الطبيعية لا يحرم الدراسة اللغوية أن توصف بأنها دراسة «علمية». فدراسة اللغة لها موضوعها الخاص المستقل الجدير بالبحث وهو «اللغة»، وهذه الدراسة تقوم على مناهج «علمية» سليمة وهي تتخذ من الوسائل ما ييسر لها الوفاء بعملها على أدق وجه. وما تصل إليه دراسة اللغة على هذا النحو من حقائق وأصول عامة أو «قوانين» إنما هو مستمد من طبيعة الموضوع ومتلائم وإياها فإذا كانت طبيعة اللغة وحقيقتها تختلف عن طبيعة النبات وحقيقته مثلاً، فلا عجب أن تكون «القوانين» التي تؤدي إليها دراسة النبات دراسة علمية مغايرة من وجوه «للقوانين» التي تؤدي إليها دراسة اللغة، وما ينبغي أن تحملنا هذه المغايرة على أن نذهب إلى أن الدراسة اللغوية ليست «علماً».

إن ما بين دراسة اللغة وما بين العلوم الطبيعية وسواها من وجوه الاختلاف والافتراق لا يحول دون إضفاء صفة «العلم» على هذه الدراسة.

٤ ـ ولقد يختلف المحدثون من أصحاب الدراسة اللغوية الجديدة في مسائل عدة، ولقد يختلفون في مسائل جوهرية كتعريف «اللغة» نفسها، أو تعريف «الكلمة» أو «الجملة»، ولقد يفترقون في طريقةٍ أخذهم لدراسة اللغة في جوانب معينة، ولقد يتباينون في غير ذلك، ولكنهم يتفقون جميعاً في أن

دراساتهم الجديدة «علمية». إن ما بينهم من اختلاف وافتراق وتباين هو ما ينشأ بين أصحاب أي دراسة لا نتردد في إضفاء صفة العلم عليها.

(٤) هذه الدراسة الجديدة للغة وهي التي يصدق عليها لفظ «العلم» لما تبلغ غايتها، نعم قد يصدق هذا القول على أي علم من العلوم، فالمحاولات الدائبة المطردة المستبصرة في أي علم من العلوم تغير منه وتضيف إليه. فلقد يؤدي اختراع جديد، أو كشف طارىء، إلى فتح آفاق جديدة وإضافة حقائق لم تكن لتخطر في بال. ولكن المقصود من هذا القول إذ يطلق على الدراسة الحديثة للغة أن هذا العلم الجديد لما يتخذ شكله النهائي كما يريد له أصحابه، وكما تقضي طبيعة موضوعه، فلا يزال في أفقه كثير من المسائل الأساسية التي اقترح بعض علمائه بحثها، ورسم طرائق بحثها، ولكنها تنتظر زمناً وجهداً لتجليتها وللوصول فيها إلى كلمة العلم.

كما أن المراد بهذا القول أن السنوات القليلة القادمة ستغير طائفة من مسائل هذا العلم ووجوهه.

إن «علم اللغة» علم قد تكوّن، ولكنه لا يزال يتطور التطور اللازم لنضجه. وإن الجهود القريبة القادمة سترسي قواعد الكثير من أسسه ووسائله ونتائجه. وهذا يحتم على الباحثين في هذا الميدان الاتصال أولاً فأولاً بما يجدّ فيه. وما بنا من شك في أن هذا الاتصال واجب في كل ميدان دراسيّ ولكن وجوبه في حالة الدراسة اللغوية بخاصة، وبالنسبة إلينا نحن أصحاب العربية، أجدر وألزم.

(٥) هذه الدراسة الجديدة للغة لم تذع في مواطنها، في أوروبا وأمريكا وروسيا، الذيوع الذي تستأهله على وفرة التآليف والتصانيف فيها، وعلى كثرة المجلات العلمية المفردة لها، وعلى تعدد الجمعيات والحلقات والمؤتمرات التي تناقش مسائلها.

لا بل إن اسم ذلك العلم نفسه ليبدو غريباً على الأسماع والأفهام وإنه ليثير كثيراً من التصورات عن موضوعه أغلبها مجانب للصواب، مقارب للوهم. فـ La Linguistique (علم اللغة)، أو La Linguistique Générale (علم اللغة العام)، أو Le Science du Langage (علم اللغة) في ذهن جمهرة المثقفين الفرنسيين، و Linguistics أو General Linguistics أو Linguistic Science في سمع المتكلم بالانجليزية وفهمه و Sprachwissenschaft أو Linguistik في أذن الناطق بالألمانية وفكره، لا تزال غريبة جديدة.

دعك من مصطلحات أخر كأسماء فروع هذا العلم ووسائله وتصوراته من أمثال[1] Phonologie (Phonologie; Phonology الفونولوجيا) و Sémantique (Semantik; Semantics أو Bedeutungslehre علم الدلالة) و Morphologie (Morphology; Formenlehre / Wortbildungslehre المورفولوجيا أو علم الصيغ أو دلالة النسبة) و Phonéme (Laut, Phoneme أو Sprechlaut الفونيم)، Phonetique (Phonetik, Phonetics أو Lautlehre علم الأصوات اللغوية).

(٦) وإن النتائج التي أحرزتها هذه الدراسة الجديدة، لما تدخل برامج تدريس اللغات في التعليم العام، إنها لما تصبح «كلاسيكية» فلا تزال اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية مثلاً تدرس في معظم المدارس كما كانت تدرس قبلاً.

إن هذه الدراسة الجديدة للغة لا تزال وقفاً على المتخصصين فيها، وعلى القلة من مريديهم. فالمحدثون من علماء اللغة يشكون من أن غالبية

---

(١) نورد المصطلح بالفرنسية ثم نضع بين قوسين ما يقابله بالإنجليزية، ثم ما يقابله بالألمانية.

المشتغلين بالمسائل اللغوية، بله جمهور المثقفين، لا يزالون يجهلون أن ثمة نشاطاً «عملياً» جديداً يتخذ موضوعاً له «اللغة».

فمفهوم الدراسة اللغوية عند كثير ممن لم يتصل بالعلم الجديد عن قرب، أنها: (١)

١ ـ ذلك النشاط التقعيدي normative الذي يستهدف معرفة صحيح الكلام وجيده كتابة ونطقاً، ووضع «قواعد» تميز صحيح الكلام من خطئه وجيده من رديئه؛ «قواعد» متعلقة بهجاء اللغة و«نحوها» ومفرداتها و«بلاغتها» وما أشبه هذا؛ «قواعد» تعلم الناشئة صحة الكلام وجودته وتتخذ مقياساً للحكم على الصواب والخطأ، والجيد والرديء.

٢ ـ وأنها معرفة عدد كبير من اللغات، الحية أو القديمة، فضلاً عن التبحر في اللغة القومية، هذه المعرفة التي تسمى بالانجليزية Polyglottism (وبالفرنسيةPolyglottisme) والتي ينظر الناس إلى صاحبها بعين الإكبار والتقدير.

ولكن علم اللغة ليس موضوعه هذا أو ذاك، وما هو بهذين معاً.

١ ـ فعلم اللغة لا يدرس اللغة للكشف عن الكيفية التي «يجب» أن يكون عليها الكلام، وعن الكيفية التي «يحسن» بها الكلام، ولتعليم هاتين الكيفيتين.

ولكن ما من شك في أن علماء اللغة قادرون على أن يسدوا إلى المشتغلين بتدريس اللغات توجيهات وإرشادات تيسر عليهم عملهم، وتصحح منه جوانب ووجوهاً. بل قد يكون هذا مما يفرضه الواجب الأدبي أو القومي على علماء اللغة. ولكنهم في صنيعهم هذا لا يكونون يؤدون

(١) أنظر الفصل الأول من كتاب: Jean Perrot: La Linguistique .

وظيفتهم الأصلية وهي درس «اللغة»، أي «وصفها في ذاتها ومن أجل ذاتها، إنهم في هذه الحال يقومون بوظيفة عارضة، إنهم يشاطرون بثمار دراستهم العلمية للغة خدمة لغرض أو أغراض غير الغرض الحق أو الأغراض الحقة من دراستهم.

٢ ـ ثم إن العالم اللغوي ليس من يتقن عدداً من اللغات (وهو يسمى بالإنجليزية Polyglott وبالفرنسية polyglotte أي «متعدد اللسان» فقد يجيد الإنسان لغات كثيرة ولا معرفة له بشيء عن «اللغة». إن معرفة الفلاح بأصناف من النبات لا تسلكه في زمرة علماء النبات. ووجود كثير من المعادن في أرضنا لا تقتضي بالضرورة أن نكون متقدمين في علوم الجيولجيا والطبيعة.

إن إجادة عدد كبير من اللغات ليست غاية علم اللغة، ولا هي غاية من غاياته. نعم، ما من شك في أن المعرفة العملية بطائفة كبيرة من اللغات ميزة من الميزات، وآلة صالحة، وهي واجبة في جوانب من الدرس اللغوي كالمقارنة بين عدد من اللغات، وكالدراسة التطورية للغة من اللغات. ولكن هذه المعرفة وسيلة من وسائل اللغويّ، وليس غاية من غاياته.

ومن اللغويين البارزين، من قدماء ومحدثين، من تقتصر معرفتهم على لغتهم الأصلية، أو من معرفتهم بما عداها من اللغات معرفة سطحية لا تتيح لهم أن يستخدموها استخداماً عملياً. وأقرب مثال على ذلك من القدماء «الهنود» واليونان والعرب» فالهنود قصروا أنفسهم على السنسكريتية واليونان على اليونانية، والعرب على العربية. ولقد كانت دراسة الهنود للغتهم السنسكريتية دراسة وصفية صادقة، ولقد كانت وحياً للمجددين من علماء الغرب، ولا تزال.

قد لا يتقن اللغوي غير لغته الأصلية (أي يكون من يسمى بالإنجليزية

أي «أحادي اللسان») uni-lingual. ولكنه يستطيع، إن نهج النهج الصحيح الواجب، أن يقدم دراسة لغوية قيمة؛ فثمة مجال واسع للبحث في اللغة القومية. ولكن ما من شك في أن الباحث الذي يعرض إلى لغة غير لغته، مضطر إلى أن يجيد تلك اللغة، كما أن على من يعرض لدراسة حضارة قوم غير قومه أن يجيد لغتهم. ومما يؤسف له أن كثيراً من الأنثروبولوجيين لا يتقنون لغات من يدرسونهم من الشعوب، دع عنك الدراية الواجبة بطبيعة اللغة وبطرائق الدرس اللغوي الحديث. ولكن الإحساس بضرورة إتقان اللغات في هذا المجال قد أخذ في الازدياد. قال آلف سمرفلت في مطلع مقاله «الاتجاهات الحديثة في علم اللغة» الذي نشره في مجلة «ديوجين»[١]:

«إن أهمية اللغة لفهم الثقافة[٢] حق الفهم أمر أخذ يحس به من يعرضون لدراسة الحضارات؛ وذلك لأن أي نظام لغوي تعبير عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها، وإن لم يكن هذا التعبير كاملاً. ومن ثم فلا يستطيع أن يفهم حضارة[٣] ما حق الفهم من يجهل وسيلتها اللغوية في التعبير».

جـ - إن ضآلة ذيوع علم اللغة في مواطنه قد حدت ببعض العلماء إلى محاولة تبسيطه وتقريبه من أذهان جمهرة المثقفين، فظهرت مؤلفات من هذا القبيل أكثرها بالإنجليزية والفرنسية. ولا يزال أصحاب هذه الدراسة يدعون

---

(١) Alf Sommerfelt; Recent Trends in General Linguistics; "Diogenes", Number 1, English Edition PP. 64 —70). A quarterly publication of The International Council for Philosophy and Humanistic Studies, Unesco.

(٢) Culture

(٣) Civilisation

إلى مواصلة هذا الاتجاه وتنميته، وإلى توجيه الأنظار بخاصة إلى ما قد ينفع به هذا العلم مناهج تعليم اللغات. والمأمول أن تنتفع هذه المناهج في المستقبل القريب بما أدركه هذا العلم من نتائج بعد قرن من النشاط العلمي الجم الخصيب.

ـ ٢ ـ
علم اللغة في الشرق العربي

هذه هي الحال في البلاد التي جاهدت في سبيل إنشاء هذه الدراسة وتنميتها، والتي أنفقت في ذلك جهداً أي جهد، فما الحال في بلادنا الناطقة بالعربية؟

أ ـ إن هذه الدراسة في البلاد الناطقة بالعربية لا تزال غريبة على جمهور المتخصصين في المسائل اللغوية، المنقطعين لها، المنصرفين إليها. فهم قد يفهمون من دراسة اللغة، دراسة النحو، والصرف أو الاشتقاق ومعرفة الشوارد النادرة، وحوشيّ الكلام، وتمييز الفصيح من غير الفصيح ومعرفة معاني الكلمات، وتمييز الدخيل من الأصيل، أو الاشتغال بتأليف المعجمات أو غير ذلك مما لا تدعو حاجة إلى استقصائه.

١ ـ وليس شيء من هذا ولا هذا كله، يكوّن ما تعارف المحدثون في أوروبا وأمريكا وروسيا على تسميته «علم اللغة». إن «علم اللغة» من حيث هو علم يرشدنا إلى مناهج سليمة لدرس أي ظاهرة لغوية، وهو يهدينا إلى مجموعة من المباديء والأصول متكاملة مترابطة عن اللغة وحقيقتها ينبغي أن تكون في ذهن الباحث اللغوي على الدوام أياً كان موضوع بحثه. إن «علم اللغة» هو وجهة النظر الجديدة، أو «الفلسفة» الجديدة، التي حلت محل وجهات النظر القديمة، و«الفلسفات» اللغوية السابقة. و«علم اللغة» قد تجنب

أخطاء جوهرية في «الفلسفات» اللغوية القديمة، وقد قدم مباديء لم يعد شكّ في أنها أكمل وأشمل وأصدق وأضبط، واعتمد على وسائل وآلات أدق مرات ومرات من وسائل الأقدمين وآلاتهم.

إن «علم اللغة» الحديث، بالنسبة إلى الفهم اللغوي القديم، كعلم الطبيعة أو الكيمياء أو الفلك أو الرياضيات بالقياس إلى نظائرها عند اليونان مثلاً. ولكن العجيب في الأمر أننا في درسنا وتدريسنا الطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات لا نجد غضاضة أو غرابة في أن ندرسها وندرّسها كما هي عليه في أحدث صورها. أما ما كان عند القدماء من ذلك فنحن نعرض له في تواريخ تلك العلوم، أو بغية الوصول إلى أفكار أو آراء أو فروض أو محاولات موحية خلاقة. فالعلم الجديد، وهو تطور «للعلم» القديم لا يقضي على القديم، إنه يؤرخ له، ولا يزال يستوحيه ويستهديه.

وهذا هو الشأن في «علم اللغة» الحديث إنه، وهو المنهاج الجديد في فهم اللغة ودراستها، يوصي بدراسة جهود الأقدمين والتنقيب فيها لتأريخها التأريخ الصحيح، ولاستحيائها واستهدائها.

٢ ـ أما جمهور المشتغلين بالدراسات اللغوية عندنا فأغلبهم يرفض النظر في هذا العلم الجديد، أولا يحاول تفهمه، أو يعجب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد من «البلاد الغربية» وخيرهم ظناً بهذه الدراسة الجديدة وبالقلة القائمة بها من أبناء العربية يعد علم اللغة أو بعض فروعه، كعلم الأصوات اللغوية، «ترفاً» علمياً لم يؤن الأوان بعد للانغماس فيه أو التطلع إليه!

وهكذا فجمهرة المصطلعين بالدراسات اللغوية عندنا لا تزال تدور حول محور قديم، قد تحسّن فيه أو تبسط منه، ولكنه ليس محور العصر، وهي بذلك تنكر أو تهمل ثمرات وجهوداً وفيرة دانية، إنها في دراستها اللغوية

أشبه بالجغرافي الذي ينشيء بحوثه على أساس أن الأرض مسطحة، أو بمشتغل بالمسائل الطبيعية لم تسمع أذناه بقانون الجاذبية، أو بالفلكي الذي لا تعدو معرفته معرفة عرب الجاهلية الأولى.

٣ ـ إن فهمنا، نحن المتكلمين بالعربية، وجمهرة دارسيها منا، لطبيعة اللغة ووظيفتها وطرائق دراستها فهم جد متخلف، ومعظم إنتاجنا في الميادين اللغوية قاصر ومقصر، وإنا لنعالج أحياناً مشكلات لغوية خطيرة على جهل بما يراه العلم اللغوي الحديث من البسائط والأوليات. ومن ذلك أن علماءنا يتحدثون عن «تيسير النحو» وعن «تيسير العربية وترقيتها»، وعن «إصلاح الكتابة العربية»، وعن «العامية والفصحى»، وعن «التعريب» و«النحت» و«الاشتقاق» ويقضون في كل هذا، ولو كانت لأغلبهم معرفة بنتائج علم اللغة وبشيء من الدراسات اللغوية الحديثة، لكان لهم في هذه الموضوعات العملية التطبيقية أقضية أخرى أسلم أصلاً، وأوضح سبيلاً.

ب ـ ١ ـ نعم لقد سبقت محاولات قليلة مشكورة في مطلع نهضتنا الحديثة، واستمرت، ولا تزال تخطو على وهن، ترمي إلى وصل دارسي العربية بالدراسة اللغوية الحديثة[1].

---

(١) من ذلك كتاب «الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية» الذي أصدره المرحوم الأستاذ جرجي زيدان في بيروت سنة ١٨٨٦. وقد حاول فيه أن يعرض شيئاً مما كان متداولاً بين علماء الغرب في زمنه عن طبيعة اللغة ووظيفتها وطرق درسها. وأن يستفيد بذلك كله في دراسة اللغة العربية مستعيناً بما كتبه عنها المستشرقون.

وقد عرف الأستاذ جرجي زيدان موضوع كتابه (في مقدمة الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة التي ظهرت سنة ١٩٠٤) بقوله:

«وموضوع هذا الكتاب البحث التحليلي في كيف نشأت اللغة العربية وتكونت. باعتبار أنها اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام» (ص ١٦ من الطبعة الجديدة مراجعة وتعليق مراد كامل) والنتيجة التي وصل إليها من هذا البحث هي:

(أن لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول قليلة آحادية المقطع معظمها مأخوذة عن محاكاة الأصوات =

. . . .

= الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزياً). (ص ١٧ من الطبعة الجديدة مراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل).

وقد حدد الأستاذ جرجي زيدان التعديلات والإضافات التي أدخلها على الطبعة الثانية من (الفلسفة اللغوية) بقوله: (وقد أدخلنا في هذه الطبعة تحسينات ذات بال خطرت لنا بعد ظهور الطبعة الأولى. وأضفنا إليها فصولاً كاملة في أصل الكتابة والطريقة الطبيعية لاختراعها، وأصل الخطوط المعروفة الآن في أقطار العالم المتمدن، وفصلاً في كيف تعلم الإنسان العد، وكيف توصل إلى اختراع الأرقام، وأصل الأرقام الهندية، وكيف تنوقلت في العالم).

ثم طبع الكتاب طبعة ثالثة دون تغيير سنة ١٩٢٣.

وقد أعيد منذ سنوات طبع هذا الكتاب (طبعة جديدة راجعها وعلق عليها) الأستاذ الدكتور مراد كامل أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة.

(ولا إشارة في الكتاب لسنة الطبع)

وكتب جرجي زيدان بعد الطبعة الثانية من (الفلسفة اللغوية) كتاباً في (تاريخ اللغة العربية). وكان قد أومأ إلى عزمه على إصدار ذلك الكتاب في مقدمة الطبعة الثانية من (الفلسفة اللغوية) وقال في هذه المقدمة: (وسنشفع هذا الكتاب بكتاب آخر في تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء العام، نقصر الكلام فيه على ما لحق اللغة من التنوع والتفرع والنمو والارتقاء في ألفاظها وتراكيبها بعد أن تم تكونها وصارت ذات قواعد وروابط. ينطوي تحت ذلك النظر في ما دخل هذه اللغة من الألفاظ الأعجمية والتراكيب الغريبة على اختلاف العصور من الجاهلي فالإسلامي إلى هذا اليوم، ونأتي بأمثلة مما دخلها أو تولد فيها من الألفاظ الإدارية والعلمية والفلسفية والطبية والدينية واللغوية على اختلاف أدوارها.» (ص ١٧، ١٨ من الطبعة الجديدة مراجعة الدكتور مراد كامل).

وقد استفاد الأستاذ جرجي زيدان كما استفاد في كتابة (الفلسفة اللغوية) ببعض النظريات اللغوية التي كانت سائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، وبجهود المستشرقين في دراسة اللغة العربية واللغات السامية.

والأستاذ جرجي زيدان سباق بهذين الكتابين كما كان سباقاً بكتاباته في تاريخ الأدب العربي وتاريخ الإسلام. وقد خطا علم اللغة خطوات كبيرة منذ تأليف جرجي زيدان كتابيه.

أما العالم اللغوي العراقي الأب انستاس الكرملي، فقد استعان ببعض النظريات اللغوية التي كانت (جديدة) شيئاً ما في وقته، في محاولته النهوض بدراسة العربية ولهجاتها، وبالنظر في (اللغة) عامة. وهذا واضح في كتبه وفي مجلة (لغة العرب) التي كان يصدرها.

(٢) ولقد أسس في مصر سنة . . . مجمع للغة العربية جعل من أغراضه :

أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة لحاجات الحياة في هذا العصر . . . »[١] ، و «أن يستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التي لم تعرب غيرها من الألفاظ العربية . . . »[١] ، وأن يقوم «بوضع معجمات صغيرة لمصطلحات العلوم والفنون وغيرها تنشر تدريجاً ، وبوضع معجم واسع ، يجمع شوارد اللغة العربية وغريبها ، ويبين أطوار كلماتها ، كما ينشر تفاسير وقوائم لكلمات وأساليب فاسدة يجب تجنبها»[١] وأن يقوم ببحث علمي للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية[١] .

ولقد أنفق المجمع منذ أنشائه حتى الآن جهداً كبيراً في تحقيق الغرض الثاني من هذه الأغراض ، وقد ركب في هذا متن الشطط والغلو والإفراط في بعض الأحيان . كما شغل بموضوع الخط العربي ووسائل إصلاحه ، وقطع شوطاً في أعداد المعاجم التي أشار إليها . . . (الوسيط و . . .) .

رسم المجمع لنفسه هذه الأغراض السابقة ، وهي كلها ، فيما عدا دراسة اللهجات ووضع المعاجم ، أغراض عملية . وكلا النوعين لا يتأتى الوفاء به على وجهه الصحيح دون الاستعانة بالحقائق والأصول العامة التي يقدمها «علم اللغة» . ولو كانت دراستنا للغة ، من حيث هي لغة حية ومتقدمة لكان للمجمع أن يجد الوسائل مهيأة لتحقيق معظم أغراضه العملية ، ولكن دراستنا للغة جامدة متخلفة ، فالوسائل التي يستعين بها المجمع في معظم الأحوال وسائل جامدة قاصرة ، إنها أدوات غير مغنية في عصرنا الغناء الكافي . ولذلك

---

(١) أنظر مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ج ١ ـ أكتوبر سنة ١٩٣٤ ص ٢٢ .

نرى أن مما يعين المجمع اللغوي على تحقيق أغراضه ، أن يعمل ، أو يعين ، أولاً على نشر ، «علم اللغة» بالعربية ، وعلى تبسيطه وتقريبه حتى تتضح السبل وتدق وتسلس أمام المفكرين في المحافظة على «سلامة العربية» ، وفي تحقيق سائر أغراض المجمع .

(٣) أما العناية بعلم اللغة وبالدراسات اللغوية الحديثة في الجامعات العربية فهي عناية ضئيلة .

ومن مظاهرها ما قام به بعض المستشرقين الذين قاموا بالتدريس في كلية الآداب بجامعة القاهرة . وقد نشأ عن ذلك خلط بين علم اللغة وبين ما يسمونه «فقه اللغة» مريدين به في الأغلب دراسة العلاقات التاريخية بين العربية وبين سائر اللغات السامية ، أو دراسة المفردات على أساس تاريخي أو ما قارب ذلك . وقد نمى هذا الاتجاه جيل من أساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعة القاهرة . وكان اتجاه آخر للتعريف بعلم اللغة وفروعه[١] ، وللقيام

---

(١) للاستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي ، أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة سابقاً ، فضل كبير في الوفاء بهذه الأغراض ، وكانت تاليفه في هذه الموضوعات ، ولا تزال مصادر سهلة التناول قربت إلى قراء العربية العصيَ من أمر علم اللغة وفروعه ودراساته .

أصدر الدكتور وافي كتابه (علم اللغة) سنة ١٩٤١ (المطبعة السلفية القاهرة) ، وظهرت طبعته الثانية مزيدة ومنقحة سنة ١٩٤٤ (نشر مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة الاعتماد بالقاهرة) ، وطبع للمرة الثالثة سنة ١٩٥٠ (نشر لجنة البيان العربي بالقاهرة) .

أما كتابه (فقه اللغة) فقد ظهر سنة ١٩٤١ وطبع للمرة الثانية سنة ١٩٤٤ (مطبعة الاعتماد) ، وللمرة الثالثة سنة ١٩٥٠ (نشر لجنة البيان العربي) ، ثمن أعادت لجنة البيان العربي نشره سنة ١٩٥٦ .

وفي سنة ١٩٤٦ أصدر الدكتور وافي كتابه (اللغة والمجتمع) وكان من سلسلة مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية التي يشرف على إصدارها الدكتور علي عبد الواحد وافي رئيس الجمعية ـ والدكتور عثمان أمين سكرتيرها العام (ملتزم الطبع والنشر دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة) .

وأعادت نفس الدار طبع الكتاب للمرة الثانية طبعة مزيدة ومنقحة سنة ١٩٥١ . =

بدراسات لغوية على أساس من الفهم الحديث للغة ومن المناهج الحديثة لدراستها.

= وكان هذا الكتاب، بطبيعة الحال، من جملة المراجع التي رجعنا إليها عند تأليف كتابنا (اللغة والمجتمع: رأي ومنهج) ويؤسفنا أن الإشارة إليه ضمن قائمة مصادر الكتاب قد سقطت، وغفلنا عن تدارك ذلك في (صواب الخطأ)، ونحن قد أحلنا القارىء عليه في هامش ص ٦٣ من كتابنا ذاك.

وفي سنة ١٩٤٧ أصدر الدكتور وافي كتابه (نشأة اللغة عند الإنسان والطفل) (دار الفكر العربي ـ الطبعة الأولى).

أما الدكتور محمد مندور فقد ترجم، وهو مدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية مقالاً للعالم اللغوي الفرنسي الكبير أنطوان مييه Antoine Meillet باسم منهج البحث في علم اللسان)، وقدم لمكتبة الكلية نسخاً منه مكتوبة على الآلة الكاتبة ثم نشر هذا المقال، مع مقال آخر كان ترجمة في نفس الوقت تقريباً لمؤرخ الأدب الفرنسي الكبير لانسون موضوعه (منهج البحث في الأدب)، بعنوان (منهج البحث في الأدب واللغة؛ دار العلم للملايين، بيروت).

وأما الأستاذ إبراهيم أنيس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة فقد أصدر بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة لندن في علم اللغة ـ سلسلة قيمة من التآليف.

كان أول ما أصدره هو (الأصوات اللغوية) نشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ولا إشارة في الكتاب إلى سنة طبعه. ولكنا نرجح أنه صدر سنة ١٩٤٧ وقد طالعناه في تلك السنة. وهو أول كتاب مؤلف بالعربية يعرض الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث.

ثم صدر للدكتور أنيس كتاب (اللهجات العربية) ولا إشارة في هذا الكتاب كذلك لسنة طبعه (نشر دار الفكر العربي ـ مطبعة الرسالة).

وقد طبعته لجنة البيان العربي طبعة ثانية سنة ١٩٥٢.

ثم أصدر الدكتور أنيس كتابه (موسيقى الشعر).

وفي سنة ١٩٥١ ظهر كتابه (من أسرار اللغة) (نشر مكتبة الأنجلو المصرية مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة).

ثم أصدر من بعد كتابه «دلالة الألفاظ» (ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨).

وقد ظهرت سنة ١٩٥٠ ترجمة كاملة لكتاب قيم هو «اللغة» من تأليف اللغوي الفرنسي الكبير ج. فندريس J. Vendryes: Le Langage (مطبعة لجنة البيان العربي ـ نشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة) اضطلع بها الأستاذ عبد الحميد الدواخلي والدكتور محمد القصاص=

- ٣ -

صعوبات في الطريق

إذا كان لغويو الغرْب يشكون ضآلة ذيوع علم اللغة وندرة الإفادة من نتائجه، فأجدر بشكوانا أن تكون الغربة عن هذا العلم برمته.

إن علينا أن نتعرف جهد قرن من الزمان، هذا فضلاً عن التعرف على الأصول القديمة التي أخذ منها هذا الجهد. وعلينا أن نكتب في هذا العلم بالعربية، فلن يكون لنا «علم لغة» ما اقتصر المتخصصون على دراسته في أصوله الأجنبية.

ولكن كتابة هذا العلم بالعربية، ومحاولة الإفادة منه في الميادين اللغوية العربية، محوجتان إلى فضل جهد، فإن تمثل ما كتب في هذا العلم بلغات الغرب ليس أمراً هينا.

= (وكان أولهما إذ ذاك أستاذاً مساعداً بكلية دار العلوم وثانيهما مدرساً بكلية الآداب بجامعة عين شمس).

وإن المتصلين بالمؤلفات اللغوية الأوروبية المتخصصة ليدركون ما يعانيه المترجم من مشقة عندما ينقل إلى العربية كتاباً كاملاً بتفصيلاته الصوتية، والنحوية، والدلالية..... الخ، وبأمثلته الوفيرة المتلاحقة من عشرات اللغات...

ثم كان جيل أحدث ممن أسلفنا الإشارة إليهم تخصص أكثرهم في علم اللغة أو في أحد فروعه، في لندن، وأكثر هؤلاء يقومون الآن بالتدريس في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة (مثل الدكتور تمام حسان، والدكتور عبد الرحمن أيوب، والدكتور كمال بشر) أو في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية (صاحب هذا الكتاب، والدكتور محمد أبو الفرج.

أ ـ ومن أول ما يجابه الباحث العربي في هذا السبيل من صعوبات؛ وضع مصطلح هذا العلم بالعربية[1].

إن هذا العلم يتضمن تصورات لم تقم في أذهان لغويي العرب، وقد لا يصلح للتعبير عنها مصطلحات عربية رسخت دلالاتها وتبلورت، وقد يكون من الخير تجنب استعمالها حتى لا يختلط معناها الأصيل بالمعنى الحديث الذي يراد بها أن تدل عليه.

سيضطر الباحث العربي إلى وضع بعض المصطلح الجديد، وقد يحتفظ أحياناً بالمصطلح الأجنبي حتى يحين الوقت ـ بعد الإكثار من التأليف ومدارسة أصول هذا العلم الجديد وفروعه ـ لظهور مصطلح عربي أصيل سائغ.

وإن الاطلاع على ما كتب بالعربية تعريفاً بهذا العلم، وهو جد قليل لشاهد بمدى الصعوبة التي يعانيها الكاتب والقارىء جميعاً في هذا المجال، فقد اختلف المؤلفون والمترجمون، وهذا طبيعي ومتوقع، في المصطلحات الدالة على معان واحدة[1]، حتى أن المطلع المبتدىء ليقع في البلبة والحيرة والإختلاط.

---

(١) من أمثلة ذلك الاختلاف في ترجمة المصطلحين الأساسيين Consonant (بالفرنسية: Consonne) و Vowel (بالفرنسية Voyelle). ترجمها دكتور إبراهيم أنيس في كتابه «الأصوات اللغوية» (ط. نهضة مصر بالفجالة ـ نشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة) بـ «الساكن» و «صوت اللين». وترجمهما في كتابه «من أسرار اللغة» (مطبعة لجنة صوت البيان العربي سنة ١٩٥١ ـ نشر مكتبة الأنجلو المصرية) بـ «حرف» و «حركة».
ومعروف أن «الحرف» في الاستعمال العربي القديم يصدق على الـ Consonant والـ Vowel كليهما، فكأن كلمة «حرف» هنا تستعمل استعمالاً اصطلاحياً جديداً؛ وعلى القارىء أن يكون على حذر ليميز بين استعمالها مراداً بها المعنى التقليدي، وبين استعمالها مراداً بها المعنى الجديد لا سيما في النصوص التي يناقش فيها

= الكاتب التصورات اللغوية العربية القديمة، فيقع في سياق واحد «الحرف» بمعناه عند سيبويه أو ابن يعيش مثلاً، ثم الحرف مقابلاً لـ Consonant و «الحرف» مرة ثالثة مقابلاً لـ Vowel . وقد يختلط الأمر على المبتدئين من القراء، أو قد يعانون من أمرهم رهقاً، وقد يتوهمون أحياناً أنهم أدركوا المراد من الكلام، وهم واقعون في الخطأ. ونحن نعرض هذا المثال من كلام الدكتور ابراهيم أنيس من كتابه «من أسرار اللغة» ص ١٧١ بياناً للصعوبة التي على القارىء أن يواجهها: -

«ويسيطر على نظام المقاطع في اللغة العربية، في رأينا أمران هامان:

١ - الحرف المشكل بما يسمى السكون يجب تحريكه بأي حركة حين يقع في وسط الكلام بعد حرف مد.

٢ - لا يصح أن يتوالى في وسط الكلام حرفان مشكلان بالسكون، أو بعبارة أخرى خاليان من الحركة.

وعلى هذا إذا تصادف أن اشتمل الكلام المتصل على حرف مد، وكان ما بعده حرفاً مشكلاً بالسكون وجب تحريك هذا الساكن، أو إذا تصادف أن توالى في وسط الكلام حرفان خاليان من الحركة وجب تحريك الأول منهما.

ولقد برهنت الدراسات الصوتية الحديثة على أن المقطع الصوتي في اللغة العربية يبدأ دائماً بحرف من الحروف أي Consonant ففي مقطع مثل: كَ، كِ، كُ نراه مكوناً من حرف تليه حركة...».

نلاحظ أن الكاتب، ليحدد أنه يقصد «بحرف» ما يقابل Consonant ، يقيده بقوله (المشكل بالسكون) ولو حذف (القيد) فجرى الكلام هكذا: «الحرف يجب تحريكه بأي حركة...» لزاد الغموض. هذا فضلاً عن أن «المشكل بالسكون» لا يعد فصلاً Consonant عن الـVowel فالسكون «يشكِّل» به حرف مثل التاء، أو الباء، أو الكاف: والسكون نفسه هو العلامة المميزة «للحركة الطويلة» أو «لحرف المد»، أي أنه العلامة للـLong Vowel فالألفات والواوات والياءات الممدودة تشكل في العروض العربي خاصة بالسكون!

وقد استعمل الكاتب قيداً آخر «للحرف» ليتضح في ذهن القارىء العربي أن المقصود بـ «حرف» هنا أن يقابل Consonant فوصفه بأنه الخالي من الحركة فقال: «لا يصح أن يتوالى في وسط الكلام حرفان مشكلان بالسكون، أو بعبارة أخرى حرفان خاليان من الحركة». هذا القيد يقرب تصور الـ Consonant إلى ذهن القارىء العربي ولكن حذفه، وحذف القيد السابق، والاكتفاء بكلمة «حرف» - فهذا هو المصطلح الذي يراد استعماله=

= استعمالاً جديداً ـ توقع في البلبلة . وإحساس المؤلف بهذا ، وبأن المفهوم الجديد لم يتضح بعد في ذهن القارىء هو الذي دعاه إلى أن يقول : . . . أن المقطع الصوتي في اللغة العربية يبدأ دائماً بحرف من الحروف أي Consonant » . هذا مظهر من مظاهر الصعوبات التي يواجهها الكاتب والقارىء جميعاً عند استعمال «حرف» هذا الاستعمال الاصطلاحي الجديد.

وإن المفهوم التقليدي لكلمة «حركة» قد يحول دون تصورها ، عندما تستعمل مقابلة لـ Vowel ، صوتاً أساسياً في الكلام مثل «الحرف المشكل بالسكون» فقد يظل عسيراً على القارىء أن يخلص ذهنه من أن «الحركة» «علامة» أو «عارض» تابع «للحرف» الذي هو «الجسم» أو «الجوهر» ، لا سيما عندما يطالع في نفس النص عبارة «يجب تحريكه . . . » .

ثم إن ورود عبارة «حرف مد» بعد «الحرف الـ . . . » والـ «حركة» قد يفهم بعض المبتدئين من القراء أن الأصوات الأساسية في اللغة ثلاثة أقسام هي : «الحرف» ، و «الحركة» و «حرف المد» ، مع أنها قسمان رئيسيان هما ما يقابل Consonant و Vowel .

أما الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه «علم اللغة» (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ، نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ؛ مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٤٤) .

فقد ترجم Consonnes بـ «الحروف الساكنة» ، أو «الساكنة» ، أو «الأصوات الساكنة» (ولو أنه لم يلتزم هذه الترجمة في ثنايا الكتاب ، فترجم هذا المصطلح في مواضع أخر بـ «الحروف غير المتحركة» وبـ «الأصوات» ليس غير ، مما سنشير إليه في الهامش التالي ، وترجم Voyelles (وأكثر استعمالاته لهذا المصطلح ولسابقه بصيغة الجمع) بـ «حروف المد» و«أصوات المد» و«أصوات مد» و «أصوات لينة» ، و«أصوات لين» «حروف اللين» و«الأصوات المدية» .

نرجىء الحديث عن مدى صلاحية «الساكنة» أو «غير المتحركة» ترجمة لـ Consonnes إلى ما يلي من تعليقنا على استعمال مترجمي كتاب «اللغة» لفنديس لنفس المصطلح بـ «سواكن» (جمع ساكن») ، ونجتزىء هنا بالإشارة إلى أن مؤلف «علم اللغة» كان يجد نفسه مضطراً في معظم الأحوال إلى تحديد مراده بـ «الحروف الساكنة» بأن يعقب ذلك بقوله بين قوسين (ونعني بها ما عدا أصوات المد) أو (ما يقابل أصوات اللين) وهكذا .

ومن أمثلة ذلك قوله في ص ١٢٨ : «تتألف أصول الكلمات في اللغات السامية في الغالب من ثلاثة أصوات ساكنة (أحرف ساكنة (٣)) مختلفة» . وعلق في هامش الصفحة نفسها على قوله «أحرف ساكنة» بقوله . «الحرف هو ما يرمز إلى الصوت في الكتابة . فاستعمال كلمة=

= أصوات في هذا المقام أدق من استعمال كلمة حروف، ونريد بالساكنة ما يقابل اللينة».
(ولكن المؤلف لم يلتزم هذا التمييز بين «حرف» و «صوت»).
وقوله في ص ١٣٠: «ومما تقدم يتضح أن للأصوات الساكنة (ونعني بها ما عدا أصوات المد)...».
وقوله في ص ٢١١: «١ ـ التفاعل بين الأصوات الساكنة (ونعني بها ما يقابل أصوات اللين».»
وعبارته في ص ٢١٣: «.... فيتحول إلى صوت ساكن (ونعني به ما يقابل أصوات اللين)».
وقوله في ص ٢١٤: «وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات سواء أكانت أصوات لين أم أصواتاً ساكنة (ونعني بالساكنة ما عدا أصوات اللين)».
ولكن المؤلف لا يلتزم إيراد هذا التفسير في جميع الحالات، ومن ذلك قوله في ص ١٣٠: «... بل تختلط فيها الأصوات الساكنة باللينة».

أما الأستاذان عبد الحميد الدواخلي، والدكتور محمد القصاص فقد ترجما Consonne و Voyelle بـ «ساكن» (ج. سواكن) و «حركة» (ج. حركات)، وذلك في عملهما الجليل الشاق المشكور، الذي خدما به الدراسات اللغوية العربية أيما خدمة، والذي لما ينتفع به دارسو اللغة عندنا حق الانتفاع، وهو ترجمة كتاب Le Langage «اللغة» للعالم الفرنسي الكبير J. Vendryes ج. فندريس (مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٠ القاهرة. نشر مكتبة الأنجلو المصرية).

وقد التزما هذه الترجمة فيما يبدو في ثنايا الكتاب كله. ومعنى هذا أنهما أعطيا «الساكن» مفهوماً جديداً غير مفهوم العربي؛ «فالساكن» في النحو العربي كما ذكرنا يطلق على مثل نون «من» ويطلق في الوقت نفسه على مثل ألف «ما» أي أن الساكن في النحو العربي يقابل Consonne أحياناً، ويقابل قسماً من الـ Voyelle (هو ما يسمى في النحو العربي «الحركة الطويلة أو «حرف المد واللين»).

وهذا الاستعمال يخلق نفس الصعوبات التي يخلقها «الحرف» بالمعنى الجديد، عند مناقشة التصورات العربية القديمة فنضطر إلى استعمال «الساكن» بهذا المعنى أو بذاك من معنييه التقليديين، وإلى استعماله بالمعنى الجديد في سياق واحد؛ وقد يقع في السياق كلمة «متحرك» و «حركة» و «المتحرك» بالمعنى التقليدي، هو بعبارة الأستاذين الدواخلي والقصاص «ساكن» وَلِيَتْهُ «حركة».

ومع أن كتاب فندريس لا تعرض فيه أمثال هذه النصوص العربية التي توقع في الإشكال؛ فبعض استعمالات هذين المصطلحين الجديدين في الكلام المتصل تبدو مرهقة للقارىء المبتدىء.

= ومن ذلك قول المترجمين الفاضلين (ص ٥١) :

«لقد افترضنا حتى هنا بقاء الشفتين والحنجرة في حالة سكون عند إصدار الساكن. لذلك لم نحصل إلا على سواكن صامتة يعني مجردة من الصوت "Voix" (Unvoiced و Stimmloss كما يقول الإنجليز والألمان).».

فكلمة «سكون» هنا ليس لها صلة بالمعنى الاصطلاحي الجديد لـ «الساكن» كما استعمل في هذا النص نفسه. فالمراد بالسكون هنا هو عدم تحرك الوترين الصوتيين بالحنجرة أي عدم تذبذبهما تذبذباً يحدث نغمة موسيقية. ومما يزيد من صعوبة هذا النص العربي ترجمة Voix بـ «الصوت»، و «الصوت» هي التي ترجم بها المترجمان كلمة Son. ومعروف أن Voix في هذا السياق لا تعني الصوت الإنساني، إنما هي مصطلح يعني تذبذب الوترين الصوتيين تذبذباً منغما، وخير ترجمة لها هي «الجهر» التي استعملها سيبويه في وصف الأصوات العربية، والتي استعملها المترجمان في سياق آخر (ص ٥٢ من الترجمة العربية).

ووصف كلمة «سواكن» بأنها «صامتة» (ترجمة لكلمة Sourdes) زاد من تعقيد النص العربي بالنسبة للقارىء المبتدىء. وكان خيراً أن توصف هذه السواكن بـ «مهموسة» (وهو الاصطلاح الذي استعمله سيبويه، والذي استعمله المترجمان في مواضع أخر (ص ٥٢ س ٤ مثلاً).

على أن في هذا النص الذي نناقشه خطأ آخر عارضاً، يوقف من له معرفة بالأصوات اللغوية وطرائق تكوينها، إذ يدرك أن «بقاء الشفتين والحنجرة في حالة سكون» لا يتفق مع النتيجة المقررة بعد كلمات وهي «لذلك لم نحصل إلا على سواكن صامتة».

ذلك أن من المعروف أن مما يدعوه المترجمان «سواكن صامتة» des Consonnes Sourdes ما يكون لوضع الشفتين أثر أساسي في تكوينه (مثل P). وقد راجعنا الترجمة على الأصل الفرنسي فوجدنا أن ما ترجمه الأستاذان عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص بـ «الشفتين والحنجرة» هو: Les lèvres de la glotte.

أي «شفتي فتحة الحنجرة» فالوتران الصوتيان بالحنجرة هما في الواقع أشبه بالشفتين.

خداع النظر هو الذي أدى بالمترجمين إلى قراءة الأصل كما لو كان مثلاً Les lèvres et la glotte

وهذا هو الأصل الفرنسي لذلك النص الذي أثار هذه المشكلات جميعاً:

"Nous avons suppose jusu'ici que, Pendant L'emission de la Consonne, Les levres de la glotte restaient immobiles.

Aussi n'avons-nous obtenu que des consonnes sourdes, C'est a dire depourvues de "VOIX" (unvoiced, Stimmlos comme disent les anglais et les allemands)." =

وقد اضطرب بعض المؤلفين والمترجمين فترجم المصطلح الأوروبي بلفظ معين مرة، ثم ترجم المصطلح نفسه مرة أخرى في نفس الكتاب بلفظ آخر[1].

ومنهم من ترجم مصطلحين مختلفين بلفظ واحد[2]. ومنهم من دل بمصطلح

= عن ص ٢٩ من طبعة سنة ١٩٥٠ من كتاب.

J. Vedryes; le Langage, Introduction Linguistique A L'Histoire.

(Editions Albin Michel; 22 Rue Huyghens, Paris (XIVE). Imprimerie Bussiere à Saint - Amand (Cher) France, 1/9/1950.

أما الدكتور محمد مندور فقد ترجم Consonne و Voyelle - في المقال القيم الذي كتبه العالم اللغوي الكبير أنطوان مييه Antoine Mieillet - بالصوت «الصامت» و «الصوت الصائت».

ونحن نؤثر هذه الترجمة على سواها وقد اتبعناها في كتابنا (اللغة والمجتمع: رأي ومنهج) وفي هذا الكتاب، لأنها بابتعادها عن المصطلحات العربية التقليدية توفر كثيراً مما أشرنا إليه من مشكلات ولبس وإبهام، وتيسر للباحث الحديث في الوقت نفسه، عندما يؤرخ التصورات اللغوية العربية القديمة، أن يقومها في ذاتها، وأن يقارن بينها وبين التصورات الجديدة في عبارة بينة دقيقة.

(١) ومن ذلك ما أشرنا إليه في الهامش السابق من ترجمة الأستاذ علي عبد الواحد وافي في كتابه «علم اللغة» للفظ consonnes بـ «الحروف الساكنة» (أو الأصوات الساكنة)، مرة وبـ «الحروف غير المتحركة» مرة أخرى، وبـ «الأصوات» ليس غير. قال في ص ١٨٠ - ١٨١: «... فالآرامية حوشية الأصوات، صعبة النطق، تلتقي في كلماتها المقاطع المتنافرة والحروف الساكنة. والعربية عذبة الأصوات، سهلة النطق، خفيفة الوقع على السمع، تقل في كلماتها الحروف غير المتحركة ولا يكاد يجتمع في مفرداتها ولا في تراكيبها مقاطع متنافرة، ولا يلتقي في ألفاظها ساكنان.» (هذا سياق واحد ترجمت فيه كلمة consonnes بأكثر من صورة!)

ومن ترجمة الأستاذ وافي لهذا المصطلح بـ«الأصوات» ليس غير قوله في ٢١٨: «والأصوات الصامتة consonnes sourdes. P. t. K. الواقعة بين صوتي لين قد تحولت في اللاتينية الحديثة حوالي القرن السادس إلى أصوات مدوية consonnes sonores قريبة منها...b. d. g) . etc)

(٢) من ذلك ما صنعه مترجما كتاب «اللغة» لفندريس من ترجمة Les morphémes أحياناً=

= بـ «الأصوات»؛ و«الأصوات» هي الترجمة المعهودة والتي اتبعاها في نقلles sons .

ومن أمثلة ترجمتها les morphénes بـ «الأصوات» قولهما في العنوان الفرعي للجزء الثاني من الكتاب وهو الخاص بالنحو، «الكلمات والأصوات» (ص ١٠٤) والمقابل الفرنسي لهذا هوMots et Morphémes وذلك في ص86 .

ومن أمثلة هذا كذلك قولهما في ص ١٥٥ : «بعد ذلك يجب أن نبعد الأصوات. فإن عدداً كبيراً من «أجزاء الكلم» في نحونا ليس شيئاً آخر».

و«الأصوات» هنا كلمة مضللة لأن المقصود بها في الأصل «المورفيمات» (أو «دوال النسبة» كما آثر المترجمان أن يترجما les morphemes في أكثر المواضع التي يعرض فيها هذا المصطلح) وهي تصور نحوي لا مقابل له في النحو العربي وقد يكون عنصراً صوتياً وقد يكون غير ذلك وهو ما وضحه فندريس نفسه في الجزء الخاص بالنحو (ص ١٠٤ - ١١٢) وما سنشير إليه في كلامنا عن النحو، والأصلي الفرنسي للجملة العربية التي استشهدنا بها هو قول فندريس (pp. 136 — 137) :

"Il faut ensuite mettre à part les morphèmes. Un bon nombre des "parties du discours" de notre grammaire ne sont pas autre chose".

ومما يسهل على القاريء العربي الوقوع في الخطأ بتصديق أن «الأصوات» في المثالين اللذين أوردناهما، وفي سواهما إن وجد لها نظير أو أكثر، المراد أن يقابلا les sons لا les morphemes كما يريد مؤلف الكتاب وكما يقتضي السياق عند ذوي النظر، أن المترجمين عندما وردت كلمة morphèmes للمرة الثانية في الفصل الأول من الجزء الخاص بالنحو ترجماها بـ «دوال النسبة» وأوردا بعد المصطلح العربي المصطلح الفرنسي بالحروف اللاتينية، وهذا من المرات القلائل التي يوردان فيها المصطلح الفرنسي، فإذا وجد القاريء العربي أن عنوان هذا الفصل نفسه هو «الكلمات والأصوات»، لم يدر بخلده أن المترجمين يقصدان بالأصوات في هذا العنوان ما عبرا عنه بعد في صفحة ونصف وما تردد من بعد (انظر خاصة ص ١٠٥ - ١١٢) بقولهما «دوال النسبة».

وأما أمثلة ترجمة الأستاذ عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص لـ Les sons «الأصوات» وهي الترجمة المعهودة المقبولة لهذا المصطلح فنكتفي منها بالاشارة إلى عنوان الجزء الأول من الكتاب (ص ٤٣) وهو «الأصوات» ومقابلة في الأصل الفرنسي ورد في ص ٢١ Les Snos (P. 21) .

ومن أمثلة ترجمة مصطلحين مختلفين بلفظ واحد ما يصنعه نفس المترجمين في نفس الكتاب ترجمة كلمة désinence في أغلب الأحوال بـ«لاصقة» (ج لواصق. أنظر مثلاً ص ١١١ س ٥ =

عربي قديم محدد المعنى على تصور جديد، وربما استعمله بحيث لا يتبين القاريء المقصود من الكلام، وخاصة عندما يرد في نص واحد المصطلح العربي مراداً به المعنى القديم، ونفس المصطلح مراداً به المعنى الحديث،

= وقابله بما ورد في ص ٩٢ من الأصل الفرنسي) وترجمة affixe بـ «لاصقة» كذلك (ص ١١٤ س ١ من الترجمة العربية ـ ص ٩٥ من الأصل الفرنسي).

ولما اجتمعت الكلمتان الفرنسيتان معطوفتين ترجما جمع الأولى بـ«العلامات»، وجمع الثانية بـ«اللواصق» (ص ١١٣ س ١٠، س ١١).

«. . . لم يبق علينا إلا النظر في اختلاف الحركات واللواصق والعلامات» ـ وهذا هو الأصل الفرنسي لهذه الترجمة، وقد ورد في ص ٩٤.

"... il n'y a plus à tenir compte que des variations de voyelles et des affixes et désinences.".

ومما زاد من صعوبة متابعة الترجمة العربية في الفصل الأول من الجزء المفرد للنحو على وجه الخصوص (انظر مثلاً ما بين ص ١٠٦، ص ١١٥) استعمال «لاحقة»، و «لاصقة»، و «زائدة»، و «علامة»، وجمع هذه الكلمات، استعمالاً غير واضح التحديد. وبالرجوع إلى الأصل الفرنسي ظهر لنا أن désinence فضلاً عن ترجمتها بـ «لاصقة» وبـ «علامة» قد ترجمت بـ « زائدة» (ج. زوائد) كما في ص ١٠٦ س ١٢ (الأصل الفرنسي ص ٨٧)، وفي ص ١٠٩ س ٣ (الأصل الفرنسي ص ٩٠)، وفي ص ١١٣ س ٣ (الأصل الفرنسي ص ٤٤) وظهر لنا أن «زائدة» قد استعملت كذلك ترجمة لكلمة augment (ص ١١٣ س ٢ والأصل الفرنسي ص ٩٤ ـ ص ١١٥ س ٩ من أسفل والأصل الفرنسي ص ٩٧).

وربما كان الأفضل أن تترجم désinence بـ «خاتمة» (جمع «خواتيم» و خاتمات») لتتميز في العربية من ترجمة augment (التي نفضل ترجمتها بـ «لاحقة» ج. لواحق). ويسهل تصور هذين العنصرين وسواهما أن نقول إن عدداً كبيراً من كلمات اللغة الهندو أوروبية يتكون من ثلاث عناصر أو أكثر: العنصر الأولى هو «الأصل» أو «الأرومة» (racine بالفرنسية وroot بالإنجليزية) والعنصر الثاني لاحقة أو أكثر؛ والعنصر الثالث «خاتمة» désinence (بالانجليزية désinence). إن «الأصل» يعطي المعنى العام للكلمة، و «اللاحقة» تعدل أو تخصص ذلك المعنى، أما «الخاتمة» فهي تبين علاقة الكلمة بسائر الجملة، أو تحدد الشخص، أو النهاية المحددة لزمن الفعل . . الخ. (انظر في تفصيل هذا:

T. Hudson - Williams: A Short Introduction To The Study Of Comrparative Grammar = (Indo-European) pp. 43 — 46.

دون أدنى تنبيه من الكاتب[1].

ب ـ ومن الصعوبات التي على الباحث العربي أن يذللها، إزالة «الأوهام» الراسخة في عقولنا نتيجة دراستنا لجوانب من النشاط اللغوي العربي القديم. وهذا عمل خطير شاق قد لا يأتي إلا بعد تقويم الدراسات اللغوية العربية بأسلوب جديد، وإلا بأن يكون عرض أصول علم اللغة الجديد عرضاً يجمع إلى الدقة والصحة الوضوحَ والبيان، وإلا بالنص على الفروق بين التصورات المختلفة للغويين، وإلا بسوى ذلك من أمور.

ومن هذه الأوهام:

١ ـ أنَّ القاريء العربي سيشرع في قراءة هذا العلم الجديد وفي ذهنه

---

(١) ومن ذلك ترجمة كلمة morphologie «بالصرف» أو «النظام الصرفي» وmorphologique بـ «صرفي» (أو «صرفية»).

والتصور الذي يعبر عنه هذا المصطلح تصور لا يطابقه، أو يماثله، أو يقرب منه تصور عربي؛ وقد لاحظت أن ترجمة هذا المصطلح بالمصطلح العربي القديم، مراداً به معنى جديد، تعوق كثيراً من الطلاب عن إدراك هذا التصور الذي نسعى إلى إدخاله في دراساتنا اللغوية الحديثة.

وهذا مثال نقدمه من ترجمة الأستاذين عبد الحميد الدواخلي. والدكتور محمد القصاص لكتاب اللغة لفندريس. قالا في ص ١٠٨: «ونجد في تبادل الحركات في اللغات الهندية الأوروبية أو في السامية خير الأمثلة لتوضيح هذه الفصيلة. لسنا هنا نضيف عنصراً صوتياً إلى دالة الماهية ليخلع عليها قيمة صرفية. بل يكتفي في الإشارة إلى دور دالة الماهية الصرفي بالعناصر الصوتية لهذة الأخيرة نفسها. فالإنجليزية تقابل بالجمعين men و feet المفردين man «رجل» وfoot «قدم»... فالاختلاف الذي بين هذه الصيغ اختلاف في جرس الحركة الذي يلعب على هذا الوضع دور دالة النسبة، إذ أنه وحده يشير إلى قيمة الكلمة الصرفية».

وقالا في ١٠٩: «دور النغمة هذا يلفت نظرنا إلى أن اللغات الهندية الأوروبية كانت، لثرائها بنظامها الصرفي، تملك وسائل شتى للتعبير عن الروابط التي بين الكلمات وعن دور الكلمة في الجملة».

وهذا النص من ص ١٢٦: «تصنيف الفصائل النحوية عمل من أعمال الصرف العام الذي لا يزال حتى الآن ينشد من يقوم بعمله».

«مسلمات» لا يسلم بها هذا العلم . ومن هذه «المسلمات» ما يمس مسائل جوهرية «كأقسام الكلام» فالكلمة عندنا «اسم» أو «فعل» أو «حرف» ونحن نرى أن هذا التقسيم عقلي عام، بمعنى أنه صادق على جميع اللغات ماضيها وحاضرها ومستقبلها[1] .

ولكن الدراسة اللغوية الحديثة ترى أن هذا التقسيم لا يتصف بصفة «العموم»، وترى أن المرجع في تقسيم الكلمة هو اللغة موضوع الدرس فقد لا يصدق على لغة ما يصدق على أخرى، أي أن تقسيم الكلمة ينبغي أن تحدده طبيعة الاستعمال اللغوي في كل لغة، لا أن يبدأ درس لغة من اللغات بالبحث عما فيها من «اسم» و«فعل» و«حرف»[2] .

---

(١) انظر كتب النحو العربية في تعريف الكلمة . ونحن هنا ننقل نصاً شائعاً لابن هشام الأنصاري المصري (المتوفي سنة ٧٦١ هـ) . عن كتابه «شرح شذور الذهب» (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ نشر وطبع المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة لصاحبها مصطفى محمد، سنة الطبع غير مذكورة، ص ٦) :

قال ابن هشام يشرح قوله في المتن إن الكلمة اسم وفعل وحرف : «قلت : الكلمة جنس تحته هذه الأنواع الثلاثة لا غير، أجمع على ذلك من يعتد بقوله، قالوا : ودليل الحصر أن المعاني ثلاثة : ذات، وحدث، ورابطة للحدث بالذات فالذات الاسم، والحدث الفعل، والرابطة الحرف، وأن الكلمة إن دلت على معنى في غيرها فهي الحرف، وإن دلت على معنى في نفسها فإن دلت على زمان محصل فهي الفعل، وإلا فهي الإسم» .

ثم أورد ابن هشام عقب هذا مباشرة قول ابن الخباز الذي ذهب إلى أن انقسام الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ليس قاصراً على اللغة العربية، بل هو ماثل في جميع اللغات لأن الأساس الذي قام عليه هذا التقسيم أساس «عقلي»، ولما كان ذلك كذلك فاللغات في هذا سواء أي أن الكلمة في أي لغة من اللغات جنس تحته هذه الأنواع الثلاثة : الاسم والفعل والحرف .

قال ابن هشام (ص ٦) :

«قال ابن الخباز : ولا يختص انحصار الكلمة في الأنواع الثلاثة بلغة العرب، لأن الدليل الذي دل على الانحصار في الثلاثة عقلي، والأمور العقلية لا تختلف باختلاف اللغات» .

(٢) أنظر الفصل الخاص «بأقسام الكلام» Parts of Speech في كتاب أوتو يسبرسن «فلسفة النحو» .

=

٢ ـ ومن أخطر ما رسخ في عقولنا عدم التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية للغة.

ونحن نعتز بعربيتنا إعتزازاً يخيل إلينا أنها لم تتغير منذ أنزل القرآن الكريم، أو أنها لم تتغير إلا في أقل القليل، فنحن في دراسة مسألة ما قد نستشهد بشاهد جاهلي إلى جوار شاهد من صدر الإسلام، إلى جوار شاهد عباسي وهكذا.

نحن في حاجة إلى أن نتقبل أن اللغة العربية «الفصحى» في حياتها الطويلة الخصبة، مع محافظتها البالغة بوجه عام، قد طرأت عليها تغيرات في هذا الجانب أو ذاك، وأياً كان كنه هذه التغيرات، فهي في نظر العلم «تغيرات» يجب أن تدرس دراسة موضوعية منزهة من الأهواء.

والغريب في الأمر أننا ندرس «الدخيل» و«المولد» ونتحدث عن «غريب» القرآن الكريم والحديث الشريف، وعما فيها من كلمات أجنبية الأصل، وعن «تحضر» الكلام العربي، و«رقته» في بعض العصور، وعن «أساليب» عفى عليها الزمن فلم نعد نستعملها، ونتحدث في تاريخ الأدب العربي عن الأطوار التي مر بها «أسلوب» الشعر، وعن تلك التي مر بها «أسلوب» النثر، ولكنا مع ذلك كله نحجم عن أن نقرر ذلك الحكم العام، وهو حكم بديهي صادق، رضينا أو لم نرض، ألا وهو أن اللغة العربية قد

Otto Jespersen: The Philosophy of Grammar, London, George Allen and Unwin Ltd, pp. = 58 — 71 (Reprinted 1948).

وأنظر في كتاب «اللغة» لفندريس ترجمة الأستاذين الدواخلي والقصاص، الفصل الذي عنوانه «الأنواع المختلفة للكلمات» من ص ١٥٥ ـ ١٨١.

وأنظر شيئاً من التفصيل في هذا الموضوع عند الكلام على «الفلسفة اللغوية» في الباب الخاص بـ «موضوع علم اللغة» من هذا الكتاب.

أصابها منذ نزول القرآن الكريم، حتى أيامنا هذه، تغيرات في هذا الجانب من جوانبها أو في ذاك. ونرى أن في هذا خطراً على لغتنا التي يجب علينا أن نصونها صوناً للقرآن الكريم.

ولغة القرآن الكريم مغايرة منذ نزولها للغة العرب، لم تكن كلغة الشعر الجاهلي، ولم تكن شبيهة بكلام خطباء العرب وكهانهم ولم يشبهها فيما بعد ذلك من زمان كلام من الكلام.

إن «التغيرات» التي أصابت الكلام العربي الفصيح لم تصب أصول التركيب اللغوي في كثير، فلن يضر رصدها وتسجيلها المحافظة على كتاب الله العلي القدير، ولا على آثارنا الأدبية والفكرية. بل إن رصدها فضلاً عن كونه واجباً علمياً، سيوسع آفاق فهمنا للغتنا ولتاريخها. وإن الفهم الصحيح للغة وتاريخها، من أولى الخطوات اللازمة عند النظر في «صونها» أو «الإرتقاء» بها، أو «تطويعها» لِتُجاري مقتضيات العصر الحديث وحضارته.

إن الملاحظة الصوتية لنطق الكلام العربي الفصيح كما يتمثل في الأقطار العربية المختلفة لحاكِمةٌ بأن نطقه في مصر يختلف عن نطقه في العراق، ونطقه في العراق يغاير نطقه في ليبيا أو تونس أو الجزائر أو المغرب.

إن دراسة وجوه الخلاف في نطق الكلام العربي الفصيح في الأقطار العربية المختلفة ليس يعني بحال من الأحوال الدعوة إلى تفتيت «الوحدة العربية» أو إلى إضعافها. وأعجب ما في الأمر أنا لا نتخذ ما بين العرب من خلافات في هيئات الجسوم وسمات الوجوه، ولا نتخذ ما بين بلدانهم من خلافات في الأجواء والأنهار والأرضين، ولا ما بينهم من خلافات في الأزياء والمآكل والمشارب والزينات، نحن لا نتخذ ذلك كله أو شيئاً منه مبرراً للحكم على من يجهر به بأنه «رجعي» أو «استعماري» أو «ضيق»

الأفق»! ولكن أكثرنا لا يقبل التصريح بظاهرة يسيرة صادقة فيما يتعلق بكلام العرب! ويتصور أن هذه الملاحظة وأشباهها «ستقضي» على العربية شر قضاء، أو ستصيبها بجرح بليغ، ولا يدري أنه بذلك يحكم على نفسه بأنه يجهل كيف تحيا اللغات وتتطور.

ولو قال قائل إن أوجه الخلاف بين الكلام العربي الفصيح في الأقطار العربية المختلفة لا تقتصر على خلافات في النطق (من حيث مخارج بعض الأصوات ومواضع «الارتكاز» و«النبر» الخ...) بل تتسع حتى تشمل المفردات والعبارات، لكان ما يواجه به من هجوم أقسى مرات ومرات مما يواجه به صاحب القول الأول[1].

(١) إن النظر في لغة الصحافة العربية لكفيل ببيان أوجه الخلاف بين البلاد العربية المختلفة في تسمية بعض المسميات، وفي استعمال تركيبات خاصة. ومن هذه المسميات والتركيبات ما يدرك القارىء العربي، من غير أهل البلد صاحبة الجريدة أو المجلة، معناه لأول وهلة، ومنه ما قد يدرك معناه على وجه من وجوه التقريب، ومنه ما يحتاج في إدراك معناه إلى عون من أهل البلاد أو مشاركة في حياتهم.

ومن أمثلة هذه المفردات استعمال لفظ «الجامعة» في تونس بمعنى «الرابطة» أو «النقابة» العمالية. وقد روى لي نفر من طلبتي بكلية الآداب والتربية «بالجامعة» الليبية ـ وكنت منتدباً للتدريس بها ـ أنهم كانوا مرة في رحلة «جامعية» إلى تونس وكانوا يركبون «حافلة» الجامعة (أي «أوتوبيس» الجامعة) وكان مكتوباً على الحافلة «الجامعة الليبية» فكان كثير ممن يستقبلهم من أهل تونس يظن أنهم «نقابة» من نقابات العمال الليبيين.

ويستعمل التونسيون كذلك «وزارة الفلاحة» بمعنى «وزارة الزراعة».

وهذه مفردات عراقية تستعمل في الفصحى بما لا نستعمله في مصر، ومنها ما لا نكاد نستعمله الآن. وقد جمعتها من مناقشاتي مع صديقيَّ العراقيين الكريمين الأستاذ الدكتور جميل سعيد، والدكتور يوسف عز الدين:

«محاسب» في العراق عندما يقال «محاسب الكلية» هو نظير «معاون» الكلية في مصر، أما «معاون» الكلية في العراق فتعني مساعد عميد الكلية.

«ملاحظ» تدل في العراق على رئيس الكتاب في أي مؤسسة حكومية. =

= «الجابي» وجمعها «الجباة» ـ تقابل في العراق «الكمساري» في مصر.

«البرق» العراقية نقول عنها في مصر «التلغراف».

«رزمة» يستعملها العراقيون بمعنى «طرد» يرسل بالبريد (وجمعها «رزم»).

ويقولون «دائرة» الرزم، فالدائرة عندهم تستعمل مقابلة لقسم من أقسام «مصلحة» حكومية وما أشبه.

و«الصف» في العراق، كما هو الحال في سوريا، بمعنى السنة الدراسية، ولما قامت الوحدة بين مصر وسوريا بديء في توحيد كثير من المفردات والمصطلحات، فأخذت كتب وزارة التربية والتعليم التي تطبع في القاهرة تقول «تلاميذ الصف الخامس» وكانت قبلاً تقول «تلاميذ السنة الخامسة».

وإذا قيل «معلم» في العراق أدرك السامع أن المقصود من يقوم بالتعليم في المدارس الإبتدائية أما إذا قيل «مدرس» فهو يدرك أن المقصود مدرس بالمدارس الثانوية.

و«الماعون» في العراق، وجمعها «المواعين» بمعنى «الطبق».

و «اللبن» تعني اللبن الذي «تخثر»، أما اللبن المحلوب فهو «الحليب» ونحن في مصر ندل على «الحليب» بالحليب أو اللبن. (والاستعمال العراقي هو السائد في ليبيا).

ويستعملون «خاثر» بمعنى «لبن زبادي» (والأكثر في الإستعمال الكتابي أن يدلوا عليه بـ «لبن» أما «خاثر» فهي زيادة للتدقيق).

و«العلبة» في العراق تطلق على الآنية الخشبية التي يخثر فيها اللبن، ولا تطلق على «علبة» من صفيح (كما نستعملها في مصر) وتطلق على علبة من الورق المقوى فيقال «علبة» سجائر كما نقول في مصر.

أما كلمة «ثوب» (وجمعها «ثياب») فهي تدل في العراق على صنف من الثياب هو «القميص الإفرنجي».

و«نداف» (جمعها «ندافون» ـ وتجمع في العامية العراقية على «نداديف») بمعنى «منجد» (الصانع الذي يضرب القطن ويصنع «المراتب» «والمخدات».. الخ).

ويدلون على «الجزار» في العراق بكلمة «قصاب» (والأكثر في مصر أن نستعمل اللفظ الأول، أما الثاني فقد يقتصر استعماله على الكتب المدرسية وما شابهها). و«العلوة» بمعنى سوق الخضروات والفواكه. يقولون: امتلأت «علاوي المخضرات» ويقولون: «علاوي الحنطة والشعير»، أي محلات بيع الحنطة والشعير وخزنها.

ويقصدون بقولهم «مخضر» (وجمعها «مخضرات») ما ندل عليه بقولنا «خضار».

و«الرَّقي» في العراق هو ما نسميه في مصر «البطيخ» يقولون اشتريت رَقيَّة أو ثلاث رقيات. =

ونسي هؤلاء أن معرفة هذه الأوجه الخلافية خطوة أولى في سبيل التعريف بها تيسيراً على أبناء العربية في مختلف أقطارها؛ وقد يؤدي هذا التعريف إلى التقريب أو التوحيد.

٣ ـ ومن أخطر ما هو راسخ في أذهان الناشئة من دارسي اللغة عندنا، تصور «العامية» أو «العاميات» تصوراً يكتنفه الخطأ أو يلابسه الوهم، فالعامية عندنا «منحطة» أو صورة فاسدة من الكلام العربي «الفصيح» «الصحيح». ولقد يشتد الوهم بجماعة منهم فيرى أنها لا تجري على «قواعد» أو أصول»، ولا يسهل عليه أن يتصور أنها باعتبار ما «لغة» كأية لغة يمكن الكشف عن قواعدها، ووصف حقائقها، وأن في حيز الإمكان أن تصبح لهجة من اللهجات «العامية» «لغة عامة مشتركة»، أو «لغة أدبية فصيحة» في يوم من الأيام. ومعنى هذا أن مفهوم العلاقة بين «اللغة» و«اللهجات» ومفهوم تطور اللغات لا يزالان غريبين على أذهان كثير من طلابنا.

٤ ـ ومن الأوهام العظيمة المتمكنة في أنفس الغالبية من طلاب اللغة عندنا، عدم التفريق بين «النحو» وبين «اللغة» التي يدرسون نحوها، حتى إن معظمهم ليظن أن العربية الفصحى هي هذا النحو، أو أن العرب كانوا فصحاء لأنهم كانوا قادرين على أن يتكلموا هذا الكلام «المعرب» «الفصيح» و«الصحيح» دون دراسة للنحو!.

= أما «البطيخ» فيستعملونها لما نطلق عليه في مصر «الشمام».

ومن أمثلة التركيبات اللغوية الخاصة التي يستعملها في لغة الكتابة قطر عربي، ولا يستعملها آخر ما لاحظته في صيغة الدعوات إلى حضور الحفلات والاجتماعات في ليبيا. يقولون مثلاً: «نتشرف بدعوتكم لحضور حفل الشاي الذي يقام على شرف الأستاذ ..... عند الساعة .....».

ونحن في مصر نكتب بدل «على شرف»، «تكريماً» أو «احتفالاً.. الخ بدل «عند الساعة...» وقد يكتبون أحياناً، على الساعة..) «في الساعة».

وإنهم ليقدسون النحو قدسية بالغة، فلو أخبرتهم أن هذا «النحو» كان من الممكن أن يتخذ صورة أخرى لو أنه كان قد أقيم على أسس أخرى، وأنه قد يأتي عالم فيضع للعربية «نحواً» جديداً يغاير هذا النحو المألوف الذي نتدارسه لاختلط عليهم الأمر ولم يحسنوا إدراكه.

فلا بد من أن نظهر لهم أن أية لغة من اللغات أو لهجة من اللهجات، أو أية صورة من صور الكلام الذي تستعمله جماعة من الجماعات «منظمة» بطبعها، تحتوي على «قواعد» خاصة بها، وأن مهمة اللغوي أو النحوي أن يصف هذه اللغة أو اللهجة أو هذه الصورة من صور الكلام، مهمته أن يكشف عن حقائقها و«قواعدها»، أن يدرك ويقرر طرق إصلاحها. ولما كان اللغوي أو النحوي واصفاً محللاً دارساً لشيء منظم بطبعه، جاز أن يختلف تقرير هذا الوصف والدرس والتحليل من عالم إلى عالم، حسب الأسس التي يقيم عليها كل درسه، والمناهج التي يتبعها، والوسائل التي يصطنعها، فـ «النحو» وكثير غير النحو من وجوه دراسة لغة من اللغات وصف لجانب من جوانب هذه اللغة، أو محاولة للوصف.

ولو ضربنا مثلاً من عالم الطبيعة قاصدين التقريب والتوضيح لا التشبيه والتمثيل لقلنا إن «المجموعة الشمسية» تسير على نظام معين منذ الأزمان القديمة، فهي «منظمة» في ذاتها؛ ولو عجزنا نحن عن إدراك هذا النظام فليس معنى هذا أنها غير منظمة، ولو اتضح لنا بعد زمن أن في وصفنا لهذا النظام وتقريرنا لحقائقه خطأ أو أخطاء، فليس يعني هذا، ولا ينجم عنه بالضرورة أن نظامها قد أصابه الاختلال، وعراه الخطأ. إنها شيء منظم بطبعه، ثم يأتي عالم فيصف هذا النظام، أو يحاول وصفه حسب ما أوتي من «علم».

وإنا لنخطو خطوة أخرى في سبيل التقريب فنقول: إن القدماء من

الجغرافيين كانوا يعتقدون أن الأرض «مسطحة» وكانوا يرتبون على ذلك نتائج كثيرة، ثم تغيرت هذه النظرة و« أثبت» العلماء أن الأرض «كروية»، فليس معنى ذلك أن الأرض كانت مسطحة لما كان يُظنّ أنها كذلك، أو أنها انقلبت كرة لما رئي ذلك. إنها منظمة بطبعها، وعلى صفات وخصائص معينة، ومهمة الفلكي أو الجغرافي أن يحاول وصف هذا النظام؛ وقد يخطيء لقصور وسائله عن إدراك «الحقيقة»، ولقد يختلف عالمان يصطنعان نفس الوسائل في تقرير نتائج هذه الدراسة.

وإليك مثالاً آخر القصد منه التقريب والتوضيح كذلك، وهو مستمد هذه المرة من الميدان الفسيولوجي: إن كلا منا يحمل أجهزة لها نظمها وأصولها ولكن جهلنا بهذه النظم لا يعني أن هذه الأجهزة، في الأحوال العادية، لا تؤدي وظيفتها، أو أنها تخطيء في تأدية هذه الوظيفة، أو أنها لا «تجيد» تأديتها. إن جهل إنسان عادي بكيفية حدوث عملية الإبصار لا يعني أنه لا يبصر، كما أن جهله بكيفية حدوث السمع، واللمس، والشم، والهضم والدورة الدموية، لا ينتج عنه أن هذه الوظائف لا تتحقق في جسمه. إن كلاً منا يحمل هذه الأجهزة المنظمة في ذاتها، ثم يأتي العلماء المتخصصون فيقررون حقائق هذه النظم. ويظهرنا تاريخ العلوم على أن هذا الوصف كان قاصراً أو خاطئاً في وقت من الأوقات لقصور الوسائل أو لخطأ في هذا الأساس أو ذاك، أو لغير هذا من الأسباب، صُحّحَ ودُقّقَ من بعدُ لمّا حسنت الوسائل، ودَقّتِ المناهج والأصول وهكذا. وقد تصل الدراسة العلمية مستقبلاً إلى إضافة تفصيلات كثيرة إلى ما نعرفه الآن، أو إلى تغيير في بعض الأصول وهكذا.

الباب الأوّل

عِلمُ اللغَـة - مَوضوعَـه وَمَاهيتـه

- ١ -

علم اللغة بدرس «اللغة»

«علم اللغة» هو العلم الذي يتخذ «اللغة» موضوعاً له. قال فردينانـد دي سوسير في «محاضرات في علم اللغة العام» إن: «موضوع علم اللغـة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها»[١].

أ ـ و «اللغة» التي يدرسها علم اللغة ليست الفرنسية، أو الإنجليزية، أو العـربية، ليسـت لغـة معينـة من اللغـات، إنمـا هي «اللغــة» التـي تظهر وتتحقـق في أشـكال لغـات كثيرة ولهجـات متعـددة، وصـور مختلفـة من صور «الـكلام» الإنسانـي. فمــع أن اللغــة العــربية تختلف عن الإنجليزية، وهـذه الأخيرة تفتـرق عن الفــرنسية إلا أن ثمــة أصــولاً وخصــائص جوهرية تجمع ما بين هذه اللغات وتجمع ما بينها وما بين سائـر اللغـات وصـور الكلام الإنسانـي، وهـو أن كلاً منهـا «لغــة»؛ أن كلا منهـا نظـام اجتماعــي معين تتكلمـه جماعـة معينــة بعــد أن تتلقــاه عن المجتمــع، وتحقــق به وظائف خاصة، ويتلقـاه الجيل الجـديد عن الجيل السابـق، ويمـر هذا النظـام بأطوار معينة متأثراً بسائر النظـم الاجتمـاعية والسياسية والاقتصـادية والـدينية وبســوى

---

(١) Ferdinand de Saussure: Cours De Linguistique Général, Quatriéme édition payot; Paris 1949, P. 317.

ذلك. . . الخ وهكذا فعلم اللغة يستقي مادته من النظر في «اللغات» على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تسلك اللغات جميعاً في عقد واحد.

وكما يدرس عالم الحيوان أفراد الحيوان على اختلافها ليصل إلى فهم سليم لحقيقة «الحيوان»، والدراسة تلجئه إلى أن يصنف أفراد الحيوان على أسس معينة، وأن يبرز خصائص كل «صنف»، وأن يؤرخ للحياة الحيوانية ويحاول أن يفسر «نشأتها» كذلك يصنع عالم اللغة «باللغات»: إن اللغات هي الأشكال المختلفة التي تتحقق فيها «اللغة»، فدراسة كل منها وصفاً وتاريخاً، ودراسة العلاقات التي تقوم بينها أو بين طائفة منها، ودراسة «الوظائف» التي تؤديها، وتبين ظروف استعمالها، كل أولئك وسواه يمهد للوصول إلى التعريف بحقيقة تلك الظاهرة الإنسانية العامة التي هي «اللغة». ومن هنا نرى أن «علم اللغة العام» ما كان ليظهر على الصورة الحديثة التي ظهر بها، لو لم تسبقه تلك الدراسات التفصيلية الكثيرة لمعظم لغات البشر، تلك الدراسات التي مهدت لتاريخ اللغات وللمقارنة بينها ولتصنيفها أن تنهض، فكثر التفكير في «نشأة» اللغة، وفي «تطورها»، وفي «العائلات اللغوية». . . الخ نعم إن تلك الدراسات السابقة للغات البشر أو لأشهرها يعاد النظر فيها الآن، والذي يدعو إلى إعادة النظر فيها هو نتائج «علم اللغة» نفسه، لأن بعض تلك الدراسات قام على أسس غير سليمة، أو استعان بوسائل قاصرة، ولكن تلك الدراسات مع ما فيها من قصور، كانت خطورة أساسية لظهور «علم اللغة».

فموضوع علم اللغة[1] إذن ليس «لغة» معينة من اللغات، بل «اللغة

(١) أنظر في هذا: Jean Perrot: La Linguitiqie 1ere edition, Presses Universitaies De France, Paris 1953 (Que - Sais - Je? 570), P. 9

وأنظر الفصل كله وهو خاص بموضوع علم اللغة (PP. 9 - 15)

من حيث هي وظيفـة إنسانية عامة، اللغة من حيث هي وظيفة إنسـانية[١]، والتي تبدو في أشكال نظم إنسانيـة[٢] اجتماعية تسمـى اللغـات كالـروسية والايطالية والإسبانية، أو «اللهجات[٣] أو أي إسم آخر من الأسماء[٤]. هذه الصورة المتنوعة المتعددة واحدة في جوهرها، وتمثل وظيفة أنسانية.

ب ـ هذه هي «اللغة» التي هي موضوع «علم اللغة»، أما معنى قول دي سوسير إن علم اللغة «في ذاتها»، فهو أنه يدرسها من حيث هي لغـة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهر، فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها، كما أنه ليس للباحث في موضوع أي علم من العلـوم أن يغيّر من طبيعتـه، فليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسناً إياها، وينحـي جوانب أخرى استهجاناً لها، أو استخفافاً بها، أو لغرض في نفسـه أو لأي سبب آخر من الأسباب.

حـ ـ أما أن علم اللغة يدرس اللغة «من أجـل ذاتهـا»، فمعنـاه أنـه يدرسها لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الـكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته أن يحقق أغراضاً تربوية مثلاً، أو أية أغراض عملية أخرى. إنه لا يدرسها هادفاً إلى «ترقيتها»، أو إلى تصحيح جوانـب منها أو تعديل أخر؛ إن عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية.

---

(١) Fonction humaine

(٢) Institutions humaines

(٣) Dialectes.

(٤) الفرنسية تميز بأسماء خاصة بين صور مختلفة من صور الكلام الفرنسي فتستعمل غير ما يدل على «اللغة» أي لغة معينة كالألمانية، وغير ما يدل على «اللهجة»، الكلمات: Patois، و Parlers، و Jargon, argot.

\- ٢ -

حول البحث في نشأة اللغة

إن طبيعة موضوع علم اللغة، تلك الظاهرة الإنسانية التي هي اللغة، التي هي متطورة بطبعها، تفرض على الباحث أن يتساءل أول ما يتساءل:

كيف تكوّن للإنسان لغة؟ كيف توصل الإنسان إلى هذا النظام؟ أتوصل إليه بنفسه، أم أوحى به إليه إيحاءً؟

ذلك موضوع قد شغل الناس من قديم. والأساطير القديمة عند أكثر الجماعات الإنسانية تنسب «وضع» اللغة إلى إله من آلهتها، أو إلى قوة عليا خارقة.

وفي العصور الوسطى اشتد الجدل ببين نظريتين شغلتا المفكرين في نشأة اللغة: نظرية ترى أن «الله» عز وجل هو الذي أوحى إلى البشر باللغة، ونظرية تذهب إلى أن اللغة من اصطلاح الناس وتواضعهم. وقد فُسّر اصطلاح الناس على اللغة بأوجه كثيرة مختلفة.

والذي يذهب إليه العلم هو أن اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الظواهر الاجتماعية. ومعنى هذا أنها من صنع المجتمع الإنساني. ولا يعرف مجتمع إنساني منذ أقدم عصر سجله التاريخ بلا لغة ناضجة التكوين.

ولكن لا تزال مشكلة نشأة اللغة قائمة:

ما أقدم مجتمع ظهرت فيه اللغة؟ وأي لغة كانت أول اللغات؟ وهل اللغات المعروفة الآن ترجع إلى أصل واحد أو ترجع إلى أكثر من أصل؟ أي هل اللغة أحادية النشأة، أو ثنائيتها أو متعددتها؟ وما الظروف الاجتماعية وغير الاجتماعية التي أدت إلى نشأة اللغة؟

لقد أشرنا فيما سلف إلى أن «علم اللغة» يميل إلى أن ينحى البحث في «نشأة اللغة» من مجال دراسته، أو هذا هو رأي الغالبية من علمائه.

وذلك لأن «نشأة اللغة» موضوع شائك لا سبيل إلى القطع فيه برأي، أو إلى الوصول في شأنه إلى رأي علمي؛ إنه بطبيعته موضوع يستحيل على الدراسة العلمية الموضوعية: وكل ما يقال فيه هو من قبيل الفروض التي لا تستند إلى أسس سليمة. فنشأة اللغة متصلة بنشأة الإنسان، أو بنشأة المجتمع الإنساني، وبالمخ الإنساني ونموه، وبأطوار الحياة الاجتماعية التي مر بها الإنسان، وبالحاجات والدوافع التي يحتمل أن تكون قد ألجأته إلى اصطناع هذا النظام وهو «اللغة»، إلى غير ذلك من أمور لا يزال ما نعرفه عنها من حقائق أو معلومات ضئيلاً غاية الضآلة بحيث لا يمكن من تكوين رأي «علمي». ومن هنا كانت «النظريات» أو «الفروض» التي قدمها الباحثون في نشأة اللغة ضرباً من «الميتافيزيقا». ولكن الأبحاث في نشأة اللغة في العصر الحديث لم تتوقف، وقد لخص «أوتو يسبرسن» في كتابه «اللغة...» أشهر ما سبقه من نظريات في نشأة اللغة، وأتى بنظرية من عنده.

وظهرت بعد يسبرسن نظريات أخر.

ولكن علم اللغة يرجىء تقرير الحق العلمي في نشأة اللغة إلى أن يتم جلاء ما يكتنفه من غموض قد يكشف عنه تقدم علم الأجناس البشرية، وعلم

الوراثة ، وغيرهما من العلوم الإنسانية . ولو أن الأرجح أن تقدم هذه العلوم وسواها لن يمكننا آخر الأمر من معرفة الظروف التي نشأت فيها اللغة معرفة يقينة[1] .

---

(١) أنظر في «نشأة اللغة» تلك الخلاصة القيمة التي تتضمن نظرات صائبة ، التي كتبها فندريس في كتابه «اللغة» (الترجمة العربية من ص ٢٩ إلى ص ٤٢) .

١ ـ وذلك الفصل الذي كتبه الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه «دلالة الألفاظ» باسم «نشأة اللغة» من ص ٩ إلى ص ٣٣ وفيه تبسيط للموضوع مع عرض آراء العرب فيه بالإضافة إلى آراء المحدثين ، لا سيما الآراء التي جدت بعد أن كتب «فندريس» كتابه .

٢ ـ أما من أراد التوسع فله أن يرجع إلى كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي «نشأة اللغة عند الانسان والطفل» .

ومن المراجع الإنجليزية في هذا الشأن :

١ ـ «الكتاب» الرابع عن «تطور اللغة» من مؤلف يسبرسن المشهور

"Language ...."

لا سيما الفصل الخاص بنشأة الكلام

The Origjin Of Spech PP. 412 - 442.

وقد أشار يسبرسن إلى أشهر من تناولوا هذا الموضوع حتى زمن كتابته مؤلفه .

٢ ـ والفصل الخاص بنشأة اللغة في كتاب :

Sturtevant: Introduction To Linguistic Science.

٣ ـ والمقال المقيم الذي كتبه إميل بنفيست عن «الاتصال الحيواني واللغة الانسانية لغة النحل» .

=

- ٣ -

اللغة «كلام»

إن «اللغة» التي يتخذها علم اللغة موضوعاً له، هي اللغة التي تقوم على ربط مضمونات الفكر الإنساني بأصوات ينتجها «النطق». إنها اللغة التي تقوم على إصدار واستقبال أصوات تحدثها عملية «الكلام»[١]. فالأصل في اللغة أن تكون كلاماً، أن تكون «مشافهة»، أما الكتابة أو لغة الكتابة فهي لغة أخرى تقصد إلى تمثيل الكلام المنطوق بطريقة منظورة. فالكتابة اختراع إنساني، لا حق على اختراع «اللغة»، وبعض المجتمعات لم توجد لنفسها هذه الوسيلة المنظورة من تمثيل اللغة الملفوظة.

إن هذه الأشكال الكتابية، التي هي «الحروف»، كما يقول إدوارد سابير[٢]، ثانوية بالنسبة إلى رموز الكلام الملفوظة، التي هي الأصوات أي أن الأشكال الكتابية هي «رموز الرموز»[٣].

Emile Benveniste: Animal Communication And Human Languge- The Language of the =
Bees. Diogenes, Number 1, PP. 1 - 7.

(١) Speech

(٢) Edward Sapir

(٣) Symbols of Symbols.

- ٤ -

عن طبيعة اللغة

«الكلام» وظيفة إنسانية «غير غريزيـة» و «غير موروثة»
الكلام وظيفة ثقافية مكتسبة

حاول إدوارد سابير[١] أن يكشف عن طبيعة اللغة، وأن يقربهـا إلـى الأفهام، فقارنها بالسير. وخلاصة رأيه أن «السير» وظيفة إنسانية موروثة[٢] بيولوجية[٣]؛ إنه وظيفة «عضوية»[٤]؛ وظيفته «غريزية»[٥] (وطبيعي أن السير نفسه ليس غريزة).

أمـا «الـكلام» فهـو وظيفـة إنسـانية «غير غريزية»[٦]، إنــه وظيفــة «مكتسبة»[٧]، إنه وظيفة ثقافية[٨].

---

(١) Edward Sapir: Language An Introduction to the Study of Speech, New York, Harcourt, Brace And Company, 1921, PP.

(٢) Hereditary.

(٣) Biological.

(٤) Organic.

(٥) Instinctive.

(٦) Non - Instinctive.

(٧) Acquired.

(٨) Cultural.

أ ـ بدأ سابير بأن قرر أن الكائن البشري العادي مقدر له السير، لا لأن من يكبره سيتولى تعليمه هذا الفن، بل لأن تكوينه العضوي معد منذ الحمل، للقيام بهذا العمل. وعلى هذا فليس للثقافة[1] دخل هام في هذا الشأن. ولقد يقال، وهو قول حق باعتبار ما، إن الفرد مقدر له الكلام ـ فليس ثمة إنسان عادي لا يتعلم الكلام ـ ولكن مرجع هذا أن الإنسان لا يولد في الطبيعة وحسب، بل إنه يولد في حجر مجتمع من المؤكد أنه سيوجهه نحو تقاليده. فإذا عزل وليد عن أي مجتمع إنساني فإنه سيتعلم كيف يسير لو قدر له أن يبقى على قيد الحياة، ولكنه لن يتعلم كيف «يتكلم» أي كيف يمارس النشاط اللغوي طبقاً للنظام التقليدي السائد في أي مجتمع من المجتمعات.

ثم إنه لو نقل وليد من بيئته الاجتماعية التي ولد فيها إلى أخرى مختلفة عنها أشد الاختلاف فإنه سيسير في بيئته الجديدة سيره لو ظل في بيئته القديمة، ولكن كلامه الذي سيتعلمه في هذه الحال يكون مغايراً تمام المغايرة لكلام بيئته التي ولد فيها. فالسير نشاط إنساني عام لا يختلف إلا في نطاق ضيق، وذلك إذا انتقلنا من فرد إلى فرد؛ واختلافه غير إرادي ولا غرض منه.

أما الكلام فإنه نشاط إنساني يختلف أيما اختلاف إذا انتقلنا من مجتمع إلى مجتمع، لأنه ميراث تاريخي محض للجماعة، لأنه نتاج الاستعمال الاجتماعي الذي استمر زمناً طويلاً.

ب ـ ثم أخذ «سابير» في دفع الأوهام القائمة على زعم أن ما في اللغات من «صرخات انفعالية»[2] أو من «كلمات» مقلدة للأصوات الطبيعية

---

(١) Culture.

(٢) Interjections.

شاهد بأن للغة أساساً غريزياً ؛ ورد تلك النظريات القائلة أن الكلام الإنساني تطور تطوراً تدريجياً عن الصرخات الانفعالية ، أو عن تقليد الأصوات الطبيعية ، ثم حذر من أن يضلل المصطلح الذي يستعمله اللغويون ، ألا وهو «أعضاء» الكلام[1] ، فيعد تسليماً من اللغويين بأن الكلام نشاط غريزي بيولوجي .

ولنعرض رأي سابير في هذه المسائل الثلاث واحدة فواحدة :

١ ـ «الصرخات الانفعالية» ليست شاهداً بأن الكلام غريزي :

إننا تحت وطأة الانفعال ، تحت وطأة ألم قاس مفاجىء ، أو فرح غامر مباغت ، أو ما أشبه ذلك ، نتفوه ، دون إرادة منا ، بأصوات لا يفهمها السامع على أنها دالة على الانفعال نفسه ، أي يفهمها على أنها «كلام» . ولكن هذا التعبير غير الإرادي عن الشعور يختلف أشد الاختلاف عن الطريقة العادية المألوفة لنقل الأفكار، هذه الطريقة التي هي «الكلام» . إن النوع الأول غريزي ، و «غير رمزي»[2] ، إنه فيض «أوتوماتي»[3] للقوة الانفعالية ، إنه جزء من الانفعال نفسه .

ثم إن هذه الأصوات ، أو الصرخات الغريزية ، لا توجه إلى أحد ، لا يقصد بها أن يسمعها أحد ، إنها لا تكون «اتصالاً» بالغير بأي معنى صحيح من معاني الاتصال . وهي إذا سمعت فإنما تسمع اتفاقاً كما يسمع نباح كلب ، أو وقع خطى مقتربة ، أو زفيف الريح . وهي إذا كانت تحمل «معنى» إلى السامع فما ذلك إلا من قبيل قولنا إن أي صوت ، أو كل صوت لا بل أي

---

(١) Organs of Speech

(٢) Non - Symbolic.

(٣) Automatic.

ظاهرة طبيعية على الإطلاق. تحمل «معنى» إلى الذهن المدرك. وهكذا فاعتبار الصرخات غير الإرادية المعبرة عن الألم مثلاً، والتي تمثل بـ ! OH (أوه) رمزاً كلامياً حقيقياً مساوياً لفكرة مشابهة مثل «إني لفي ألم شديد»، ليس إلا من قبيل السماح بتفسير ظهور السحاب بأنه رمز مماثل يؤدي هذه الرسالة: «السماء على وشك أن تمطر».

هذه الملاحظة. ملاحظة أننا تحت وطأة الانفعال ننطق بأصوات لا إرادية يرى السامع أنها دالة على الانفعال نفسه، قد أدت بكثيرين إلى أن يروا في «الصرخات الانفعالية» الموجودة في اللغات مثل OH (أوه) AH (آه)، ! SH (ش !) شيئاً مطابقاً للأصوات الغريزية.

ويحذرنا سابير من الوقوع في هذا الخطأ قائلاً إن هذه الصرخات صرخات «اصطلاحية»[1]، ما هي إلا «تثبيت اصطلاحي»[2] للأصوات الغريزية الطبيعية. ومن هنا كان ما يبدو من تشابه بين بعض الصرخات في لغات مختلفة كأنها تنتمي إلى عائلة واحدة، وما يبدو في الوقت نفسه، من اختلاف بينها للبصير المدقق؛ فالتشابه مرجعه إلى أن هذه الصرخات قد قدمتها نماذج أصلية عامة هي الأصوات الغريزية، لا إلى أنها ناتجة عن أساس غريزي عام؛ والاختلاف الحاصل بين هذه الصرخات في اللغات المختلفة مرده إلى أنها قد تكونت نتيجة للتقاليد اللغوية الخاصة، وللأنظمة الصوتية، وللعادات الكلامية لأصحاب كل لغة. إن هذه الصرخات «متعلقة» بنماذجها الأصلية الطبيعية تعلق الفن، الذي هو شيء اجتماعي، أو ثقافي، بالطبيعة.

---

(١) Conventional.

(٢) Conventional Fixation.

وإذ قد تبين أن الصرخات، وهي أقرب الأصوات اللغوية إلى النطق الغريزي، ليست لها طبيعة غريزية إلا بصورة سطحية، وضح أنه لو فرض أنه من الممكن إثبات أن اللغة كلها ترد في آساسها التاريخية والنفسية إلى الصرخات، فلن ينتج عن هذا أن اللغة نشاط غريزي. ولكن الواقع أن جميع المحاولات التي بذلت لتفسير نشأة الكلام بهذه الطريقة لم تسفر عن نتيجة، فليس ثمة دليل واضح، تاريخي أو غير تاريخي، يؤدي إلى بيان أن «عناصر الكلام»[1]، وأن «عمليات الكلام»[2] قد نتجت عن الصرخات. ثم إن الصرخات ليست إلا جزءاً ضئيلاً من مفردات اللغة، وهي من حيث الوظيفة غير ذات بال. إنها ليست أكثر من الحواشي المزينة للنسيج الكبير المعقد.

٢ ـ الكلمات المقلدة للأصوات الطبيعية لا تثبت أن اللغة نشاط غريزي:

ثم بين «سابير» أن اعتبار اللغة نشاطاً غريزياً اعتماداً على أن في اللغات أصواتاً (كلمات) مقلدة للأصوات الطبيعية، وهم باطل، وقرر أن ما ينطبق على «الصرخات» أشد انطباقاً على الكلمات المقلدة للأصوات الطبيعية[3]، فإن كلمات مثل Whippoorwill[4] و To miew و To Caw ليست بأي معنى من المعاني أصواتاً طبيعية قد أنشأها الإنسان بطريقة غريزية أو أوتوماتية. إن هذه الكلمات، كأي كلمات أخرى في اللغة، إنها مثل ابتكارات العقل الإنساني تماماً. إن الطبيعة قد قدمت أصولها ليس غير. وإذن فإن نظرية نشأة الكلام التي تفسر الكلام كله بأنه تطور تدريجي من

---

(١) Elements of speech.

(٢) Speach Processes.

(٣) Sound - imitative Words

(٤) طائر أمريكي يطير ليلاً وله صيحة كصوت اسمه.

أصوات مقلدة للأصوات الطبيعية لا تدنينا من المستوى الغريزي أكثر مما تدنينا إليه اللغة كما نعرفها في أيامنا.

٣ ـ استعمال المصطلح «أعضاء الكلام» لا دلالة فيه على أن الكلام نشاط غريزي بيولوجي:

أما فيما يتعلق باستعمال اللغويين لذلك المصطلح الشائع «أعضاء» الكلام فقد قال سابير: لا ينبغي أن يضللنا هذا المصطلح فنرى فيه تسليماً من اللغويين بأن الكلام نفسه نشاط غريزي بيولوجي. ذلك لأنه ليس ثمة في الحقيقة «أعضاء» خاصة بالكلام، مفردة له، ومقصورة عليه، ووظيفتها الأصلية هي الكلام. إن الموجود فعلا، والمستعمل في عملية الكلام، هو أعضاء «صالحة» اتفاقاً لإنتاج الأصوات الكلامية. فالرئتان، والحنجرة والحلق، والأنف، واللسان، والأسنان، والشفتان كلها «صالحة لإنتاج الأصوات الكلامية، ولكنها ليست أعضاء «أصلية» للكلام، إلا إذا اعتبرنا الأصابع أعضاء وظيفتها الجوهرية هي العزف على البيان، أو «الركب» أعضاء الأصل فيها استخدامها في الصلاة. إن الوظيفة البيولوجية الضرورية للرئتين هي التنفس، وللأنف الشم، وللأسنان كسر الطعام وطحنه قبل إعداده لعملية الهضم. فإذا كانت هذه الأعضاء وسواها تستعمل دائماً في الكلام فما ذلك إلا لأن أي عضو يخضع للسيطرة الإرادية يمكن أن يستعمل في أغراض ثانوية.

إن «الكلام» من الناحية الفسيولوجية مجموعة من الوظائف المفروضة على الوظائف الأساسية. إنه يستمد عوناً من أعضاء ووظائف، عضلية وعصبية، تكونت في أصلها لأداء أغراض غير غرض الكلام، وهي لا تزال تؤدي هذه الأغراض، بعد أن استعين بها لإحداث الأصوات الكلامية.

إن الكلام ليس نشاطاً بسيطاً ينتجه عضو أو أعضاء تلائم الغرض

بطريقة بيولوجية. إنه نسيج من الملاءمات معقد غاية التعقيد، ومتنقل أبداً ـ في المخ، وفي الجهاز العصبي، وفي أعضاء النطق والسمع ـ ومتجه نحو الغاية المرجوة، غاية التوصيل[1].

---

(١) Communication.

وظيفة اللغة عند سابير وعند كثير سواه هي «توصيل» الفكر أو التعبير عنه، وقد بينا في كتابنا (اللغة والمجتمع: رأي ومنهج) أن توصيل الفكر أو التعبير عنه ليس إلا وظيفة من وظائف كثيرة يحققها الكلام.

- ٥ -

اللغة نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية

علم اللغة جزء من علم أعم هو علم العلامات (السميولوجيا)

أ - إن اللغة من حيث إنها مجموعة من العلامات[١] أو الرموز[٢]، هي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني والتي تدركها الأذن، هذه الأصوات التي تؤلف بطرائق اصطلاحية في كلمات ذات دلالات اصطلاحية إن اللغة بهذا الاعتبار تشترك مع طائفة أخرى من النظم «يصدق عليها ما يصدق على اللغة من أنها تتكون من علامات اصطلاحية يستعان بها على توصيل دلالات اصطلاحية» سواء اتسعت دائرة الاصطلاح أو ضاقت، وأيا كانت المادة التي يتكون منها أي نظام من هذه النظم، وأيا كانت الحاسّة التي يتجه إليها أو «يخاطبها» أي نظام منها.

ومن الممكن نظراً أن يقابل كل حاسة من الحواس الإنسانية نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة، وهي تكون «سمعية» إن خاطبت الأذن، و «بصرية» إن خاطبت العين، و «لمسيّة» إن خاطبت اليد، وشميّة، إن خاطبت الأنف، و «مذاقية» إن خاطبت اللسان.

---

(٣) أنظر Edward Sapir: Language, Introduction to the Study of Speech, P. 19 New york, 1921.

(١) Signs.

(٢) Symbols

وتاريخ المجتمعات الإنسانية شاهد بأنها أنتجت نظماً ـ أو «لغات» لو توسعنا في الاستعمال وترخصنا ـ من معظم هذه الأنواع، ولكن بعضها أكثر شيوعاً من بعض.

ومن أشهر هذه الأنظمة من العلامات تلك التي تقوم على الإشارة وتخاطب العين، وتلك التي تخاطب السمع غير «اللغة» بمعناها الحق.

١ ـ ومن الأنظمة الاصطلاحية القائمة على الإشارة تلك التي تستعملها الجيوش الخاصة، وتلك التي تستعملها شعوب متجاورة تتكلم لغات مختلفة كما هو الحال في سهول أمريكا الشمالية.

ومن هذه الأشكال «البصرية» ما يعتمد في إصدار العلامات الاصطلاحية على وسائل أخرى غير الإشارة بأعضاء الجسم الإنساني، وذلك كالضوء والرايات وما أشبههما.

٢ ـ والأشكال السمعية لهذه الأنظمة الاصطلاحية غير الكلام الإنساني يقوم أغلبها على الاستعانة بآلات وأدوات معينة ـ غير جهاز النطق الإنساني ـ لإصدار ضجات (= أصوات) خاصة جرى الاصطلاح على أنها رموز لمعان معينة. ومن ذلك لغات الطبول. الذائعة عند زنوج إفريقيا، ونقل الرسائل بطبول في الشمال الغربي من الأمازون.

وليست هذه الأنظمة مقصورة على المجتمعات التي جرى العرف بتسميتها «بدائية»، أو «فطرية«، أو «غير متمدنة» الخ، ولكنها ذائعة الاستعمال كذلك في المجتمعات «الراقية» «المتمدنة»؛ فأرقى المجتمعات المعاصرة تستعمل رنات الأجراس ودقات النواقيس للدلالة على معان اصطلاحية، ولتوصيل معان، كما هو الحال في الكنائس والمعابد والمدارس. وأصوات الأبواق والنوافير وما إليها تستعمل في الجندية

والمعسكرات للتحية ولإصدار «أوامر» خاصة كالاستدعاء، والانصراف، والإيذان بمواعيد الطعام. . الخ. ومن هذه الأشكال السمعية ما يعتمد في إصدار أصواته على جهاز النطق الإنساني نفسه كالأنظمة التي تستعمل «الصفير» استعمالاً إصطلاحياً.

ب ـ هذه الأنظمة المختلفة من «العلامات» لما كانت شريكة «اللغة» في طبيعة «الأصل» الذي يقوم عليه كل منهما، فهي جديرة بأن تدرس معها. ودراسة «اللغة» على هذا الاعتبار جزء من ذلك العلم الناشيء الذي يتخذ موضوعاً له دراسة استعمال العلامات الاصطلاحية ووظيفتها في المجتمعات، والذي اقترح له فرديناند دي سوسير اسم[1] La Sémiologie (= السميولوجيا، أو علم العلامات) من الكلمة اليونانية Séméion، بمعنى «علامة».

١ ـ هذا العلم لم ينضج، ولا يزال العلماء المختصون يدرسون مناهجه ووسائله ومسائله ويضيفون إليه. ومن شأن هذا العلم أن يستخدم من نتائج علم النفس الاجتماعي[2]، وعلم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية ما يمكنه من الوصول إلى تقسيمات أساسية في موضوعه وإلى مقاييس للتوسل بهذه التقسيمات والمقاييس إلى تنظيم الظواهر «السميولوجية» ووصفها. ويرى أستاذنا فيرث[3]، رحمه الله، أنه ربما كان أبرز شيء في كل مؤلف دي سوسير القيم «محاضرات في علم اللغة العام، هو قوله:

«إنا إذا كنا قد استطعنا، للمرة الأولى، أن نحدد لعلم اللغة مكاناً بين

---

(١) أنظر: Cours de Linguistique Generale, PP. 32 - 35.

(٢) Sociol Psychology.

(٣) J. R. Firth: The technique of Semantics, PP, 50 - 51 (Lingua, Volume I, 4, Sept. 1948).

العلوم، فما ذلك إلا لأننا وصلناه بالسميولوجيا»[1].

٢ ـ ونحن نعرض فيما يلي خلاصة ما قاله دي سوسير عن «السميولوجيا»[2]:

١ ـ إن هذا العلم سيكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وسيكون تبعاً لهذا جزءاً من علم النفس العام.

هذا العلم سيعرفنا العناصر التي تتكون منها «العلامات»، والقوانين التي تحكمها. ولما كان ذلك العلم لم يوجد بعد، فلا نستطيع أن نقول كيف سيكون، ولكنه علم له الحق في ألوجود. وما «علم اللغة» إلا جزء من ذلك العلم الأعم (وهو السميولوجيا)؛ وإن «القوانين» التي سيكتشف عنها السميولوجيا ستصدق على علم اللغة، وسيكون علم اللغة في هذه الحال موصولاً بميدان واضح التحديد في مجموع الظواهر الإنسانية[3].

وقال دي سوسير إن تحديد الوضع الحق للسميولوجيا يقع على عاتق عالم النفس. أما واجب عالم اللغة بالنسبة إلى هذا العالم فهو أن يحدد ما يجعل من اللغة نظاماً خاصاً في مجموعة الظواهر السميولوجية[4].

٢ ـ ويرجع دي سوسير السبب في أن السميولوجيا لم يصبح، حتى زمنه[5]؛

---

(١) De Saussure: Cours De Linguistique Generale, PP. 33 - 34.

I pour la premiere fois nous avons pu assigner a la Linguistique une place parmi les Sciences, c'est parce que nous l'avons rattachée à la semiologie".

(٢) De Saussure: OP. cit. PP. 32 - 35.

(٣) Les faits humains

(٤) Les faits semiologiques.

(٥) توفي دي سوسير سنة ١٩١٣.

علماً منفرداً مع أن له كما لأي علم آخر موضوعه الخاص، إلى أننا هنا ندور في دائرة مفرغة: ذلك لأنه لا شيء، من ناحية، أجدر من اللغة بأن يفهمنا طبيعة المشكلة السميولوجية، ولكن من أجل أن نضع هذه المشكلة الوضع المناسب يجب أن ندرس اللغة في ذاتها.

إن عالم النفس يدرس آلية العلامة[١] عند الفرد، وهذا أيسر منهج في دراسة العلامة. ولكنه لا يؤدي إلى ما وراء التنفيذ، أو التحقيق[٢]، الفردي للعلامة؛ إنه لا يبلغ العلامة التي هي إجتماعية بطبيعتها. ولكن عندما ندرك أن العلامة يجب درسها من الناحية الاجتماعية، فنحن لا نذكر من اللغة إلا تلك السمات التي تربطها بنظم إجتماعية أخرى، تلك التي تعتمد كثيراً أو قليلاً، على إرادتنا، وهكذا نمر إلى جوار الهدف مهملين الخصائص والسمات التي لا يتصف بها إلا الأنظمة السميولوجية بوجه عام، واللغة بوجه خاص. ذلك لأن العلامة تعتمد دائماً، إلى درجة ما، على الإرادة الفردية أو الاجتماعية، وهنا صفتها الجوهرية وهذه الصفة لا تبين أوضح بيان إلا في اللغة، ولكنها تتمثل في الأشياء التي لا ندرسها إلا أهون دراسة؛ وهكذا لا يحسن الناس إدراك ضرورة وجود علم سميولوجي، أو لا يرون الفائدة التي يمكن أن يقدمها ذلك العلم. أما نحن - (أي دي سوسير) - فنرى على النقيض من ذلك، أن المشكلة اللغوية هي قبل كل شيء مشكلة سميولوجية؛ وكل تقدم أحرزناه في علم اللغة يستعير أهميته من هذه الحقيقة الهامة.

٣ - وقال دي سوسير؛ إنا إذا أردنا أن نكشف الطبيعة الحقيقية للغة، فيجب أن ندرسها أولاً من حيث ذلك الذي تشترك فيه مع سائر الأنظمة المنتمية إلى نفس النوع. وقال؛ إن بعض العوامل اللغوية التي تبدو لأول

(١) La mecanisme du Signe.

(٢) Execution

وهلة ذات أهمية بالغة (كدور جهاز النطق الإنساني مثلاً) يجب ألا تدرس إلا في المنزلة الثانية إذ أنها في الحقيقة لا تعين إلا على تمييز اللغة من سائر الأنظمة «السميولوجية».

ويرى دي سوسير أن هذا لن يوضح المشكلة اللغوية فحسب، فبدراسة الطقوس[1]، والعادات[2]... الخ من حيث هي «علامات» ستبدو هذه الظواهر يوماً ما، وسيشعر الناس بالحاجة إلى تجميعها في السميولوجيا، وإلى تفسيرها بقوانين ذلك العلم (انتهى عرض كلام دي سوسير).

٣ ـ ولقد أسهم العلماء بعد دي سوسير بجهود طيبة في سبيل تكوين ذلك العلم، وإرساء قواعده؛ ومن المأمول عندما يتم نضجه قريباً أن تزداد المشكلة اللغوية جلاء.

---

(١) Rites

(٢) Coutumes

- ٦ -

علم اللغة يستعين بعلوم أخرى

علم اللغة يستعين بعلوم أخرى: علم الاجتماع العام. علم الأجناس البشرية. علم الوراثة. علم الحياة العام. علم وظائف الأعضاء. علم التشريح، أمراض الكلام. التاريخ. الجغرافيا.

أ ـ لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية[1]، فدراستها، من ناحية، جزء من علم الاجتماع العام: إن دراسة اللغة من حيث الظروف الاجتماعية التي تؤدي فيها وظيفتها، والتي تتطور فيها، تدخل في مجال الدراسة العلمية للمجتمعات، أي في مجال علم الاجتماع العام.

والحق أن كثيراً من التقدم الذي أحرزته الدراسة اللغوية حديثاً راجع إلى الاستعانة بحقائق من علم الاجتماع، وإلى وصل دراسة اللغة بدراسة المجتمع.

ب ـ ثم إن كثيراً من المعلومات الخاصة بنشأة اللغة الإنسانية، وبتطورها، وبصلة ذلك بالمخ الإنساني، وكثيراً من المسائل المتعلقة باكتساب اللغة، لا معدى في التعرض لها عن الاستعانة بعلم الأجناس

---

(١) فصلنا الكلام في العلاقة بين اللغة والمجتمع في كتابنا: «اللغة والمجتمع: رأي ومنهج»، فنرجو الرجوع إليه. (ط. المطبعة الأهلية، بنغازي، ليبيا سنة ١٩٥٨، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية).

البشرية (الأنثروبولوجيا)، وبعلم الوراثة[1]، وبعلم الحياة العام[2]، فضلاً عن علم الاجتماع.

جـ - إن أول ما ندركه من اللغة، «أصوات» أي ظواهر يدخل البحث فيها في مجال علم الطبيعة (الفيزياء)[3].

ولكن هذه الأصوات تصدر نتيجة تعاون طائفة من أعضاء الجسم الإنساني، كالرئتين والحنجرة، واللسان، والفم، والأنف، والشفتين، والأسنان... الخ وإذن فلهذه الأصوات أصل فسيولوجي[4]؛ ولن يتأتى توضيحها وإدراك حقيقتها إلا بدراسة بعض العلاقات القائمة بين أعضاء الجسم الإنساني المشتركة في إحداث الأصوات اللغوية، أي دون الاستعانة بعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا)[5]، وبعلم التشريح[6]؛ فعلم التشريح والفسيولوجيا يفسران «آلية»[7] الأعضاء المشتركة في تكوين الأصوات.

ثم إن علم اللغة يستقي كثيراً من المعلومات من الدراسات «الباثولوجية»[8] في «اضطرابات الكلام»[9] مثل «الأفازيا»[10].

---

(١) Genetics

(٢) General biology

(٣) Physics

(٤) Physiological

(٥) Physiology

(٦) Anatomy

(٧) Mechanism

(٨) Phathological

(٩) Speech-Disorders

(١٠) Aphasia =

د ـ وعلم اللغة شأن سواه من العلوم الاجتماعية، علم تاريخي على نحو ما فـ«اللغة» التي هي موضوعه لا غنى في دراسة تطورها وصلتها بالمجتمعات، وفي دراسة إنقسامها إلى لهجات، ودراسة ظهور «اللغات العامة، «لا غنى في دراسة ذلك كله وسواه، عن الاستعانة بمعلومات من التاريخ والجغرافيا.

= أنظر في تعريف «الأفازيا» كتاب «أمراض الكلام» للدكتور مصطفى فهمي، وأكثر علماء النفس عندنا على ترجمتها «الحبسة» أو «العقلة».

- ٧ -

علم اللغة وعلم النفس

ولكن «الكلام» ليس مجرد إصدار أعضاء من الجسم الإنساني لأصوات معينة. إن هذه الأصوات توجه إلى أذن، والسامع تقوم في ذهنه عمليات عقلية متعددة حتى تتحول الأصوات إلى «دلالات». والمتكلم نفسه - قبل أن يشرع في الكلام، وأثناء الكلام، وبعده أحياناً إن كان ينتظر إجابة مثلاً - تقوم في نفسه سلسلة من العمليات «العقلية» أو «النفسية»، فـ «فهم» الكلمات وبعض ما يتعلق بها من حيث تكوينها وسماعها مرتبط بسلسلة من العمليات العقلية.

ومن هذا، ومن كثير غير هذا، كان ارتباط علم اللغة بعلم النفس[1].

---

(١) من الموضوعات التي يستعين فيها علم اللغة بعلم النفس للكشف عن بعض الحقائق، موضوع العلاقة بين «الكلمة» و«الصورة» image. ونحن نعرض هنا خلاصة كلام في الشأن للأستاذ والتر ف. فارتبوج Walter V. Wartburg (الأستاذ بجامعة بال بسويسرا) عن كتابه الذي ترجمه من الألمانية إلى الفرنسية الأستاذ بيير مايارد Pierre Maillard بعنوان:

Problémes et Méthodes De Linguistique (... Paris, 1946, pp. 1 — 2).

إن كل مجموعة معينة من الأصوات يقابلها حالة وعي أو إدراك خاصة: فسلسلة الأصوات التي تكون الكلمة الفرنسية arbre (= شجرة) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، في مجال استعمال اللغة الفرنسية، بتمثيلها arbre. وهذا الارتباط قد يبدأ من الكلمة إلى التمثيل وقد يبدأ على العكس من ذلك من التمثيل إلى الكلمة؛ فما أسمع الكلمة حتى تنبعث الصورة image حالاً في عقلي esprit، وعلى العكس من هذا إذا انبعثت الصورة في عقلي فإنها تثير الكلمة ولو لم تنطقها=

إن علم اللغة يستعين بحقائق توصل إليها علم النفس العام ـ كما أنه يستعين بحقائق توصلت إليها علوم ودراسات أخر ـ ولكن ليس معنى هذا أنه يتخذ مناهج علم النفس ووسائله مناهج له ووسائل، كما أنه لا يتخذ مناهج علم آخر ووسائله.

* * *

يتضح مما سبق أن «اللغة» من حيث حقيقتها تتصل ـ كما قال والتر فاتبورج[١] ـ بالعناصر (= بالمكوّنات) الأساسية الأربعة للإنسان ألا وهي: الميدان الفيزيقي[٢]، والميدان العضوي[٣]، والميدان النفسي[٤]، والميدان الروحي[٥]. واللغة، من حيث وظيفتها، تحمل هذه الأربعة جميعاً على أن تتعاون فيما بينها تعاوناً فعالاً. وهذه الصفة المعقدة التي تتصف بها الظواهر اللغوية تجعل التحديد الدقيق للظواهر التي يشتغل بها علم اللغة أمراً بالغ الصعوبة[٦].

= أعضاء النطق. وهكذا فإنه يرتبط بكل مجموعة من الأصوات، عند الناطق بها وعند السامع إليها جميعاً، «تصور لغوي» concept linguistique.

ولكن اللغة قائمة في كل إنسان على أنها «استعداد» aptitude، وهذا الاستعداد ذو وجهين: استعداد للتعبير عن النفس بطريقة مفهومة، واستعداد لفهم ما يحدث عن السماع. وهكذا فاللغة لا يظهر منها إلا «جوانب»، فهي لا تكتسب وجوداً حقيقياً مجسماً بصورة فيزيقية، إلا عن طريق «الكلام» parole. أي أنه في كل كلام ننطقه أو نسمعه لا يرتفع إلى مرتبة الواقع الملموس إلا جزء ضئيل فقط من ذلك الكل الذي يكون حقاً قدرة الفرد على الكلام.

(١) op. cit., P. 1.

(٢) Physique

(٣) Organique

(٤) Moral

(٥) Spirituel

(٦) Op. Cit, P. 2.

- ٨ -

الفلسفة اللغوية

أ - إن إقامة «الفلسفة» اللغوية على أساس «منطقي» أو «عقلي» بات أمراً مرفوضاً. وتاريخ الدراسات اللغوية خير شاهد على عدم صلاحية المنطق أساساً للدراسة اللغوية؛ فالمنطق لا يمكن من تفسير كثير من الظواهر اللغوية، أو هو قد يفسرها بطريق التعنت والتعسف، وسبيل التأويل والتعقيد، أو قد يؤدي إلى الاستغراق في الجدال في مسائل لا طائل من ورائها، أو من وراء الجدال فيها.

١ - وهذه أمثلة شاهدة بفساد الاعتماد على أصل «منطقي» أو «عقلي» في إقامة الفلسفة اللغوية.

وأول ما يعرض من ذلك هو الصلة بين «النحو» و « المنطق، هذه الصلة التي كان يراها القدماء صلة «طبيعية» أو «لازمة»، أو كما نقول صلة «منطقية»!

ووصل النحو بالمنطق، يرجع إلى اليونان. «فالرواقيون» أنصار «زينون» الذين كانوا يردون كل شيء إلى المنطق، رأوا أن النحو ينبغي أن «يطابق» المنطق، وأن «الأقسام» (categories) النحوية ينبغي أن تطابق «الأقسام» المنطقية».

٢ - ففي رأيهم مثلاً أن هناك توافقاً بين علامة الجمع وبين فكرة

التعدد. هؤلاء أصحاب قياس ردّ عليهم من معاصريهم من يدخلون في حسابهم ما يشاهد في اللغة من «شذوذ» فقالوا: قد تدل الكلمة الجمع على مفرد[1].

٣ ـ كما ردوا على أصحاب القياس[2] في مسألة أخرى هي العلاقة بين «الجنس» في اللغة والجنس في الواقع؛ فقالوا إن التقسيم النحوي إلى مذكر ومؤنث و«ما بين المذكر والمؤنث» (ـ الوسط ـ المحايد...) لا يطابق التذكير والتأنيث وما بينهما في الواقع الطبيعي؛ واستنتجوا من ذلك أنه ليس ثمة تطابق لازم بين اللغة والواقع[3]. وقد عرف هؤلاء الأخيرون بأنهم «أصحاب التشذيذ» (المشذذون).

٤ ـ ومن الأمثلة العربية التي تبين أنه ليس ثمة تطابق لازم بين اللغة والواقع، أن اللغة العربية تعامل كلمات في المفرد معاملة المذكر بينما تعامل جمع هذه الكلمات نفسها معاملة المؤنث: ومن هذا «كتاب» و «حمّام»، و «قلم»، فكل من هذه مذكر بينما جمع كل منها، وهو «كتب» و«حمامات» و«أقلام»، يعامل معامل المؤنث. وكلمة «رجل» نفسها تجمع على «رجال»، ومن صور جمعها «رجالات»، والصورة اللغوية لكلمة «رجالات» هي صورة جمع المؤنث.

٥ ـ ولو كان التطابق بين اللغة والواقع لازماً لا تفقت اللغات جميعاً في تقسيم الأسماء من حيث الجنس ولكن نجد أن من اللغات، كالعربية، ما

---

(١) Blomfield, Leonard: Language, P. 4.

(٢) Analogists

(٣) Anomalists

أنظر: Bloomfield, Leonard: Language, pp. 4 — 5

يكتفي بتقسيم الاسم من حيث «الجنس» قسمة ثنائية ليس غير إلى مذكر» ومؤنث؛ ومنها كاليونانية ما يقسمه قسمة ثلاثية إلى مذكر» و«مؤنث» و«محايد» . كما نجد أن أسماء الذوات لا تتطابق في اللغات جميعاً من حيث الجنس، وأوضح مثال على ذلك «القمر» و«الشمس» . فالقمر مذكر في العربية مؤنث في الفرنسية، و«الشمس» مؤنثة في العربية مذكرة في الفرنسية .

٦ ـ «ولقد سلّم اليونان بأن بنية لغتهم اليونانية تبرز الأشكال العامة للتفكير الإنساني، لا بل ذهبوا إلى أنها قد تبرز الأشكال العامة للنظام الكوني بأسره . ولقد قاموا تبعاً لهذا بملاحظات نحوية، ولكنهم قصروها على لغة واحدة هي اليونانية، وقرروها في صورة فلسفية»[١] .

ولقد نتج عن تقديس آراء نحاة اليونانية التي تلقفها عنهم تلامذتهم اللاتين، الذين أخذ عنهم الأوروبيون المحدثون، أن ظل علماء اللغة، إلى ما قبل ظهور علم اللغة الحديث، يقيمون نظرياتهم اللغوية على أسس منطقية فلسفية .

* * *

ب ـ قد تكفي هذه الأمثلة لبيان قصور الفلسفة القديمة التي قامت على أساسها دراسة اللغة عند اليونان والرومان وفي العصور الوسطى، فالنظر في اللغة على أساس من «المنطق» الأرسطي أو من أي مذهب فلسفيّ نظر غير سليم، كما أن دراسة اللغة على أساس من علم النفس دراسة قاصرة غير سليمة . ودراستها على أساس «رياضي» أو «آلي» لا يؤدي إلى النتائج المرجوة .

---

(١) Bloomfield, Leonard: Language, P.5

٥ ـ التنغيم (انظر ص ٢١٠ ـ ٢١١)

يقوم «التنغيم» في لغات كثيرة بدور «مورفولوجي» هام: إنه يقوم بنفس الدور الذي يقوم به القسمان السابقان من «المورفيمات» فنجد في بعض اللغات صيغتين متماثلتين من الناحية الصوتية ولكن كلاً منهما تنطق بنعمة مخالفة فيكون لكل منهما معناها. وهذا واضح وكثير في لغات الشرق الأقصى، كالصينية، وفي بعض اللغات الإفريقية. وقد روى فندريس[1]. أن أصحاب اللغة الفهلية (في إفريقيا الغربية الفرنسية) إذا نطقوا mi warata بنغمة على الفتحة الأخيرة مماثلة نغمة سائر الجملة كان معناها «سأقتل» (أو «أقتل» في الحاضر الدال على العادة) أما إذا نطقت الفتحة الأخيرة بنغمة أعلى صار معنى الجملة «لن أقتل»[2].

٦ ـ و«الارتكاز» كذلك قد يكون «مورفيما» عندما يستعمل استعمالاً وظيفياً للتفريق بين المعاني، وقد عرضنا لهذا بشيء من التفصيل (ص ٢٠٦ - ٢٠٩ ـ الأمثلة في الصفحة الأخيرة).

٧ ـ و«الوقف» يعد عنصراً مورفولوجياً هاماً. و«الصمت» كالوقف يؤدي ما تؤديه «النغمة» أو «الارتكاز» وسوى ذلك من «المورفيمات»، ونستطيع أن ندرك دلالة «الوقف» و«الصمت» من ملاحظة لتلاوة القرآنية.

٣ ـ والقسم الرئيسي الثالث والأخير من «المورفيمات» هو الموضع الذي تحتله الكلمة (الدالة على «المعنى» أو «التصور») في الجملة. ففي

---

(١) اللغة: ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) للأستاذ كنث ل. بايك كتاب بعنوان: «تنغيم الإنجليزية الأمريكية» يبين كيف أن تنغيم الإنجليزية جزء أساسي من نحوها.

Kenneth L. Pike: The Intonation Of English. Ann Arbor: University of Michigan; 1946.

بعض اللغات يحدد موضع الكلمة من الجملة علاقتها بسائر الكلمات، ولو تغير موضعهـا لتغير معنـى الجملـة، فالموضـع في هذه اللغـة له قيمـة مورفولوجية، والمثال التقليدي الذي تورده الكتب الفرنسية خاصة هوPierre frappe Paul (بيير يضرب بولَ) فلو نقلنا Paul (بـول) مكان Pierre (بيير) لأصبح «بول» هو الضارب و«بيير» هو المضروب، إن كل كلمة من كلمات هذه الجملة لا يحدد دورها في الجملة أي عنصر صوتـي (إلا كلمـة frappe التـي تتميز بنغمـة الصفـر في مقابـل frappez, frappons . . . الـخ). ويقابـل هذا في اللاتينية Petrus caedit Paulum (بطـرس يضـرب بولَ) ففي كلمة Petrus لاحقة هي us وهذه اللاحقة «مورفيم» يدل على أن الاسم في حالة رفع؛ وفي كلمة Paulum لاحقة هي um تدل على أن الاسم في حالة نصب، ويجوز في اللاتينية وضع Paulum موضع Petrus مع بقاء المعنى واحداً، ويعين على فهم المعنى في هذه الحال أن كل اسم به لاحقة تحدد حالته الإعرابية[1].

ب ـ النظم[2] أو «التنظيم»

بعد أن يصل اللغوي إلى تحديد الأقسام الشكلية[3] الخاصة بالمورفيمات وبالكلمات ينتقل إلى النظر في «نظم» الكلام».

والنظم يعني أول كل شيء، بترتيب الكلمات في جمل: أي أنه يدرس الطرق التي تتألف بها الجمل من الكلمات. فدراسة النظم في جوهرها هدفها تحديد القواعد المألوفة في ترتيب الأقسام (= الطبقات) الشكلية.

---

(١) فندريس: اللغة ص ١١١ ـ ١١٢.

(٢) أنظر: John B. Carroll: The Study Of Language; p. 24, pp. 47 — 40.

(٣) Form Classes

وللنظم علاقة وثيقة بالمورفولوجيا وذلك لأن التركيبات المورفولوجية في لغة من اللغات عادة ما تحكمها إلى درجة كبرى الترتيبات النظمية. أي الترتيبات التي يتبعها نظم الكلم، ولأن الوحدات التي تبْنى منها الجملة تتكون من كلمات على أنها (أي الكلمات) أعضاء من أقسام شكلية (كالاسم، أو الفعل... الخ) وهكذا فالأغلب أن يدرس المورفولوجيا و«النظم» الخاصان بلغة من اللغات، معاً، وفي بعض الحالات يدرس الاثنان على أنهما طبقة واحدة (أو قسم واحد) من طبقات (= أقسام) الظواهر اللغوية.

والنظم يدرس في نفس الوقت تنظيم العبارة البسيطة التي ترد إلى قضية واحدة، وتنظيم العبارة المركبة التي تضم قضايا متعددة[1].

جـ ـ منهج المورفولوجيا ومنهج النظم

قد يعين على إدراك منهجي المورفولوجيا والنظم اللذين تتبعهما الدراسة اللغوية الحديثة أن نبدأ بمقارنتهما بالطرق التقليدية التي كانت متبعة في علاج هذين الموضوعين، ثم نأخذ في بيان خصائص المنهجين الحديثين وأوجه الدقة فيهما.

وسنلخص هذا الكلام عن الأستاذ جون ب. كارّول[2] فإن عرضه لهذه المسألة من أوضح وأبسط ما صادفناه في هذا الشأن.

يقول الأستاذ كارّول:

إن المنهج التقليدي المتبع في دراسة المورفولوجيا و«النظم» هو

(١) أنظر John B. Carroll: The Study Of Language; p. 24, pp. 37 — 40.

(٢) John B. Carroll: The Study Of Language pp. 37 — 40

التحقق من «أقسام الكلام» المختلفة (الاسم، الفعل، . . . الخ) وملاحظة التغيرات التي تطرأ عليها من الناحية الشكلية في الظروف النحوية المختلفة، ووصف ترتيب هذه الأشكال في جمل كاملة طبقاً «لمعاني» هذه الجمل.

وكان الاعتقاد أن لكل قسم من أقسام الكلام وظيفة محددة: فالأسماء مثلاً تدل على «الأشياء» وأحياناً على «الأشخاص»، والأفعال تدل على «الأحداث»، و«الصفات»[1] تدل على «الكيفيّات».

هذه الطريقة ثبتت صلاحيتّها عندما طبّقت على لغات من العائلة الهندو أوروبية ولكنها تحتاج إلى تعديلات جوهريّة عندما تطبق على لغات معينة تختلف بنيتها[2] اختلافاً ظاهراً عن النموذج العام لبنية اللغات الهندو أوروبية. بل إن هذه الطريقة تؤدي إلى خلط كثير وإلى نتائج غير متناسقة عندما تطبق على لغات مألوفة مثل الإنجليزية؛ فالتصور الخاص بالفعل مثلاً ينبغي تعديله عند دراسة الإنجليزية وذلك باعتبار ما إذا كان الدارس ينظر فيما يسمى «الأفعال الروابط»[3] مثل be أو seem، أو ينظر في أنواع أخرى من الأفعال مثل make, hit أو happen إذ لا نستطيع اعتبار كل هذه الأفعال دالة على «أحداث»؛ كما أن هذه الأفعال لا تقع دائماً في نفس المواضع في تركيبات الجمل. إن الخطأ الأساسي في الطرق التقليدية في المورفولوجيا والنظم أن المبادىء التي قامت عليها بالإضافة إلى عنايتها البالغة بالتحليل المنطقي إلى أقسام (= فصائل) على أساس المعنى قد أديا إلى معرفة نتائج التحليل مقدماً[4].

---

(١) Adjectives

(٢) Structure

(٣) Copulative Verbs

(٤) للأستاذ ر. هـ. روبنز R. H. Robins مقال قيم موضوعه

. . . .

= The Objectives of Formal Grammar; India Linguistics - Turner Jubilee, Volume I, 1958 pp. 22 — 30.

عرض فيه للصفة «الشكلية» التي يتميز بها التحليل النحوي الحديث. وهذه خلاصة بعض ما جاء في هذا المقال:

يرى أغلب اللغويين في أيامنا أن «النحو»، أو، إن شئنا الدقة، أن «التحليل النحوي» Grammatical Analysis ينبغي أن يكون «شكلياً» Frormal إذا أريد له أن يكون جزءاً صالحاً من «الدراسة اللغوية الوصفية» Descriptive Linguistics ولكن على الرغم مما يبدو بين هؤلاء اللغويين من إجماع ظاهر فثمة خلافات ظاهرة بعضها ملموس وبعضها ضمني سواء كانت هذه الخلافات متعلقة بالأسس النظرية، أو كانت جزءاً من وصف لغة معينة وتحليلها.

ثم عرض الأستاذ روبنز مبادىء ومناهج التحليل النحوي باعتباره جزءاً من علم اللغة العام. وأهم ما يحرص عليه التحليل النحوي هو أن يتحرر، وأن تتحرر «الفصائل النحوية»، من الاعتماد اعتماداً كلياً صارماً على الأقسام التقليدية «للمعنى». وإن هذا الاعتماد قد أوصل أحياناً إلى نتائج غير منطقية.

ولكن بقايا المقياس غير الشكلي والتصنيف غير الشكلي لا تزال ماثلة حتى اليوم في كثير من التحليلات النحوية ومن الأقوال النظرية.

ما الذي يدعو إلى نبذ القياس القائم على «المعنى» في التحليل النحوي؟ يجدر بنا أن نقول أول كل شيء إن كلمة «المعنى» من الكلمات غير الدقيقة في الدراسة اللغوية. وبناء على تفسير من تفسيرات هذه الكلمة، أي المعنى، نقول إن كل ما نقرره لغوياً هو تقريرات عن المعنى على مستويات مختلفة متنوعة، ولكن هذا التفسير كذلك يستدعي التمييز الحاد بين المستويات المختلفة، يستدعي فصل المعنى على المستوى النحوي، من المعنى على «المستوى» الدلالي semantic level، كما يستدعي تجنب الشروح الفكرية أو «العقلية» Mentalist على أي مستوى من المستويات. إن «معنى» أي عنصر على أي مستوى من المستويات، ينبغي أن يفسر من حيث كيفية استعماله، ومن حيث علاقته بغيره من العناصر في اللغة موضوع الدرس؛ كما ينبغي أن يفسر على المستوى الدلالي، من حيث علاقته بالعالم الخارجي؛ أي من حيث العناصر غير اللغوية التي لها صلة بالمعنى كشخصية المتكلم؛ وشخصية المخاطب؛ وسائر ظروف الكلام.

وقال الأستاذ روبنز:

إن النحو مسألة خاصة بالشكل اللغوي؛ وإن التحليل النحوي جزء من تحليل «الشكل النحوي» =

ولقد نجح علم اللغة الحديث في التغلب على هذا الاتجاه العقلي، وفي خلق تحليلات موضوعية للغة. وإن اللغويين ليجابهون صعوبات بالغة في القيام بهذه التحليلات ولكن أصول المنهج الحديث أصبحت راسخة.

إن اللغوي يبدأ تحليله بالوصول إلى «فونيمات» اللغة التي يدرسها، ثم يبحث بعد ذلك عن طرق يقسّم بها الكلام المنطوق إلى وحدات «شكلية». وإن كل وحدة شكلية تتكون من مجموعة من الفونيمات، وسيجد مجموعات كبيرة من الفونيمات كثيرة الورود في المادة التي يحللها، ولكنه لا يستطيع الجزم بأن كل هذه المجموعات تكوّن وحدات حقيقية في اللغة، فربما كان بعض هذه المجموعات يتألف من نهاية وحدة وبدء الوحدة التالية. ولكن من حسن الحظ أن في كل لغة بعض الخصائص (=السمات) «التكوينية»[1] من شأنها أن تهدي للوصول إلى الحدود بين الوحدات. فالوحدات في الإنجليزية مثلاً تحدها خصائص من «الارتكاز»، و«درجة» جهر الصوت، وخصائص أخرى متعلقة بالسياقات الصوتية. ويستطيع اللغوي بالاهتداء بهذه الخصائص التكوينية وبغيرها من الظواهر أن يحدد ما يسمى «المورفيمات» الخاصة باللغة. وهذا تعريف بلوخ وتراجر[1] للمورفيم: (وهما من كبار لغويي المدرسة الأمريكية، وتعريفهما للمورفيم يخالف ما أوردناه من تعريف فندريس):

«أي شكل، سواء أكان حرّاً أم مقيداً، لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء

= ولذلك فإن إقامة فصائل نحوية، وإن الوصف النحوي على أساس «المعنى»، كما يفهم بوجه عام، أو على أساس من المعنى على مستويات غير المستوى النحوي، هما نتيجة لهذا غير ذوي شأن بالنحو.

(١) Constructive Features

Bloch And Trager£

Outline of Linguistic Analysis; Blatimore; Linguistic society of America, 1942; p. 52.

أصغر [أي إلى أشكال أصغر] هو مورفيم . وهكذا فالكلمات person, play, man كلمات كل منها مكوّن من مورفيم واحد؛ أما manly, personal, played فكلمات مركبة لما كان كل منها يحتوي على مورفيم مقيد(al, — — ed; — ly) » .

وبعد تحديد مورفيمات اللغة يأخذ اللغوي في دراسة الطرق التي تأتلف بها المورفيمات في كلمات، والطرق التي تتغير بها المورفيمات في التركيبات النحوية المختلفة وهذه الدراسة تعرف باسم المورفولوجيا. ثم يأخذ في دراسة النظم (وقد سبق التعريف به) .

قال الأستاذ فرايز: [1] إن نحو لغة من اللغات يتكون من الوسائل (= الصور) التي تحدد المعاني الخاصة بالبنية[2] .

و«معاني البنية اللغوية» هي تلك المعاني التي تحملها نماذج من الترتيب واختيار الأقسام الشكلية في مقابل «المعاني القاموسية»[3]، معاني الأشكال ذاتها، ومن أمثلة «معاني البنية» التي يحددها تركيب الجملة تلك المعاني التي تدور على ما إذا كانت الجملة تقريراً، أو استفهاماً، أو رجاء الخ . ومن «معاني البنية» ما يتعلق بالأدوار التي تؤديها العناصر المختلفة المشار إليها («مَن» أو «ماذا» الذي أحدث الحدث . . . الخ) ، والزمن النسبي الذي يصدق عنه القول . وإن تقرير «معاني البنية» الخاصة بالجنس، و«زمن الفعل»، و«هيئة الفعل») الخ جزء من وصف نظام أي لغة من

---

(١) Charles C. Fries: The Structure of Enhlish; an introduction to the construction of English sentences; New York: Harcourt, Brace, 1952, p. 56.

(٢) Structural Meanings

(٣) Lexical Meanings

اللغات. ومع ذلك بنغي أن نتحقق من أن هذه المعاني ليست إلا معاني «شكلية» و«خاصة بالبنية[1] (انتهى عرض كلام الأستاذ كارّول).

د ـ الفصائل، أو، الأقسام، النحوية[2]

١ ـ رأينا أن «المورفيمات» تعبر عن «معان» نحوية كالجنس (مذكر: مؤنث ـ مذكر: مؤنث: محايد)، والعدد (مفرد: مثنى: جمع ـ مفرد: جمع)، والشخص، (متكلم: مخاطب: غائب الخ)، وزمن الفعل (ماض:

---

(١) من الدراسات الحديثة الخاصة بالمورفولوجيا والنظم، غير ما أشرنا إليه، وغير المتداول في الكتب العامة عن «اللغة» وعن علم اللغة:

— Zellig S. Harris: From Morpheme to Utterance ("Language"; 22, pp. 161 — 183)

وقد أعيد نشر هذا المقال في:

Readings In Linguistics; pp. 142 — 153.

ولنفس الكاتب مقال آخر بعنوان:

— Morpheme Alternants in linguistic Analysis; ("language" 18. pp. 169 — 180) "Readings... pp. 109 — 115.

ولنفس المؤلف كتاب بعنوان:

— Methods in Structural Linguistics; Chicago: University of Chicago Press; 1951.

— Eugene A. Nida: Morphology: the descriptive analysis of Words; Ann Arbor: University of Michigan Press; 1946.

— George L. Trager & Henry Lee Smith; An Outline of English Structure; Norman, Okla; Battenburg Press. 1951.

(٢) Grammatical Categories

أنظر فندريس: اللغة ص ١٢٥ ـ ١٥٤.

— John B. Carroll: The Study of Language: A Survey of Linguistics & Related Discipline in America? Harvard University Press, Cambridge, Third printing Massachusetts; 1959, Printed in the United States of America (Copyright 1953) pp. 41 — 42.

— Bloomfield£ Language, p. 204, pp. 260 — 273. p. 388, p. 408.

— Margarest Schlauch: The Gilft of Tongues. pp. 251 — 252.

حاضر: مستقبل . . . الخ) والملكية (= الإضافة أو التبعية) الخ.

هذه المعاني، وأمثالها، تسمى «الفصائل النحوية» وهي متعددة متنوعة مختلفة عدداً ونوعاً باختلاف اللغات؛ ولذلك فعلى الباحث ألا يتوقع أن يجد في اللغة الأجنبية التي يدرسها، إن كان يدرس لغة غير لغته، نفس الفصائل النحوية عدداً ونوعاً: قد يجد في اللغة موضع الدرس فصائل نحوية جديدة. والمعوّل في تحديد الفصائل، كالمعول في الدراسة النحوية عامة، إنما هو على ما يؤديه الكلام من وظيفة، وعلى الشكل الذي تتخذه الكلمات فيما بينها.

كما أن تاريخ اللغات يظهر أن عنصراً من عناصر فصيلة من الفصائل كزمن من أزمان الفعل مثلاً قد ينتهي استعماله في عصر من العصور، وقد يظهر زمن فعلي جديد[1].

ولكن مع أن «الفصائل النحوية» نسبية تبعاً للغات فإن «الموفولوجيا العامة» ترى من واجبها أن تصنف هذه الفصائل، وأن تصل إلى «ماهيتها»، فذلك أساس معين في تكوين النظرية العامة في اللغة وفي تطورها.

قال بلومفيلد: «إن على لغويي المستقبل واجباً هو أن يقارنوا بين الفصائل النحوية الخاصة بلغات مختلفة، وأن يحددوا الخصائص (= السمات) العالمية أو على الأقل تلك المنتشرة انتشاراً واسعاً»[2]. ولا يزال علماء اللغة يرددون حتى اليوم هذا الكلام نفسه: فهذا الواجب لم يحقق بعد على وجهه المرجوّ. يقول جون ب. كارول: [3] إن تحديد الفصائل النحوية

---

(١) انظر مثالاً على هذا في كتاب فندريس: اللغة ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) Bloomfield: Language, p. 270.

(٣) John B. Carroll: The Study of Language; p. 42.

التي تستعملها لغة ما خطوة هامة في الدراسة اللغوية الوصفية. ومنذ أخذ لغويو الغرب يحللون لغات تختلف من النموذج الهندو أوروبي وهم يدركون أهمية الفصائل النحوية وصلتها بالتفسير النفسي للأحداث اللغوية.

ولكن حتى الآن، لم تسنح الفرصة أمام اللغويين ليعدوا عرضاً منهجياً منظماً لذلك التنوع في الفصائل النحوية في لغات العالم، وهم عادة يقصرون دراستهم على لغات مختارة. ولكن هذا عمل يجب أداؤه حالاً. وإن جانباً كبيراً من المعلومات الخاصة به متوفر ولكنه يحتاج إلى الفحص والتجميع.

٢ ـ وتأخذ الآن في الحديث عن فصيلة نحوية هامة هي «الجنس»:

١ ـ إن «الجنس» اللغوي يجري على «منطق» خاص بمعنى أن الجنس اللغوي لا يطابق الجنس في الواقع الطبيعي؛ فالاصطلاح وحده هو الذي «ذكر» الهواء» وأنث «الأرض» و«السماء» في العربية. (أنظر ما قدمناه عن ذلك عند كلامنا عن وصل النحو بالمنطق ص ٧٤ ـ ٧٩).

و«الجنس» من الفصائل النحوية الهامة التي تبرز في أكثر اللغات منذ أقدم العصور بروزاً قوياً: فاستعمال علامات دالة على أن هذا الاسم متميز من ذاك من حيث الجنس أمر كانت تحرص عليه تلك اللغات حرصاً بالغاً. وأحياناً يكون «الجنس» هو المميز الوحيد بين كلمتين مختلفتين معنى متماثلتين من الناحية الصوتية[١].

(١) من ذلك في الفرنسية: Poids «بوا» بمعنى «الوزن» تنطق مثل Poix «بوا» بمعنى «القار» ـ وإن اختلفتا كتابة ـ ولكن الأولى مذكرة فيقال: Le Poids والثانية مؤنثة فيقال la Poix. وكذلك le Pere بمعنى «الأب» لا تتميز من La Paire بمعنى الزوج» (من حيث العدد إلا من حيث الجنس. وكذلك le livre بمعنى الكتاب تتميز من la livre بمعنى «الرطل» أو «الجنيه» بالجنس وحده. (فندريس «اللغة»، ص ١٢٧).

٢ ـ ودراسة «الجنس» دراسة تاريخية، تبين أنه، كالأصوات، وكالمعاني مثلاً، خاضع للتغير. وتاريخ اللغات الجرمانية والكلتية مثلاً يظهر أن الجنس في هذه اللغات خضع لتغييرات عديدة[1].

٣ ـ وواضح أن اللغات لا تسير على نمط واحد في التمييز بين الأسماء من حيث الجنس، فإذا كانت العربية لا تميز إلا بين مذكر ومؤنث، فالإغريقية تقابل المذكر بالمؤنث بـ«المحايد».

١ ـ وإذا نظرنا إلى الأسماء العربية وجدنا أن منها ما لا يدل على تأنيثه أي علامة تصحبه، وأن منها ما يعين على تحديد جنسه علامة تلحقه هي التي نسميها علامة التأنيث: كالهاء في «ثمرة» و«كلمة»، وألف التأنيث في «حبلى»، وألف التأنيث الممدودة في «زرقاء». ولكن هذه العلامات مع ذلك ليست علامات محددة بطريقة قاطعة؛ فليس كل اسم عربي ينتهي بالهاء مؤنثاً؛ فـ«معاوية» علم على رجل، ونحن نقول «قال معاوية» لا «قالت معاوية»؛ وليس كل اسم ينتهي بألف مقصورة مؤنثاً فـ«الهوى» و«الجوى»، مذكران. وما كل اسم مختوم بألف ممدودة يعامل معاملة المؤنث في لغتنا فـ«الهباء» و«الفناء» و«الغباء» كلمات مذكرة.

والاسم المذكر لا تصحبه علامة تحدد تذكيره فإن قلنا إن خلوه من علامة التأنيث هو نفسه علامة، ورد الاعتراض السابق وهو أن بعض الأسماء المذكرة تظهر فيها «علامات» هي من الناحية الشكلية نفس «العلامات» التي

---

(١) ذكر فندريس «اللغة ص ١٢٧ ـ ١٢٨» أن من الكلمات الفرنسية التي تنتهي بنهاية مؤنثة ولكن اللغة الفرنسية السليمة تعاملها معاملة الذكر، ما يستعمل مؤنثاً في اللغة الدارجة وذلك مثل exercice (تمرين)، orage (عاصفة)؛ ouvrage (عمل). وذكر أن الكلمتين Prophete (نبي) و Pape (بابا = رئيس ديني) استعملتا مؤنثتين في العصور الوسطى بسبب ما في آخرهما من نهاية مؤنثة.

تظهر في بعض الأسماء المؤنثة. وحتى العلامات الإعرابية الخاصة التي تصحب بعض الأسماء المؤنثة، كالمنع من الصرف ليست مطردة فإن منع «حمراء مثلاً من الصرف لا يكون إلا في حالتي عدم إضافتها، وعدم تعريفها بالألف واللام.

إن العلامات الشكلية التي تحدد تذكير الاسم أو تأنيثه في العربية تتحقق أساساً في «الإسناد» و«الصفة» فالذي يبين أن «السماء مذكرة أو مؤنثة هو وصفها كأن نقول «السماء الصافية» لا «الصافي»، أو الإخبار عنها كأن نقول «أمطرت السماء» لا «أمطر».

٢ ـ والفرنسية الحديثة لا يحدد فيها تذكير الاسم أو تأنيثه علامة شكلية تلحق الاسم: إن الأداة والصفة اللتين تصحبان الاسم هما اللتان تختلفان صيغة تبعاً لاختلاف الجنس: فالمذكر تصحبه الأداة le ، يقال: le soleil («الشمس» وهي مذكرة في الفرنسية)؛ والمؤنث تصحبه الأداة la ، يقال: la fille ، («الفتاة») غير أن الأداة واحدة قبل الأسماء التي تبدأ بصوت صائت، يقال l'nnee, l'amour والاسم الأول مذكر والثاني مؤنث؛ وقد يوصف هذا الاسم أو ذاك بصفة مبهمة الجنس، أي صفة تنتهي بعلامة من العلامات المستعملة للتأنيث ولكنها تصحب بعض الأسماء المذكرة، فلا يعبر عن الجنس شيء في هذه الحال.

٣ ـ ويبدو الجنس في صورة خاصة في بعض اللغات الأمريكية والإفريقية: فاللغة الألجلونكية تميز بين جنس حي وجنس غير حيّ؛ ولغة الماساي في شرق إفريقية تستخدم جنساً لما هو كبير قوي في مقابل جنس لما هو صغير ضعيف[١].

---

(١) انظر التفصيلات في فندريس اللغة ص ١٣١ ـ ١٣٢.

هـ ـ عن أصول النحو الصوفي

١٠ ـ معاني «الأشكال النحوية»[1] :

١ ـ إن لـ «الأشكال النحوية» «معاني» من الناحية النحوية ومن الناحية «المعجمية» (أو «القاموسية») ؛ هذه المعاني تحددها العلاقات المتبادلة بين الأشكال في النظم النحوية القائمة في اللغة. إن معنى «المذكر» في اللغة التي تقسم الاسم إلى مذكر ومؤنث ليس غير، غير معنى المذكر في اللغة التي تقسم الاسم إلى «مذكر» و«مؤنث» و«محايد». والاسم «المفرد» في اللغة التي تتبع «نظاماً» ثنائياً في تقسيم الاسم من حيث العدد إلى «مفرد» وإلى «جمع» (الجمع هنا ما زاد على واحد) ذو معنى نحوي غير المعنى النحوي للمفرد في اللغة التي تتبع في تقسيم الاسم من هذه الناحية نظاماً ثلاثياً «مفرد» و«مثنى» و«جمع»، كاللغة العربية : فـ«المفرد» في اللغة الأولى يقابل الجمع الذي يبدأ باثنين فصاعداً. أما في اللغة الثانية فيقابل «المثنى» ويقابل «الجمع» الذي يبدأ بثلاثة فصاعداً. والمعنى النحوي للمفرد في كلتا هاتين اللغتين غير المعنى النحوي للمفرد في اللغة الفيجية[2] التي تميز من الناحية الشكلية بين «مفرد» و«مثنى» وجمع صغير» و«جمع كبير»[3].

---

(١) Linguistics Froms

هذا الكلام ملخص عن :

J. R. Firth: General Linguistics And Descriptive Grammar; Transactions of the Philological Society, 1951.

ونشر هذا المقال مع مقالات الأستاذ فيرث المجموعة بعنوان :

Papers In Linguistics; London; Oxford University Press, 1957; pp. 216 — 228.

(٢) Fijian

(٣) J. R Firth: General Linguistics And Descriptive Grammar p. 227 (Papers In Linguistics).

٢ ـ و«الفصيلة النحوية» نفسها يختلف معناها باختلاف اللغات: فـ «الاسم فصيلة نحوية يتحدد معناها باعتبار ما تقابله في اللغة موضوع الدرس: فمعنى الاسم في اللغة التي تتبع «نظاماً نحوياً، ثلاثياً تنقسم فيه الكلمة إلى «اسم» و«فعل» و«أداة» يختلف عن معنى الاسم في نظام نحوي خماسي تنقسم فيه الكلمة إلى «اسم» و«فعل» و«أداة» و«صفة» و«ضمير»، فمن اللغات ما يميز كلا من الصفة والضمير من «الاسم» و«الفعل» والأداة» من الناحية الشكلية.

٣ ـ إن «النظام الداخلي للعلاقات» هو أساس الوصف النحوي السليم وهو نظام يقرر المعاني على المستوى النحوي في مصطلحات وظيفية مناسبة للغة موضوع البحث[١].

إن نموذج «العلاقات المتبادلة»[٢] بين «العناصر الشكلية»[٣] للغة من اللغات هو الذي يحتفظ به ويحققه كل متكلم من أهل هذه اللغة جزءاً من حياته اليومية[٤].

٢ ـ وصايا للواصف النحوي[٥]:

١ ـ من المبادىء العامة المقررة في الوصف النحوي ان معاني «الأشكال النحوية»، على المستوى النحوي، وعلى المستوى «المعجمي» (أو «القاموسي») ينبغي أن يحدد بالنسبة لنظام اللغة موضوع البحث[٦].

---

(١) Firth: op, cit; p. 228.

(٢) Mutual Relations

(٣) Formal Elements

(٤) المرجع السابق.

(٥) هذه الوصايا ملخصة عن مقال فيرث السابق.

(٦) J.R. Firth. p. 222.

٢ ـ ومن المباديء العامة المقررة في الوصف النحوي كذلك أن المبدأ الأساسي في وصف «النظام النحوي»(١) هو أن يتجنب الباحث أن يدخل مقدماً تصنيفات سابقة، وألا يعترف إلا بالأقسام اللغوية التي تعبر عنها اللغة موضوع البحث بطريقة «شكلية» (من هذه الأقسام: الاسم والفعل، الخ)..

٣ ـ ثم إنه على الواصف النحوي عندما ينظر في «الأقسام النحوية» التي تعبر عنها اللغة بطريقة شكلية أن يحدد قائمة بعناصر هذه الأقسام، وأن يقرر توزعها، ووظيفتها، ومعناها على المستوى النحوي في مصطلحات خاصة بالنظام النحوي الذي تتبعه اللغة، وفي علاقة ذلك بظروف الاستعمال في الواقع.

٤ ـ كما أن على الباحث أن يحدد بعناية «مدى» استعمال هذه الأقسام في اللغة، وأن يبين الوسائل التي تتضح بها في أجلى صورة.

٥ ـ وعلى الباحث أن يدخل في اعتباره على الدوام المقاييس المورفولوجية و«النظمية»(٢)، أي أن يدخل في اعتباره «البنية الشكلية»(٣) والظروف الاجتماعية الكائنة عند نطق الكلام.

٦ ـ وعلى الباحث، على الدوام، أن يقيم هذه «الأقسام» على أسس «شكلية» لا «تصورية» أو «فلسفية».

٧ ـ وإذا كان «الكلام» المتخصص» أو «اللغة المتخصصة» تتحقق فيها «قواعد» خاصة، وهذا هو الذي يحدث في أغلب الأحوال، فعلى

---

(١) Grammatical System

(٢) Syntactical

(٣) Formal Structure

الباحث أن يشير إلى الفروق بين «القواعد» التي تسير عليها اللغة في الكلام العادي المألوف وبين تلك التي تسير عليها اللغة المتخصصة، كلغة الدين، أو لغة السياسة أو لغة الاقتصاد الخ.

٨ ـ ويحدث في معظم اللغات أن يعامل الكلام «الدخيل»، أي المستعار من لغة أجنبية، معاملة خاصة؛ ومن ذلك أن الأسماء الأعجمية عندما تدخل العربية «تمنع من الصرف» مثلاً، فعلى الباحث أن يتبع «سلوك» الكلام الأجنبي في اللغة التي يدرسها.

٩ ـ على الواصف النحوي عندما يعرض «الأقسام النظمية»[١] (مثل نظام الفعل) أي يلقي انتباهه للطرق المتنوعة التي يلجأ إليها «الكلام المنطوق» «لتحليل» أو «تركيب» هيئات حالة معقدة. كما أن عليه أن يلقى انتباهه كذلك إلى الظروف الاجتماعية التي تستعمل فيها هذه الأقسام. فإذا كانت اللغة التي يدرسها لغة تستعمل نظاماً من الفعل» معقداً فعليه أن يحدد الأحوال التي يتضمنها استعمال الأقسام المختلفة للفعل.

وعلى الباحث أن ينتبه إلى عناصر البنية التي لها «وظيفة نظمية»[٢]، وذلك كالنفي، والنهي، والاستفهام، والوصل، والفصل الخ، وأن يستشهد بأمثلة توضح العلاقات القائمة بين هذه العناصر[٣].

---

(١) Syntactical Categeories

(٢) Syntactic Function

(٣) المرجع السابق pp. 223 — 224

مما لم نشر إليه من الكتب والبحوث المتصلة بالنظرية النحوية، وتمثل وجهات نظر مختلفة:

— Jespersen, Otto; The Philosophy of Grammar; "First Published In 1924 — Reprinted 1948",

= London, George Allen & Unwin Ltd.

- ٤ -
النحو المقارن

تبرز في الدراسة اللغوية ثلاثة مناهج أساسية للقيام بأنواع أساسية ثلاثة من الدراسة هي: المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن للدراسة الوصفية، والدراسة التاريخية، والدراسة المقارنة.

والدراسة الوصفية هي أساس الدراستين التاريخية والمقارنة (أنظر ما يلي). وسنتخذ الكلام على «النحو المقارن» سبيلاً للتعريف بهذه الدراسات الثلاث.

أ ـ الدراسة اللغوية الوصفية

إن ما يسمى الدراسة اللغوية الوصفية»[١] يختص بفترة محدودة من تاريخ لغة من اللغات مستعملة في مكان محدود. فنحن مثلاً لا نستطيع أن ندرس اللغة العربية في تاريخها الطويل دفعة واحدة، لأنها لم تكن في

= — Hjelmslev, Louis: Principes de Grammaire Generale; Copenhagen, 1928.

— Firth, J. T.: Structural Linguistics; Transactions of The Philological Sociecy of Great Britain; 1955, p.. 83 — 103.

— Mitchell,, T.F.. Syntagmatic Relations in Linguistic Analysis; Transactions of The Philological Society of Great Britain; 1958; pp. 101 — 118.

(١) Descriptive Linguistics

تاريخها الطويل «شيئاً واحداً» ثابتاً ينتقل من جيل إلى جيل دون تغير بأي صورة من صور التغير، وفي أي جانب من جوانب اللغة.

لقد درجنا على أن ندرس الأدب العربي دراسة علمية، فتقسيمنا لتاريخ الأدب العربي الطويل إلى مراحل زمنية، وبيئات مكانية بديهية من البديهيات.

ولكن كثيراً من دارسي اللغة عندنا لا يميزون بين «الدراسة الوصفية» للغة، و«الدراسة اللغوية التاريخية»[1].

ولكن «الدراسة اللغوية التاريخية» لا يتأتى قيامها على وجهها العلمي الصحيح دون الدراسة الوصفية للمراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة موضوع الدرس.

إن النظر في تاريخ اللغة العربية مثلاً يظهرنا على معالم أساسية تتخذ شبه «فواصل» بين مرحلة سابقة ومرحلة لاحقة: نعم إن الاستعمال اللغوي غير متوقف أبداً، إنه متغير على الدوام؛ متغير في الفرد الواحد في مراحل عمره، ومتغير في البيئة الكلامية الواحدة حسب المهنة والحرفة، وحسب الأعمار، وحسب المستوى الاجتماعي... الخ. وإنه لمتغير حسب القرى والبلدان التي تضمنها البيئة الكلامية، بل حسب الأحياء في البلدة الواحدة؛ ولكن الباحث اللغوي يضطر إلى أن يتغاضى عن أمثال هذه التغيرات إذا أراد أن يدرس اللغة دراسة تاريخية، لأنه إذا استغرقته هذه التفصيلات عاقت سيره، وأضحت نتائجه غامضة مبهمة. وذلك كما يتغاضى مؤرخ الأدب عن الخلافات والفروق في العصر الواحد في سبيل تحديد عصور أدبية تيسر له تأريخ الأدب.

---

(١) Historical Linguistics

ولكن ليس معنى هذا التغاضي أن الخلافات والفروق داخل العصر الواحد لا تسجل : إنها لتسجل وتقوّم بطبيعة الحال ، أو يسجل ويقوم أهمها ، ولكنها توضع في موضعها الحق ، ولا تعوق تقسيم تاريخ اللغة ، أو تاريخ الأدب ، إلى عصور محددة الأوائل والخواتيم .

وليس معنى «انتهاء» عصر لغوي و«ابتداء» عصر لغوي تال ، أن التغيّر اللغوي الكبير الذي نتخذه فاصلاً بين عصرين يحدث فجأة . وأن الناس يغيّرون من لغتهم تغييراً كبيراً في عام أو عامين ؛ فالتغيير ، كما قلنا ، دائم مستمر ، ولكن اللغوي ، يجد أن بعض مظاهر هذا التغير قد ازدادت وتجمعت في فترة من الفترات لعوامل معقدة اجتماعية وسياسية وتاريخية الخ . بحيث يدعوه المنهج العلمي إلى وضع حد تاريخي عند هذه الفترة : ولكن من المسلم أن «التداخل» ، أو «الخضرمة» متوفر . أو متوفرة ، في معظم الحالات .

ب ـ الدراسة اللغوية التاريخية

قلنا إن «الدراسة اللغوية التاريخية» لا تقوم إلا بعد الفراغ من دراسة المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة دراسة وصفية ؛ ومن النظر في هذه الدراسات الوصفية للمراحل المتعاقبة يأتي تدوين تاريخ هذه اللغة صوتياً ، وفونولوجيا ، ونحوياً ، وقاموسياً ، ودلالياً الخ .

قال بلومفيلد اللغوي الأمريكي الكبير موضحاً هذه الحقيقة : إن ظهور التيار التاريخي ـ المقارن ، والتيار الفلسفي ـ الوصفي في الدراسة اللغوية في أواخر القرن التاسع عشر يدل على أن الدراسة التاريخية للغة تتوقف درجتها دقة وإتقاناً على دقة الدراسة الوصفية للغة موضوع الدرس وعلى إتقانها . وإن كل تقدم منهجي ليؤيد هذه النتيجة : ومن أمثلة ذلك أن اللغويين الوصفيين أخذوا منذ حوالي ١٩٣٠ يركزون جهودهم على دراسة

«الفونيمات المقطعية (= الجزئية) العليا»[1] كدرجة الجهر، والارتكاز، وما إلى ذلك. ولم يكن ذلك قد وصف من قبل وصفاً علمياً مفصلاً بالغ الدقة. ولقد نتج عن العناية بهذه الموضوعات أن أدرك كثير من اللغويين أن كثيراً من جوانب الدراسة التاريخية للغة الإنجليزية ينبغي إعادة دراسته في ضوء هذا التقدم المنهجي الحديث، وفي ضوء نظرية «الفونيم» الحديثة[2]!

إن لغتنا العربية لما تدرس من الناحية التاريخية، وتاريخها طويل متشعب، ولا بد لدراستها تاريخياً، من دراسة عصورها المختلفة دراسة وصفية:

إن العربية الفصحى في عصرنا متميزة من عربية العصر الجاهلي مثلاً، وكلتاهما متميزة من عربية العصر العباسي وهكذا. كل عصر من هذه العصور وسواها، باعتباره حلقة في سلسلة التطور التاريخي للغة العربية، يمثل كما يقول دي سوسير «حالة لغوية»[3] (= حالة من حالات اللغة).

فالدراسة اللغوية التاريخية تمكننا من التغلب على حواجز الزمن من وجوه، فهذه الدراسة هي اقتفاء أثر التطورات والتغيرات من النواحي

---

(١) Supra-Segmental Phonemes

إن «النغمة» tone في اللغات التي تستعمل التنغيم استعمالاً وظيفياً للتفريق بين المعاني تعتبر «فونيما مقطعياً» = جزئياً» أعلى»؛ واللغويون يعتبرون «الطول» Length كذلك «فونيما مقطعياً «جزئياً» أعلى» والطول هو الذي يميز في الإنجليزية lip (= شفة) من leap (= يقفز). والفونيم المقطعي «الجزئي» الأعلى» عندما يكون فونيم نغمة يسميه جماعة لا سيما في أمريكا «تونيم» toneme ، وعندما يكون «فونيم طول» يسمى، لا سيما في أمريكا، «كرونيم» Chroneme .

(٢) أنظر في هذه الفقرة:

John B. Carrol: The Study of Language, P. 52.

(٣) Etat de Langue

الفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، والدلالية الخ في لغة واحدة خلال التاريخ، أي أنها دراسة تطور لغة من اللغات باعتباره تطوراً بين «حالات لغوية» متتابعة؛ ومن المسلم به أن هذه الحالات اللغوية قد درست قبلاً دراسة وصفية، والدراسة التاريخية تدرسها من الناحية الحركية التطورية[1].

حـ ـ الدراسة اللغوية المقارنة

١ ـ رأينا أن الدراسة الوصفية للغة محدودة بفترة معينة من تاريخ لغة معينة مستعملة في بيئة معينة، وأن الدراسة التاريخية حركية تطورية تظهرنا على ما يمر به تاريخ لغة ما من تغير. ولكن هذين النوعين من الدراسة لا يفسران الظواهر اللغوية جميعاً، فثمة ظواهر لغوية تحتاج إلى منهج خاص؛ فالتطور اللغوي يظهرنا على أن هذه اللغة أو تلك تنشعب إلى لهجات متعددة، ثم ترتقي إحدى هذه اللهجات أو بعضها إلى مستوى اللغة الأدبية الفصحى، وقد تلحق هذه اللهجات واللغات تطورات وتغيرات كثيرة تبعدها من أصلها أو أصولها. لا الدراسة الوصفية وحدها تصلح لتفسير هذه الظواهر، ولا تصلح لتفسيرها الدراسة التاريخية وحدها، إن الذي يستخدمه اللغوي في هذه الحال هو «المنهج المقارن»[2]. ولقد كانت «الدراسة اللغوية المقارنة» هي الشغل الشاغل في القرن التاسع عشر للغويين جميعاً، وكانت تسمى «فقه اللغة المقارن»[3] (أنظر الكلام على هذا الموضوع في الباب الخامس: تاريخ الدراسات اللغوية).

---

(١) Antoine Meillet: La Methode Comparative En Linguistique Historique; pp. 10 — 11.

(٢) Comparative Method

(٣) Comparative Philogy

٢ ـ إن المنهج المقارن يطبق على مجموعات معينة من اللغات؛ إنه يطبق على مجموعة اللغات المنتسبة إلى أصل واحد بعيد ثم خضعت في تاريخها الطويل لتطورات طويلة منفصلة.

وعندما يوفق اللغوي إلى أن يجمع السمات (= الخصائص) المشتركة بين أمثال هذه المجموعة من اللغات يتمكن من أن ينشيء «النحو المقارن»[١] لهذه المجموعة. إن النحو المقارن يهيىء السبيل لتصنيف اللغات حسب خصائصها، ولتجميعها في «عائلات». فبمقارنة «الأصوات» و«الأشكال» المستعملة في مجموعة من اللغات تظهر الأصوات والأشكال التي استحدثتها هذه اللغة أو تلك، كما تتحدد الأصوات والأشكال القديمة التي احتفظت بها هذه أو تلك.

٣ ـ ونتحدث الآن عن طريقة «المقارنة اللغوية».

١ ـ قد ينظر المقارن في لغتين أو أكثر من اللغات المتقاربة، ويقارنهما من حيث ما يتشابهان فيه أو يتطابقان من النواحي الفونولوجية، والنحوية، الدلالية[٢].

ولكن التشابه من الناحية الفونولوجية قد يوجد بين لغتين، أو بين أكثر من لغتين، ولكن لا تقارب بينهما أو بينها. إن هذه المقارنة في هذه الحال لا تؤدي باللغوي إلى أكثر من أن يقرر أن بين هاتين اللغتين، أو أن بين هذه

---

(١) Comparative Grammar

(٢) أنظر بحث رومان جاكوبسون عن التشابهات الفونولوجية بين اللغات، (وهو ملحق بكتاب تروبتسكوي Principes De Phonologie):

Jakobson, Roman: Theorie Des Affinites Phonologiques Entre Les Langues: pp. 351 — 365.

اللغات، هذه التشابهات التي لاحظها.[1].

إن نَظْم اللغة الإنجليزية الحديثة ـ وهي كاللاتينية الكلاسيكية من عائلة اللغات «الهندو أوروبية» ـ ليظهر مشابه من نَظْم اللغة الصينية ـ وهي غير شريكة الإنجليزية في الأصل القريب أو البعيد ـ أكثر من المشابه القائمة بين الإنجليزية واللاتينية.

٢ ـ إن الدراسات اللغوية المقارنة تقوم على دراسة «التقابلات المطردة»[2] أو «المنتظمة من حيث «البنية الصوتية»[3] بوجه خاص بين الكلمات المتطابقة أو المتقاربة معنى، هذه الكلمات المأخوذة من لغتين متقاربتين أو من لغات متقاربة. وهذه التشابهات لا تفسر إلا على أن هاتين اللغتين، ـ أو هذه اللغات ـ تنتميان، أو تنتمي، إلى مرحلة أسبق كانا، أو كانت، فيها أشد تقارباً. نعم إنَّ اللغوي المقارن قد يجد كلمات متقابلة لم يحدث تقابلها إلا عن طريق الصدفة ليس غير. ولكن عندما تكثر المتقابلات وتكثر يكون من غير المقبول أن ندعو هذا محض صدفة.

إن بنية الكلمات ذوات المعاني المتطابقة أو المتشابهة في اللغات الرومانية تدل على وجود علاقة بين هذه اللغات، ونحن نعرف تاريخياً أنها متطورة عن اللغة اللاتينية العامية أو «المبتذلة».

إن أساس المقارنة يعتمد إلى حد كبير على النظر في الكلمات ذوات المعاني المتطابقة أو المتقاربة.

والمقارن يستبعد الكلمات المستعارة من لغة أخرى.

---

(١) Regular Correspondences

(٢) Sound Structure

(٣) أنظر Meillet: Linguistique Historique Et Linguistique Generales; pp. 76 — 77.

٣ ـ ومن بين المفردات التي تظهر «القرابة» أقوى إظهار: الأعداد من ١ إلى ١٠.

أسماء أعضاء الجسم الإنساني

الفعل «يكون» في حالة اللغات الهند أوربية بصفة خاصة.

٤ ـ إن المقارن يصل إلى «عائلات لغوية[١]» و«عائلات لغوية فرعية»[٢] حيث تظهر الكلمات المتطابقة أو المتقاربة معنى تقابلات صوتية منتظمة[٣].

يقول مييه: «إن المقارنة تهيء نظاماً من المتقابلات يبني اللغوي على أساسه تاريخ عائلة من اللغات».

ومن أسهل الميادين للبدء في الدراسة المقارنة اللغات الرومانية لأننا نعرف أنها مشتقة من «اللاتينية العامية» التي نعرف عنها شيئاً كثيراً.

٥ ـ وإن الدراسة اللغوية المقارنة تقوم على افتراض أن «التغيرات الصوتية»[٤] التي تلاحظ بين مجموعة اللغات المقارنة، والتي تلخص آخر الأمر فيما يسمى «القوانين الصوتية» كـ«قانون جريم»[٥]، تغيرات مطردة، وأنها تعمل في مساحات محددة، وأزمنة محددة.

---

(١) Language Families

(٢) Sub-Families

(٣) Regular Sound-Correspondences

(٤) Phonetic Changes

(٥) Grimm's Law

أنظر الباب الخامس من هذا الكتاب وهو بعنوان: تاريخ الدراسات اللغوية.

ومن التغيرات الصوتية المطردة في مجموعة اللغات الهندو أوربية:

أن أصوات الكاف [k] قبل الصوائت الأمامية تميل إلى أن تتحول إلى أصوات السين [s] أو أصوات الشين ولكن العكس غير متحقق.

وأن أصوات الفاء[f] تميل إلى أن تتحول إلى أصوات الهاء[h] ولكن العكس غير متحقق.

وأن أصوات التاء [t] تميل إلى أن تتحول إلى الانفجاري الاحتكاكي [ts][1].

٦ـ وتنتهي الدراسة المقارنة بين الكلمات ذوات المعنى المتطابق أو المتقارب بأن يصل المقارن، على أسس معينة. إلى شكل يعده الشكل الأصلي لهذه المجموعة من الكلمات التي قامت المقارنة بينها.

وجرت عادة المقارنين على أن يرقموا هذه الكلمة في الكتابة بنجم صغير دلالة على أنها هي الصورة الأصلية؛ وهم يسمون هذه الصورة «الشكل المنجوم»[2] (أي «الشكل ذو النجمة» أو «المرقوم بنجمة») أو «الكلمة المنجومة»[2].

وينبغي أن نلاحظ أن هذه الأشكال المنجومة تلخص نظرات المقارن في مجموعة معينة من الكلمات؛ إن اللغوي المقارن بهذا لا «ينشيء لغة»؛ ولا تعني هذه الأشكال أن الجماعة الأصلية ـ التي يفترض أنها صاحبة أصل مجموعة اللغات التي تدور بينها المقارنة ـ كانت تنطقها حقاً.

٧ ـ ولقد قام اللغويون المقارنون بجهود مشكورة تيسر البحث في تاريخ

---

(١) Meillet: Lingusitique Historique et...; p. 15, 16, 46, 47.

(٢) Starred form

العائلات اللغوية، وتلخص ما وصلوا إليه من نتائج، فوضعوا مجموعة من «القواميس الاشتقاقية» للمجموعات اللغوية الكبيرة[1].

٤ ـ ولقد استخدم «المنهج المقارن» للوصول إلى «الصور الأصلية» أو «الصور الوالدة» لمجموعات كثير من اللغات.

١ ـ وكان أكبر جهد بذله اللغويون المقارنون هو ما بذلوه في «إعادة انشاء» (= إعادة بناء»[2] «الصورة الأصلية» للغة «الهندو أوربية»[3] أو «الهندو أوربية الأم»[3]؛ وقد نجحوا في ذلك نجاحاً فائقاً، كما نجحوا في إعادة بناء: الرومانية

---

(١) من ذلك قاموس فالد ـ بوكورني Walde — Pokorny بالألمانية لعائلة اللغات الهندو أوربية وهو في ثلاث مجلدات وفهرسةٍ في المجلد الثالث. ومن القواميس الإنجليزية المشهورة في هذا المجال القاموس الاشتقاقي الذي وضعه «سكيت» Skeet.

أما قاموس «بك» فهو يرتب مادة المترادفات الهندو أوربية حسب تصنفات معينة للمعاني.

Carl Darling Buck: A Dictionary of Selected Synonyms In The Princilpal Indo-European Languages: A Contribution To The Histoiry of Ideas. Chicago: University of Chicago Press. XIX, 1949.

ومن القواميس الاشتقاقية للغات الرومانية قاموس «ديز» Diez وقاموس «مايرـ لوبكه» Meyer-Lubke.

(٢) Reconstruction

(٣) Proto-Indo-European Language

قال الأستاذ جون ب. كارول(The Study...; p. 50). ومع أن اللغات الهندو أوربية قد درست من وجهة النظر المقارنة دراسة لم تحظ بها أي مجموعة أخرى من اللغات فثمة علاقات جديدة كشف عنها البحث الحديث نتيجة لدراسة اللغة الحيثيةHittite، وهي لغة كانت تستعمل قديماً في آسيا الصغرى، ولدراسة اللغة التجاريةTocharian، وهي لغة كانت تستعمل في وسط آسيا وعرفها اللغويون من مخطوطات مفرقة ترجع إلى القرن السادس الميلادي.

وهكذا فخصائص اللغة الهندو أوربية الأصلية معروفة الآن على خير وجه.

الأصلية[1]، أو الأم[2]، والجرمانية الأصلية، والكليتية الأصلية[3]، والسلافية الأصلية[4].

أما تطبيقهم لهذا المنهج في حالة مجموعات أخرى من اللغات فلا يزال في حاجة إلى استكمال ومتابعة.

فالجهود التي بذلت لإعادة بناء «اللغة السامية الأصلية»[5] أو «الأم» و«الفنلندنية ـ الأوجرية الأصلية»[6] و«البانتو الأصلية»[7] أقل مما بذل في حالة إعادة بناء اللغات الأصلية التي أسلفنا الإشارة إليها في المجموعة السابقة.

وقد بدأ العلماء المقارنون في إعادة بناء لغات أصلية أخرى[8].

٢ ـ إن مناهج الدراسة اللغوية المقارنة من الدقة والسلامة والقوة بحيث إنها مكنت «بلومفيلد» من إعادة بناء بعض أشكال ما يسمى «اللغة الألجونكية الأصلية»[9] أو «الأم»[9]، ومكنت «هوورف»[10] من أن يحدد معالم «اللغة الأوتو ـ

---

(١) Proto — Romance

(٢) Proto — Germanic

(٣) Proto — Celtic

(٤) Proto — Slavic

(٥) Proto — Semitic

(٦) Proto — Finno — Ugrian

(٧) Prota — Bantu

(٨) للتعريف بشجرة اللغات «الهندو أوربية» أنظر تعليق الأستاذ الدكتور مراد كامل على «الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية» لجرجي زيدان «هامش ص ٢٤» وأنظر كذلك التعريف القيم باللغات السامية، ومنها العربية، الذي علق به الأستاذ الدكتور مراد كامل على كتاب جرجي زيدان السابق «هامش ص ٢٥ ـ ٣٥».

(٩) Proto — Algonkian

(١٠) Benjamin Lee Whorf

أزتكية»[1] الأصلية، وهي لغة مفترضة لمجموعة من اللغات مستعملة في الجنوب الغربي من أمريكا الشمالية وفي بلاد المكسيك[2].

٥ ـ ولكن ما «اللغة الأصلية»، أو «اللغة الوالدة»[3] أو «الأم»[3] كما تدعي أحياناً؟

إن الصورة «الأصلية» أو «النوع» الأصلي لأي مجموعة من اللغات ليس له وجود محسوس: فلا أحد يستطيع أن يتكلمها؛ ولا معرفة يقينية لنا ـ في أغلب الأحوال ـ بالشعب الذي كان يتكلمها؛ كما أن معرفتنا بالموطن الذي كان يقطنه ذلك الشعب معرفة تقريبية في معظم الأحوال.

والواقع أن هذا النوع من اللغة الذي ندعوه «الصورة الأصلية» أو «الأم» ذو أهمية بالنسبة للغويين فـ «اللغة الأصلية» هي لغة ينشئها اللغوي من إعادة فرضية لبناء أصل لمجموعة مترابطة من اللغات؛ وهذا البناء يقوم على ربط «الأشكال» القديمة التي يتأكد منها مع أشكال أخرى فرضية.

وهكذا فالصورة الأصلية (أو النوع الأصلي) لمجموعة من اللغات صورة «صناعية» وهي تخدم أغراض اللغوي.

٦ ـ والواقع أن أهم نتيجة وأبرزها وصل إليها «النحو المقارن» (= الدراسة النحوية المقارنة) لأية مجموعة من اللغات، هي تقرير «صلة القرابة»[4] بينها.

١ ـ ما طبيعة هذه «الصلة» وما مداها؟ إن أول ما نذكره في هذا الشأن هو أن «الصلة» (أو «القرابة») اللغوية لا تعني ولا تتضمن «توالداً» أو «أبوة» أو «أمومة» أو

(١) Uto — Aztecan

(٢) أنظر في هذه الفقرة: Carroll: The Study...; p. 49

(٣) Parent Language

(٤) Relationship

«خؤولة أو عمومة» . . الخ بالمعنى الفسيولوجي لهذه المصطلحات.

إن الذي يربط بين أمثال هذه اللغات التي تضمها «رابطة القربى» فيما يقال، هو استمرار تاريخي متميز، كهذا الاستمرار التاريخي الماثل بين اللاتينية والفرنسية؛ وهذه الصلة تختلف من حيث الدرجة بالنسبة لظروف كثيرة.

ويقال أحياناً إن هذه اللغة «مشتقة» من تلك؟ فما المقصود بهذا القول؟

إن الملاحظ في كل الجماعات الكلامية أنه لا يحدث في مرحلة من المراحل أن يتفق أو يصطلح جميع المتكلمين على «تغيير اللغة»: معروف أن الفرنسية «مشتقة» من «اللاتينية العامية[1]» أو «المبتذلة»، وأن «اللاتينية العامية» مختلفة عن الفرنسية: لم يحدث أن اتفق المتكلمون باللاتينية العامية في وقت محدد على أن يكفوا عن الكلام بها وأن يتكلموا الفرنسية مثلاً[2]. ولكن تطور «اللاتينية العامية» أدى إلى ظهور صورة جديدة لها أخذت تبعد منها شيئاً فشيئاً.

إن كل المصطلحات التي تستعملها الدراسة المقارنة والدائرة حول الولادة» و«القرابة» و«النسب» مصطلحات مجازية.

٢ ـ ومن الملاحظ أن التغيرات الكثيرة التي تطرأ على المفردات قد تبعد لغة من لغة في الظاهر وهما في الواقع شديدا التقارب، أو إحداهما «مشتقة» من الأخرى اشتقاقاً مباشراً، فاليونانية الحديثة توصف بأنها مشتقة من اليونانية القديمة على الرغم من أن النسبة المئوية من المفردات اليونانية القديمة المحفوظة في اليونانية الحديثة ضئيلة جداً؛ بل إن النسبة المئوية للكلمات التركية الأصل في اليونانية الحديثة نسبة جد كبيرة.

---

(١) Vulgar Latin

(٢) Meillet: Linguistique Historique et Linguistique generale; pp. 80 — 81.

٧ ـ كما أنه ينبغي أن يلاحظ أن صلة القرابة اللغوية التي تقررها الدراسة اللغوية المقارنة ليست إلا صلة نسبية. وذلك لأن «العلاقات» القائمة في داخل «عائلة» لغوية ما، هي في الأغلب علاقات مضطربة من النواحي الصوتية والفونولوجية والنحوية والدلالية. ومن ذلك أن المنهج المقارن يؤدي باللغويين المقارنين(١) إلى أن يقيموا بعض «القوانين الصوتية»(٢)، أو إذا استعملنا عبارة أدق شيئاً ما من هذه قلنا «المعادلات الصوتية»(٣) (أنظر ص ٨، ٩، ١٠) (ومن هذه القوانين: أن oi في «الهندو أوربية الأصلية» تظهر في اليونانية كما هي، وتصير u في اللاتينية، و ai في القوطية(٤). والأصوات الصائتة $\breve{\bar{o}}, \breve{\bar{e}}, \bar{a}$ في «الهندو أوربية الأصلية» تظهر جميعاً في اللغة السنسكريتية $\breve{\bar{a}}$. أما الأصوات $\overline{ou}, \overline{eu}, \breve{\overline{au}}$ فهي تظهر في السنسكريتية au . و kw عندما تقع في الهندو أوروبية قبل e تصير في السنسكريتية c وفي اليونانية t . ولكن انتظام (= اطراد) التطور الصوتي تعمل على اضطرابه عوامل عدة منها القياس»(٥) والخطأ أو المبالغة في التقرير، والأخذ من لهجات أخرى، والأخذ من اللهجات (اللغات) الأدبية، والأخذ في فترات مختلفة، و«بعث كلمات قديمة، والتكوينات (= الصيغ) الشاذة الغربية(٦)، وعودة

(١) Comparatists

(٢) Phonetic Laws

(٣) Phonetic Equations

(٤) Gothic

(٥) Analogy

(٦) Freak Formations

قال الأستاذ: جون ب. كارول في كتابه

The Study of Language, p. 49.

إن اللغوي الذي يدرس اللغات الهندية الأمريكية من الناحية المقارنة لا يطبق عليها «قوانين صوتية» مأخوذة من القوانين الصوتية التي ثبت أنها «منطبقة» على اللغات الهندو أوربية لأنها مستمدة من دراستها. =

كلمات وطنية من لغات أخرى كانت قد استعارتها، والخطأ في تقسيم الكلمات المتصاحبة، لا سيما الأداة والاسم الخ.

إن «القوانين الصوتية» لا تصدق إلا على تاريخ مجموعة معينة من اللغات ومن هنا فلا يستطيع اللغوي المقارن أن يطبق «القوانين الصوتية» الصادقة على مجموعة معينة من اللغات، على مجموعة أخرى من اللغات.

٨ ـ ومن أعمال المنهج المقارن ومكاسبه: إقامة «العلاقات» أو «صلات القرابة» اللغوية كما رأينا؛ وإعادة بناء «اللغة الأم»؛ وإقامة الأشكال المتوسطة من اللغات كإعادة بناء «اللاتينية العامية» من اللاتينية الكلاسيكية؛ ومن ذلك تقويم النصوص اللغوية المشكوك فيها.

والمقارنون يستعينون في هذا المجال بالنقوش[1] عادة، وبمنهج الدراسة اللغوية المقارنة، وبالوزن الشعري في حالة الشعر الخ. ومن أمثلة هذا أن القارىء لقصيدة معينة من شعر هوميروس[2] يتوقع أن يكون النموذج الوزني في موضع من المواضع على هذا المنوال: ⏑ ⏑ — — — ولكنه يجد الكلمات الثلاث: pc: e: pes: epos: التي لا تطابق نموذج الوزن المرتقب. ولكن النقوش تظهر أن كلمة "ergon" تكتب أحياناً wergon ، وأن كلمة oikos تكتب أحياناً orkos . والدراسة اللغوية المقارنة تدلنا على أن الـ w في مثل هذه الصيغ قد سقطت من بعض اللغات التي تربط بينها صلة القربى. وقياساً على هذا إذا زيد صوت w إلى صدر الكلمتين الثانية والثالثة من بيت هوميروس، فصارت الكلمتان

= إن ما يستنبطه اللغوي من الدراسة المقارنة للغات الهندو أوربية، بحيث يكون صالحاً للاستخدام عند الدراسة المقارنة لمجموعة أخرى من اللغات، هو «منهج» method ولا شيء سوى المنهج.

(١) Inscriptions

(٢) Homer

wepos; we: pes حصلنا على النموذج الوزني المرتقب. وهكذا نقول إن صوت الـ w في هاتين الكلمتين وأمثالهما كان ينطق أيام هوميروس، وعلينا لذلك، أن ننطقه، ولا نسقطه، فالشاعر يريد ثبوته ونطقه[1].

٩ - ولكن على الرغم مما يقدمه المنهج المقارن من فوائد جلى للدراسة اللغوية، إلا أنه يبدو قاصراً في حالات كثيرة. ومن ذلك مثلاً أن «الشبه» الذي يلاحظه المقارنون بين مجموعة اللغات المدروسة غالباً ما يكون خداعاً لا سيما في موضوع المفردات.

فكثيراً ما تعرض كلمات في بعض اللغات متطابقة من حيث الصورة، أو متشابهة إلى درجة كبيرة، ولها نفس المعنى، ولكن لا علاقة بينها من الناحية التاريخية، وذلك مثل كلمة bad فمعناها في الإنجليزية هو معناها في الفارسية، ولكن ليس لهذه الكلمة في الإنجليزية علاقة اشتقاقية بنفس الكلمة في الفارسية. وهذا المثال خداع بصفة خاصة لأنه مثال فريد، ولا ينتسب إلى أي نوع من أنواع «التقابل» بين الإنجليزية والفارسية[2].

---

(١) أخذنا هذا المثال عن محاضرات الأستاذ الدكتور ألن W.C. Allen في «النحو المقارن للغات الهندو أوربية» التي استمعنا إليها في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن سنة ١٩٤٩، ١٩٥٠.

(٢) فيما يلي بيان بطائفة من اهم المراجع التي تناولت التعريف بالمنهج التاريخي، والمقارن وببعض العائلات اللغوية، وببعض اللغات الأصلية:

Meillet, Antoine: Les Dialectes Indo-Europeens; 2eme edition, Paris, 1922. (Collection Linguistique Publiee Par La Societe De Linguistique De Paris, 2).

— Meillet, Antoine: La Methode Comparative En Linguistique Historique; Oslo, 1925.

— Meillet, Antoine; Le Slave Commun, Paris, 1924 (Collection De Manuels Publiee par l'Institut D'Etudes Slaves 2).

— Meillet, Antoine: Introduction a l'etude Comparative des Langues Indo-Europeennes.

(لا سيما المقدمة والفصل الأول) =

—Meillet, Antoine: Linguistique Historique Et Linguistique Generale, (Collection Linguistique =
Publiee par la Societe De Linguistique De Paris. — VIII) Paris, Librairie Ancienne Honore Champion, Editeur Edouard Champion, 1948.

(الطبعة الأولى ١٩٢١)

أنظر بوجه خاص الفصول الآتية، وبعض الفصول الأخرى المتصلة بالموضوع:

— Sur La Methode De la Grammaire Comparee pp. 19 — 35.

(عن منهج النحو المقارن)

— Le Probleme De la Parente Des Langues pp. 76 — 101.

(مشكلة أبوة اللغات)

— Les Parentes De Langues pp. 105 — 109.

(أبوات اللغات)

وأنظر فيما يتعلق باللغات الرومانية:

Bourciez, Edouard:

Elements De Linguistique Romane; Edition Revisee Par l'auteur Et Par Le Soin De Jean Bourciez; Quatrieme Edition, Paris, Librairie C. Klincksieck, 1946.

ومن المراجع الإنجليزية:

— Hudson-Williams, T.:

A Short Introduction To The Study of Comparative Grammar (Indo-European).

ـ وأنظر الفصل الثامن عشر من كتاب اللغة لبلومفيلد عن «المنهج المقارن».

— Bloomfieled, Leonard:

Language; Ch. 18 (The Comparative Method) pp. 297 — 320.

ـ وأنظر الفصول السابع والثامن والتاسع من كتاب سابير «اللغة».

Sapir, Edward: Language

ـ وأنظر الفصول الخاصة بالدراسة التاريخية والدراسة المقارنة في:

— Jesperen: Language.

— Sturtevant, Edgar H. An Introductin To Linguistic Science.

— Pedersen, H: Linguistic Science In The Nineteenth Century; English Translation By J. Spargo: Cambridge; Harvard University Press, 1931.

وانظر

= Hoenigswald, Henry M:

١ - ويتضح قصور المنهج المقارن كذلك عندما يدرس اللغوي مجموعة كبيرة جداً من اللغات المتقاربة المترابطة ولكن ليس لهذه اللغات أشكال قديمة محفوظة(١).

= The Principal Step In Comparative Grammar; Language 26 (1950), pp. 257 — 364.

وأعيد نشر هذا المقال في

Readings In Linguistics, pp. 298 — 302.

— Hall, Robert A. (Jr.): The Reconstruction of Proto-Romance; Language, 26 (1950) pp. 6 — 27.

وقد أعيد نشر هذا المقال في:

Readings In Linguistics, pp. 303 — 314.

— Allen, W. S.: Phonetics And Comparative Linguistics; Archivum Linguisticum, III, 2.

- أما بالعربية فانظر: الفصل الخامس من كتاب فندريس اللغة» بعنوان. «القرابة اللغوية والمنهج المقارن» ص ٢٦٧ - ٢٨٢. وأنظر كتاب الأستاذ الدكتور علي عبد الوافي «فقه اللغة».

(١) أورد الأستاذ كارول (The Study...; pp. 49 — 50) مثالاً على هذا دراسة الأستاذ الأمريكي «إيزيدور داين» Isidore Dyen الأستاذ بجامعة ييل Yale مجموعة اللغات المعروفة باسم «الملايو - بولينزيا» Malayo — Polynesia . قال الأستاذ كارول: من اليسير التدليل على أن تلك اللغات واللهجات التي تفوق الخمسمائة عدا لغات مترابطة عن طريق المناهج المألوفة للدراسة اللغوية المقارنة. ولكن الأستاذ داين يرجو أن يبين عن طريق الدراسة المقارنة العلاقات التفصيلية بين هذه اللغات والأصول التاريخية لها وذلك ليستدل على طرق الهجرة التي سلكها سكان تلك الجزر في المحيط الهادي من داخل قارة أسيا.

وإن مناهج الدراسة اللغوية المعروفة حتى الآن لا تمكن من الوفاء بهذا الغرض. وإن ضخامة المعلومات والحقائق المجموعة في هذه الدراسة، وأكثرها لم يدرس من الناحية الوصفية الدراسة الواجبة، يحتاج إلى دراسة شبه إحصائية، وفضلا عن ذلك فإن نسبة كبيرة من التشابه في كلمات عدد من هذه اللغات واللهجات لم يجيء عن طريق «النسب»، إنما عن طريق الصدفة المحض أو عن طريق أخذ هذه اللغات عن أصل أجنبي واحد؛ وهذا كله ينبغي أن يقوم تقويمه الحق.

ومن الدراسات اللغوية المقارنة التي تجابه أمثال هذه الصعوبات محاولة دراسة اللغات الأصلية في كل من شمال الولايات المتحدة الأمريكية وفي جنوبها، وفي إفريقيا، وآسيا، واستراليا دراسة مقارنة.

الباب الرابع

عِلمُ الدَّلالَةَ (1) أو دِرَاسَةَ المعْنَى (2)

(1) Semantics

(2) The Study of Meaning

- ١ -

قمة الدراسات اللغوية

١ ـ علم الدلالة، أو دراسة «المعنى» فرع من فروع علم اللغة، وهو غاية الدرايات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية؛ إنه قمة هذه الدراسات. وإذا كانت الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية لم ينهض بها عادة إلا اللغويون، فإن النظر في «المعنى» موضوع شارك فيه علماء ومفكرون من ميادين مختلفة، شارك فيه من قديم الفلاسفة، والمناطقة خاصة، وشارك فيه علماء النفس وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا حديثاً، وأسهم فيه علماء السياسة والاقتصاد، وجماعات من الفنانين والأدباء، والصحفيين، وذلك لأن «المعنى» اللغوي. من شأنه أن يشغل المتكلمين جميعاً على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم الفكرية، لأن الحياة الاجتماعية تلجىء كل متكلم إلى النظر في معنى هذه الكلمة، أو تلك، أو هذا التركيب أو ذاك؛ وهكذا أدلى كل متكلم تقريباً بدلوه في هذه المشكلة الخطيرة.

وقد نجم عن اشتراك اللغويين، وغير اللغويين من أصحاب العلوم والأفكار المختلفة، أن ظهرت نظريات كثيرة، ومناهج عدة فيما يتعلق بالمعنى من حيث تحصيله وماهيته، ودراسته.

كما نجم عن ذلك خلط كثير، وإساءة فهم لمشكلة «المعنى» حتى لقد

ضجر كثير من الغربيين من اللغويين المحدثين من الكلمة الدالة على «المعنى» ومن سوء استعمالها، ومما توقع فيه من مشكلات، ودعا إلى تجنب استعمالها[1]. ولكن ما من شك في أن تجنب استعمال هذه الكلمة شيء، وبقاء التصور الذي تدل عليه شيء آخر، فكل لغوي يستعمل هذا التصور، والثابت أن علم اللغة لا يتيسر له أن يقوم دون هذا التصور.

٢ ـ وكما رأينا أن «الأصوات» و«الفونولوجيا» و«النحو» تدرس باعتبارين مختلفين: الاعتبار الأول هو الوصفي الثابت، والاعتبار الثاني هو التاريخي المتحرك المتطور، فكذلك دراسة المعنى: تدرس من الناحية الوصفية فندرس معاني الكلام في لغة من اللغات في فترة من فترات استعمالها في مكان محدود، وتدرس من الناحية التطورية، فندرس تغير معاني الكلام في لغة من اللغات من عصر إلى عصر من مراحل تاريخها.

---

(١) Allen, W. S.: On The Linguistic Study of Language; (An Inaugural Lecture delivered in The University of Cambridge on 8 March 1957) Cambridge University Press, 1957 p.22.

- ٢ -

قصور المعنى «القاموسي»

١ ـ قد يتصور بعض المبتدئين في الدراسة اللغوية أن «علم الدلالة» أو «دراسة المعنى» مقصور على اللغات التي لم يوضع لها بعد «معاجم» أو «قواميس»؛ فاللغات ذات المعاجم في غنى عن هذه الدراسة لأن «المعاجم» تمدنا بمعاني الكلام.

وهذا تصور خاطيء لأن «المعنى القاموسي» أو «المعنى المعجمي» ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام فثمة عناصر «غير لغوية» ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام: وذلك كشخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به، كالجو مثلاً، أو الحالة السياسية، الخ.

ومن حضور غير المتكلم وغير المخاطب، وعلاقتهم بهما.

إن عبارة مألوفة مثل «صباح الخير» قد يكون لها من المعاني عشرة أو أكثر إذا نظر إليها من حيث السياقات التي تقع فيها، أي إذا أدخل الدارس في اعتباره العناصر الاجتماعية غير اللغوية التي أشرنا إلى بعضها.

وكل هذا لا يتضح على أجلى وجه إلا فيما يسمى «الكلام الحي» الذي نستطيع أن نسجل فيه نطق الكلام، والذي تتضح فيه خصائصه البارزة مثل التنغيم، والارتكاز، والذي نستطيع معه أن نتحقق من شخصيتي المتحادثين

أو من شخصيات المتحادثين، وأن نحدد ما بينهما ما بينهم أو من علائق، وأن ندرك الظروف الملابسة للكلام.

وخير ما يوضح لنا ارتباط الكلام بما أشرنا إليه من الشخصية والملابسات هو لغة المسرح، فنحن نرقب الأحداث وهي تتابع، وكل شخصية أمامنا واضحة المعالم محددة مما يتيسر معه أن نفهم معنى كل قول على خير وجه وأدقه[1]: قد يستقبل الخادم سيده محييا «صباح الخير» وينطقها بحيث نفهم من نطقه ومما سبق ذلك من أحداث أنه يشير إلى تلك الطامة الكبرى التي توشك أن تصيب سيده، أو ذلك الموقف الحرج الذي يوشك أن يقيد به نفسه.

وقد تصدر هذه العبارة نفسها من خادمة لسيدها، ويصحب نطقها الناعم اللين المنغم على وجه خاص حركات من جسمها تفصح عن الرغبة والإغراء فلهذه العبارة في هذا الحال معنى غير معنى التحية، إنها دعوة الجنس واشتهاؤه.

وقد يوجه هذه «التحية» رئيس لمرءوسه متأففاً متسخّطاً لأنه تأخر عن عمله، وكان تأخره سبباً في خسارة جسيمة؛ وهكذا من عشرات المعاني التي يحددها مثل ما ذكرنا.

فأين أي معنى من هذه المعاني التي أوضحناها من «المعنى القاموسي»؟ إن القاموس يعرفنا أن «صباح الخير!» هي تحية الصباح، وقد يحدد زمان استعمال هذه التحية إن لم تكن مستعملة في تاريخ اللغة من أوله

(١) إن لغة الحوار المسرحي لو فصلت عن التمثيل وقرئت مكتوبة لاحتاجت إلى حرص وعناية لفهم المقصود منها. فالحركة والإشارة وتتابع الحوادث، ومشاهدة الشخصيات، وإدراك السياق، كل ذلك وسواه يعين على تفهم المقصود من الكلام عندما تمثل المسرحية.

إلى لحظة الدرس، وقد يزيد فيحدد مكان استعمالها، إن كانت مستعملة في بيئة دون بيئة من البيئات الكلامية التي تستعمل هذه اللغة إن القاموس بطبيعته لا يستطيع أن يحصر جميع السياقات التي تقع فيها هذه العبارة، وكل عبارة، وكل كلمة من كلمات اللغات وعباراتها، وإن فصّل فهو لا يفصل إلا في إيراد «أنواع» من دلالات الكلمة أو العبارة؛ وهكذا يظل تحديد معنى الكلام محتاجاً إلى مقاييس وأدوات أخرى غير مجرد النظر في القاموس.

إن معنى «الكلام» لا يتأتى فصله بأية حال من الأحوال عن «السياق» الذي يعرض فيه.

٢ ـ أما النصوص المدونة في الكتب القديمة مثلاً، فإنه يخفي علينا من ظروف قولها أشياء كثيرة، وقد نضطر إلى إعادة تصور بعض ما يمكن تصوره من هذه العناصر، وقد لا نوفَّق في هذا، وقد نوفَّق فيه إلى درجة محدودة؛ ولكن عنصراً هاماً يغيب عنا إدراكه وهو «نطق» الكلام، وما يبرزه هذا النطق من معنى أو معان: إن النطق قد يحدد أن الكلام «استفهام مثلاً حيث يحتمل النص المدون وحده أن يكون استفهاماً أو تقريراً مثلاً؛ وقد يثبت أن العبارة تفيض سخرية حيث نفهم من النص المسجل المقطوع الصلة بالحياة أنه تمن أو رجاء! ولكن هذا أدعى في الوقت نفسه إلى أن يتخذ علم الدلالة منهجاً تاريخياً خاصاً لدراسة النصوص القديمة، ولتعقب تطور معاني الكلام، وإنه ليتخذ هذا المنهج، بالإضافة إلى دراسة المعنى من الناحية الوصفية.

٣ ـ إن تحديد المعنى أمر على جانب كبير من الصعوبة، وإنا لنلاحظ هذا في استعمالاتنا اليومية للكلام، وإن كثيراً مما يصيبنا في حياتنا من خلافات، ومشقات، وآلام، مرجعه أننا لا نعرف بصورة واحدة معنى ما نقوله، أو ما يقال لنا، أو ما نسمعه، أو نقرؤه. فالصعوبة في إدراك المعنى، والخلاف عليه ليسا مقصورين على «اللغة الأدبية» أو «النصوص القديمة» في

لغتنا، ولا على لغة أجنبية أخذنا منها بنصيب، إنهما ليعدوان هذا إلى لغتنا التي نستعملها في حياتنا اليومية، والتي لا نجيد من اللغات مثلها.

وهذه أمثلة تبين كيف أن تحديد المعاني ليس بالأمر اليسير:

١ ـ كلمة مثل «أَوّلَ» نراها سهلة واضحة ولا يدور بخلدنا أنها قد تثير جدالاً. ولكن ما معنى كلمة أول في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ **إن أول بيتٍ وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مَقامُ إبراهيم، ومن دخله كان آمناً...** ﴾

نفهم من السياق أن البيت المقصود هو الكعبة المشرفة فهل المقصود أنها أول ما بنى على ظهر الأرض؟ لقد ذهب إلى ذلك بعض المفسرين. ونعلم من آيات أخرى أن الله عزّ وجل أمر سيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل ببناء الكعبة وقد كان قبلهما خلق كثير. ولذلك يقول بعض المدققين من المفسرين إن المقصود بالأولية هنا أن الكعبة أول بيت بنى لعبادة الله وحده.

فكلمة «أول» البسيطة العادية لما وقعت في تركيب من التركيبات أثارت الخلاف بين علماء اللغة أنفسهم.

٢ ـ وكلمة «أم» و«ابن» كلمتان مألوفتان لا يخامرنا شك، أول ما نسمعهما مفردتين، في أنهما يدلان على غير ما نعرف لكل منهما من معنى، ولكن عندما يقول الشاعر القروي رشيد سليم الخوري.

والأرض حارت أتلقى الفجر ضاحكة
لأمها الشمس أم تبكي ابنها القمرا؟

فالشمس عنده أم الأرض، وجدة القمر؛ ولن ينص أي قاموس على هذه العلاقة. هذا من المجاز، وليس من اليسير أن يحصر قاموس مجازات اللغة كلها إلا إذا أحصى كلام المتكلمين كلهم في جميع أحوالهم. وفي

جميع عصور اللغة، وتوهم ما سيخلقونه من ألوان المجاز، وهذا مستحيل من غير شك.

٣ ـ وعندما تقول رابعة العدوية في مخاطبة الذات الإلٰهية:

أحبك حبين حب الهوى   وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى   فشُغلى بحبك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له   فكشفك لي الحُجْب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي   ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

فهي تتحدث عن حب خاص بها، وهذا التفصيل في نوع الحب: حب الهوى، وحب الأهلية للحب لن تجد إشارة إليه في أي معجم من معاجم اللغة. هذه زاهدة تتحدث عن تجربة صوفية خاصة بها ـ فالشخصية شخصية المتكلم والتجربة ركنان أصيلان من عناصر كثيرة لازمة لفهم المعنى.

وهذا يذكرنا بالعبارة المشهورة عبارة الحلاج وهي: «أنا الحق» كيف نفهم هذه العبارة ما لم ندرس حياة قائلها ونتبين شخصيته ونتعلم تصوفه، ونضع أيدينا على التجارب التي مر بها؟

٤ ـ وكنت من وقت أجدد صلتي بالشعر الجاهلي فقرأت أبيات الأعشى:

ولقد شربت الخمر تر   كض حولنا تُرْكٌ وكابلْ
كدم الذبيح غريبةً   مما يعتّق أهل بابل
باكرْتُها حولي ذوو الـ   آكال من بكر بن وائل

نحن لا نستعمل الآن عبارة «ذوو الآكال»، ولو حاولنا أن نفسرها تفسيراً عقلياً اعتماداً على أصوات كلمة «آكال» لوقعنا في خطأ بالغ، فهذا منهج شديد الخطورة في تفسير معاني الكلمات: «الآكال» من «الأكل» فهل

المقصود أنه شرب الخمر وحوله ناس يأكلون، أو ناس معروفون بولعهم بالأكل؟ أو ناس يبيعون الأكل؟

إن الشعراء يفخرون بأنهم يشربون الخمر مع الأشراف والسادة لا مع المشهورين بكثرة الأكل أو. . . الخ .

إن معرفة معنى هذه العبارة يستلزم معرفة أشياء عن نظام الحياة العربية الجاهلية، ، وسيطلعنا هذا على أن «ذوي الآكال» هم الذين لهم أكبر أنصبة من غنائم الحرب، وهم الذي يتولون توزيعها على مستحقيها، فالأعشى كان يباكر الراح مع سادة قبيلته ووجهائها.

٥ ـ إن الخلاف على معانى الألفاظ والعبارات كثير في حياتنا وهو يقع بىن أقرب الناس، يقع بين الأخ وأخيه وبين الزوج وزوجه. ونسبة كبيرة من الخلافات الزوجية تقوم لأن الرجل «لم يفهم» المرأة، وهي تعجب لأنه لم يفهمها، ولأن المرأة «لم تفهم» الرجل، وهو يعجب لأن كلماته في نظره بسيطة واضحة كل الوضوح.

وهكذا تتردد في أحاديثنا دائماً أمثال هذه العبارات:

ماذا تقصد؟ ماذا تعني؟ أفصِحْ! أنا لا أفهمك؟ أنت لم تفهمني؟! ما هذا؟!

وكثيراً ما نستعمل كلمات لو سئلنا عن فهم معناها بالتفصيل لعجزنا، لأنها تحتاج إلى مؤرخ لغوي يبين لنا مأتاها؛ وفي حالات كثيرة يعجز هذا نفسه عن تحديد أصلها.

وذلك كبعض الأمثال التي يفتعل لها بعض اللغويين «تفسيرات». وسوى ذلك من العبارات مما هو من مخلفات حياتنا القديمة. وتناقلناه جيلاً بعد جيل، وقد يكون مستعملاً أصلاً في لغة قديمة مندثرة كان يستعملها

أجدادنا ثم نقل إلى اللغة التي حلت محلها إلى أن وصلتنا.

٦ ـ والأمثلة كثيرة على الخلافات الخطيرة التي تحدث في مجالات السياسة والفقه والقضاء والاجتماع والتاريخ بناء على فهم الكلمة الواحدة، أو العبارة، بأكثر من صورة:

يصدر القانون بعد العناية الفائقة بصياغته صياغة دقيقة منعاً للبس، وتصحبه «مذكرة تفسيرية»، ولكن عند التطبيق تثور «إشكالات» وتختلف أحكام القضاة، فتصدر تفسيرية للتفسيرية، ولكنها قد تخلق إشكالات جديدة أو لا تفلح في حل القديمة.

٧ ـ ودراسة الكتب المقدسة والآثار الفكرية الكبيرة خير شاهد على ذلك.

القرآن الكريم فُسّر أكثر من تفسير على مناهج مختلفة، وكثير من آياته يسمح بأكثر من تفسير لهذه اللفظة أو تلك العبارة.

ونحن نعلم كيف اختلف شراح أرسطو في فهم بعض نصوصه. الخ.

٨ ـ وهذا يذكرنا بالترجمة. إن الترجمة من لغة إلى لغة تكشف لنا مشكلة المعنى بصورة جلية، وكل من مارس الترجمة الأمينة يدرك هذا لأنه عاناه.

إن الكلمة في اللغة لها غير المعنى القاموسي العام، وغير المعنى الذي قد يفهم من السياق، إيحاءات وارتباطات نتجت عن الحياة المشتركة التي حييها أصحاب اللغة، فعندما ننقل من لغة إلى أخرى فكيف نوفق في اصطياد كلمات تعطي إيحاءات الحياة الأخرى وارتباطاتها؟

ويكفينا مثل واحد على هذا.

كنا ننظر في تفسير محمد مرمدوك بكثال[1] للقرآن الكريم ورأيناه ذهب مذهباً خاصاً في نقل كلمة «الله» ـ عز وجل ـ إلى الإنجليزية: لفظ الجلالة يترجم عادة بـ God ولكن «بكثال» لاحظ أن كلمة God لا تثير في ذهن القارىء الإنجليزي ما تثيره كلمة «الله» في ذهن القارىء العربي: فكلمة God في الإنجليزية تؤنث بـ Goddess، وتجمع على Gods، بينما الله، وهو واحد لا شريك له، كلمة ليس لها مثنىٰ ولا جمع، ولا مؤنث، إن التصور الذي تشير إليه كلمة «الله»، سبحانه وتعالىٰ، تصور يقضي على الشرك، بينما كلمة God لا تقضي على هذا التصور، ولم يجد بكثال في الإنجليزية كلمة تقابل كلمة «الله» في العربية، فاحتفظ بكلمة «الله» في الإنجليزية كما هي، يترجم «بسم الله الرحمن الرحيم» بقوله: In the name af Allah, the Beneficient, the Merciful.

٤ ـ كيف نواجه هذا الاختلاف؟

هل نطالب المتكلمين بتحديث معاني ألفاظهم في الكلام؟

إن كثيراً من الشواهد التي سقناها يراعى أصحابها الدقة الكاملة ولم يحل هذا دون حدوث النزاع.

ولو أمكنت هذه المطالبة إلى حد ما في اللغة العلمية فكيف تتأتى الاستجابة لها في لغة الشعر مثلاً؟

إن الشاعر يعتمد في صناعته اعتماداً كبيراً على قدرة الألفاظ على الإيحاء والإثارة.

---

(١) أنظر تعليق رقم ٢ من هامش ص ٣١ من:

Mohammed Marmaduke Pickthall: The Meaning of The Glorious Koran: An Explanatory Translation Published as a Mentor Book, 1953, New York, U.S.A.

ولن يوجد الفن الشعري إلا مصحوباً بالخلاف في فهم ما يقصده الشاعر ومن قديم قالوا «المعنى في بطن الشاعر» والحق أنه قد يكون كذلك وقد لا يكون.

وقد سئل كثير من كبار الشعراء عما يقصدون بقولهم فلم يوضحوا. وبعضهم وافق على أكثر من تفسير. إن للغة الشعرية طبيعة خاصة، وهي كما قلنا، تعتمد اعتماداً كبيراً على الألوان والظلال المختلفة التي تثيرها الكلمات.

ونرى، قبل أن نعرف بالاتجاهات الأساسية في دراسة المعنى» أن نعرف بما لا غنى عن التعريف به مما وصل إليه اللغويون المحدثون من بعض النتائج المستمدة من دراسة بعض المسائل الأساسية لفهم مشكلة «المعنى»، وذلك مثل «تحصيل المعنى»، وعملية «توصيل» الكلام، و«تغيرات المعنى» الخ.

- ٣ -
تحصيل المعنى[1]

١ ـ إن الطفل عندما يأخذ في تعلم اللغة، لا يتعلم أصواتها أولاً، ثم نحوها، ثم معاني الكلمات والعبارات؛ وهو لا يسمع اللغة كلمة كلمة، إنه يسمع كلاماً متصلاً مرتبطاً بسياقات خاصة.

وبكثرة التكرار والتقليد وإرشاد من حوله من المتكلمين تعني بعض الأصوات (الكلمات) عنده شيئاً ما. ومن الملاحظ أن الأطفال يدركون معاني الأصوات قبل قدرتهم على إخراج هذه الأصوات.

ومن أول ما يحصله الطفل معاني المحسوسات لا سيما معاني الكلمات الدالة على أعضاء الجسم الإنساني، وعلى الأدوات والموضوعات التي يستعملها. ثم يحين وقت يدرك فيه أن كلمة «عين» مثلاً تدل على هذا الجزء من جسمه، وأن «لبن» تعني هذا الذي يرضعه، وأن «حمار» تدل على هذا الجسم الذي يراه من وراء نافذته ويسمع نهيقه.

ولكن تحصيل هذه المعاني الحسية نفسها يستغرق منه وقتاً، فهو قد يسمى كلاً من الخروف والبقرة والحصان «حماراً»، وقد يطلق على أنفه كلمة «عين».

---

(١) استعنا في عرض هذا الموضوع بما كتبته عنه الأستاذة مارجريت شلاوخ:
Margaret Schlauchj: The Gift of Tongues; pp. 110 — 113.

ولكنه عندما يتحقق من أن العين «عين»، نراه يطلقها على «عين» أمه أو أخته، وعلى «عين» زائر من الزوار، بل قد يوسع ذلك فيطلقها على «عين» القطة و«عين» الديك مثلاً.

٢ ـ ولكن تعلم الطفل للمعنى لا يستمر على هذه الصورة البسيطة، فإنه يسمع استعمالات لبعض الكلمات توقعه في الحيرة. إنه يسمع استعمالات مجازية لبعض الكلمة التي تعلمها للدلالة على بعض أجزاء الجسم الإنساني أو بعض الأدوات والموضوعات. وقد تكون الصلة قريبة بين الاستعمالات المجازية وبين ما تعلمه أولاً وقد تكون بعيدة.

إنه تعلم أن، الرجل هي ذلك الجزء من جسمه، ثم يسمع أمثال «رجل الكرسي» و«رجل» المنضدة.

و«عين» إنه يسمع عبارات مثل «عين الإبرة» أي هذا الثقب الذي يدخل فيه الخيط، و«عين الجمل» إذا كان قاهرياً بمعنى «الجوز»، وإذا كان ليبياً فهو يسمع «عين مارة» للدلالة على موضع بعينه.

وهو يسمع ما يقابل «أذن الفنجان» أو «يد الفنجان». ونحن نتوسع مع الأطفال في الاستعمالات المجازية، فنسمعهم مجازات غير موجودة في لغتنا. وقد يسأل الطفل عن الجزء المضيء من الراديو مثلاً فنجيبه بأنه «عين الراديو»، وقد يسر الطفل لذلك ويرضى عنه.

فلا قدرة للطفل في هذه السن على التمييز بين الوظائف المختلفة لعالم الحيوان والنبات والجماد. ومما يسهل عليه قبول هذه الاستعمالات المجازية أنه يرى أن كل شيء حوله حي حياته، لكل شيء حوله روح، فمن اليسير عليه أن يتقبل أن يكون لكل شيء أذن وأنف وفم، وركبة ولسان. الخ بل إنه أحياناً ليبدأ بالسؤال عن «لسان التفاحة؟!». وهو قد يتصور أن البرتقالة تراه وتسمعه.

وكثيراً ما يستغل الآباء هذه الظاهرة للسيطرة على الطفل، ولتخويفه وضمان طاعته فنحن نقول له إن «العصفورة» قالت لي عنه كذا وكذا، وإنها تخبرنا بكل ما يفعله وبكل ما يدور في نفسه.

وهكذا يرتفع المجاز إلى مستوى الأسطورة، ولكن الأطفال لا يلبثون أن يدركوا هذه «الأكاذيب» في سن مبكرة.

٣ - إن تسمية كل من قوائم الكرسي «رجلاً» مجاز[١]. وهكذا يسبب التشابه الفيزيقي تحول اسم من الأسماء واضح في أصله ومحدد ومحسوس. لقد حدث «تحول دلالي»[٢]. وقد نتج عن ذلك اتساع استعمال كلمة «رجل» وهذا هو «الاتساع المجازي»[٣] للكلمات لتشمل مسميات (= موضوعات) جديدة تشبه الأصلية شيئاً ما.

إن المجاز يتضمن إدراك مثل هذه التشابهات. وعن هذا الطريق يتسع معنى الكلمات على الدوام ويتغير.

ومن الأمثلة الشائعة على هذا[٤]:

١ - التوسع في إستعمال أسماء أجزاء الجسم في الدلالة على أشياء هي في ذاتها محسوسة ومألوفة وذلك مثل:

«أسنان» المشط، أو «أسنان» المنشار؛ «ذراع» النظارة؛ «رأس» الفجل أو الخس. «قلب» الخس أو التفاحة أو البرتقالة.

---

(١) Metaphor

(٢) Semantic Shift

(٣) Metaphoric Extension

(٤) Schlauch: The Gift...; p. 111 — 113.

٢ ـ وأسماء الحيوان وأعضاؤه تظهر في كثير من الكلمات للدلالة على معان جديدة وذلك كاستعمال «القرد» في العربية للدلالة على قبيح الوجه؛ ووصف الإنسان بأنه «كلب» أو «ذئب» أو «نمر» الخ.

٣ ـ ونحن نأخذ من النباتات وأجزائها تعبيرات مثل:

«جذر الضرس».

٤ ـ كما أن الآلات والأدوات والمخترعات البسيطة قد قدمت أسماء لموضوعات مشابهة في كل مكان. وذلك مثل:

«رقبة» الزجاجة، و«لسان» القفل، و«سقف» الحلق، و«طبلة» الأذن و«مفاتيح» البيان... الخ.

٥ ـ إطلاق كلمات دالة على الزمن للدلالة على المكان أو العكس. ومن العسير في حالات كثيرة تحديد الاستعمال الأصلي.

وهذا يحدث كثيراً في «قبل» و«بعد»، نقول: «وصل محمد قبل علي»، و«محمد جالس في الوسط، وعلي جالس قبل محمد».

والراجح أن أحد استعمالي «قبل» استعمال مجازي بالنسبة للثاني.

٦ ـ ونحن نحوّل كلمات تصف انطباعات حاسة من الحواس الخمس، لتنطبق على انطباعات حاسة أخرى؛ فنتحدث عن نغمة «حادة» و«صوت ناعم» و«صوت خشن» و«لون صارخ» و«ضحكة مرة».

٧ ـ كما أننا ننقل أي لفظ من هذه الألفاظ المادية للدلالة على الحالات النفسية فنصف المرض أو الأسى بأنه «مُرّ».

٨ ـ ونحن نستعمل الألوان لتسمية بعض صفات الشخصية أو الخلق فنقول: «أصفر الوجه»، و«أبيض القلب»، و«قلبه أسود».

٩ ـ واللغة الروسية تستعمل مشتقات كلمة Krasnyi (= أحمر) صفات للتعبير عن السرور والاستحسان وليس لهذا الاستعمال صلة بالسياسة فهذا تحول دلالي قديم لا شك أنه متصل بما هو معروف عن الروس ـ في الريف خاصة ـ من تفضيل الألوان البراقة وهي مشاهدة بصورة واضحة في التطريز الريفي والأعمال الخشبية الريفية[١].

(١) المرجع السابق ص ١١٣.

- ٤ -
توصيل الكلام أو
المضمون المنطقي والمضمون النفسي

١ ـ كل منا يصدر في كلامه عن عالم خاص به، فلكل تجاربه وحياته: وقد تتقارب تجارب اثنين وحياتهما، ولكن التطابق التام في جملة التجارب وتفصيلات الحياة أمر مستحيل. ولذلك لا يتعلم شخصان نفس الكلمة في نفس الظروف تماماً، وفي نفس الوقت؛ قد «يسمعاتها» معاً من نفس الشخص وفي نفس المكان، وفي أحوال مشتركة... الخ. ولكن «استجابة» هذا نحو الكلمة الجديدة لا تكون مطابقة لاستجابة ذاك، نحوها، ومرجع هذا إلى أن لكليهما تكوينه النفسي، وينتج عن هذا أن فهم هذا لهذه الكلمة ستلوّنه إيحاءات. وظلال من المعاني، غير الإيحاءات وظلال المعاني التي تلوّن فهم الثاني لنفس الكلمة. وهذا هو ما يعنيه هرمان بول[١] بقوله إن كل خلق لغوي - وكل إعادة للخلق اللغوي - هو من عمل الفرد وإنه ليظل من عمل الفرد.

ولكن على الرغم من هذا فإن عمليات «التوصيل» تتكرر وتتكرر في ظروف متشابهة وينتج عن تكرارها أن يتقارب فهم الجماعة الكلامية لهذه الكلمة أو لتلك العبارة.

---

(١) Hermann Paul

إن لكل كلمة من كلمات مضموناً منطقياً ومضموناً، أو إرتباطاً، نفسياً. والمضمون «المنطقي»، وهو المعنى الذي ينص عليه القاموس في الأغلب، يكون الاشتراك في فهمه واحداً أو شديد التقارب، ولكن المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم لمتكلم اختلافاً كبيراً، ولا يمنع هذا من أن يشترك جمهور المتكلمين باللغة في طائفة كبيرة من إيحاءاته ومما يرتبط به من ظلال المعاني.

نحن لا نستعمل الكلمة بمعناها المنطقي مفصولاً عن مضمونها النفسي، ولا بهذا مفصولاً عن ذاك؛ إن الكلمة عندما تصدر عنا، أو عندما تصل إلى أسماعنا، تتضمن هذا وذاك. عندما أسمع كلمة «الأهرام» فأنا أفهم منها ما يدل على الأبنية الشامخة التي بناها الفراعنة في «الجيزة» من زمن سحيق؛ وهي تثير في نفسي وفي نفوس غالبية المتكلمين بالمصرية ضرباً من الزهو والفخار؛ هذه معان وظلال من المعاني شبه مشتركة، ولكن قد أنفرد أنا بتجربة، أو بتجارب، متعلقة بالأهرام: قد يثير سماعي لهذه الكلمة تلك المتعة الفائقة التي أحسستها عندما زرتها، وأنا طفل، لأول مرة مع والدي؛ وقد تثير في ذهن آخر ضرباً من الأسى والألم لأنه في يوم من أيام زيارته لها عرض له حادث أليم، فما يسمع هذه الكلمة، أو يتذكرها، حتى تنبعث في نفسه تلك الذكرى الأليمة، وهكذا.

أمثال هذه الخلافات الفردية في التجربة فيما يتعلق بالكلمات تظهر أنواع الارتباطات المختلفة أو فروقاً في المعاني المستدعاة. وبعض الارتباطات يظل شديد الخصوصية والفردية كما ذكرنا، ويكون غيره متطابقاً عند أشخاص كثيرين؛ وهكذا يشيع ارتباطه بالكلمة.

٢ ـ ولا شك أن ثمة فروقاً في استعمال الكلمات مرجعها إلى نوع» الكلام: فرجل العلم يسعى في أن يخلص كلامه من كل ارتباط نفسي، ولكنه

بطبيعة الحال، لا يستطيع أن ينجح في هذا كل النجاح؛ وحتى الرياضي الذي لا يستعمل إلا الرموز الرياضية المجردة مثلاً، فإن هذه الرموز يظل لها إيقاع صوتي، ويثير هذا الإيقاع إحساسات في نفس هذا، ويثير غيرها في نفس ذاك، وقد يثير ذلك الإيقاع إحساسات مختلفة باختلاف السامعين أو القارئين، وهكذا.

أما الشاعر مثلاً فهو يعنى أول ما يعني بما تثيره الكلمات من إيحاءات ومن ظلال المعاني، هذا هو شغله الأول.

ـ ٥ ـ

تغيـر المعنـــى

١ ـ يحدث «التطور الدلالي»[١] تدريجياً في أغلب الأحوال، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى. وإن تغيرات المعنى[٢] غالباً ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعي، وإن هذه الميول الاجتماعية، أوضح في حالة «التغير الدلالي» منها في حالة «التغير الصوتي».

وقد استطاع اللغويون، بعد طول النظر في ما يطرأ على المعاني من تغيرات، في لغات كثيرة، أن يحصروا هذه التغيرات في «أنواع» رئيسية تصدق على جميع اللغات.

ونأخذ الآن في التعريف بأنواع التغير الدلالي:

١ ـ التغير الانحطاطي أو «الخافض»[٣].

هذا النوع من التغير في المعنى يصدق على الكلمات التي كانت

---

(١) Semantic Development

(٢) Changes In Meaning

(٣) Pejorative Change

وأنظر

Schlauch; The Gift...; pp. 117 — 118.

والدكتور إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

دلالتها تعد في نظر الجماعة «نبيلة» رفيعة» «قوية» نسبياً ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة، أو أصبح لها ارتباطات تزدريها الجماعة.

وقد لوحظ أن أكثر الكلمات التي تميل إلى أن تنحط دلالةً هي على وجه خاص تلك الدائرة حول الجنس وما يتصل به، وحول الزهو الطبقي، وحول ما يثير في الجماعة الكلامية مشاعر كالخجل - كأسماء قطع الملابس الداخلية - والخوف، والذعر الخ، وحول «الألقاب»، وحول ما يثير بطبيعته اشمئزازاً أو نفوراً.

١ - ومن الكلمات ذات الدلالة القوية أصلاً ثم هان شأنها نسبياً، تهديدنا الخصم عند الشجار العادي بـ «القتل» و«كسر الرجلين» و«دق الرقبة». . الخ. ولا شيء من ذلك يحدث، ولا يعتبر هذا في نظر «القضاء مثلاً شروعاً في القتل حقاً.

٢ - ومن الملاحظ أن الملابس الخاصة كثيراً ما تتغير الأسماء الدالة عليها، وما ذلك إلا لأن الاسم الأول يصيبه «الابتذال» وتتعفف عنه الجماعة في جيل من الأجيال فتصطنع اسماً آخر له، ثم يصيب الثاني ما أصاب الأول وهكذا. ومن أشهر الأمثلة على ذلك أن كلمة Shirt الإنجليزية أصبحت «غير محترمة» في وقت من الأوقات فحل محلها كلمة Chemise المستوردة من فرنسا ليستر وراءها الإنجليز رقتهم أو خجلهم؛ وكلمة Chemise يحل محلها أحياناً كلمة Combination ، أو أنها تستبعد كلية.

و«البنطلون» كان يسمى بالإنجليزية في وقت من الأوقات breaches ثم حلت محل هذه الكلمة كلمة مستعارة هي Pantaloons ، ثم اختصرت هذه إلى Pants ، وأخيراً قضى على هذه كلمة trousers .

٣ ـ وبعد التغيرات الكبيرة الاجتماعية والسياسية التي شهدتها أوروبا في العصر الحديث فقد كثير من ألقاب الطبقة العليا ما كان لها من بريق نتيجة تعلقها بالنظام الإقطاعي وبالسيادة بوجه عام، وشاع إطلاق كثير من هذه الألقاب على الأشخاص العاديين وذلك مثل Sir و Lady في الإنجليزية، وMonsieur وMadame في الفرنسية، وHerr وFrau في الألمانية وSenor و Senora في الإيطالية.

وبعد إلغاء الألقاب في مصر الحديثة وتلقيب المواطنين جمعاً بلقب «السيد» أصاب الخمول الألقاب القديمة ذات العظمة والبريق مثل «الأمير» و«صاحب السمو الأمير» و«الباشا» و«البك» و «الأفندي»[١] الخ . . .

٤ ـ والموضوعات المثيرة للاشمئزاز والنفور تضفي على ألفاظها ظلالاً من الضعة والانحطاط؛ وتميل الجماعة الكلامية عادة إلى هجر الكلمات الدالة على هذه الموضوعات إلى سواها؛ ومن ذلك في العربية التغيير المتتابع للكلمة الدالة على «المرحاض».

وكلمة Slaughter — House الإنجليزية (بمعنى «مذبح») قد هجرت إلى كلمة Abatoir .

٢ ـ التغير المتسامي[٢]:

يتضح من اسم هذا النوع من أنواع التغير في المعنى أنه يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معان «هينة» أو «وضيعة» أو «ضعيفة»

---

(١) أنظر كتابنا اللغة والمجتمع: رأى ومنهج ص٤٨ ـ ٤٩.

(٢) Meliorative Change

أنظر Schlauch: The Gift...; p. 119.

و«دلالة الألفاظ» للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

نسبياً، ثم صارت تدل في نظر الجماعة الكلامية على معان «أرفع»، أو «أشرف»، أو «أقوى» الخ ومن أشهر الأمثلة الموضحة لهذا النوع ما يتعلق بالمستويات الاجتماعية، والفوارق الطبقية.

ومن ذلك أن كلمة Marshal (مارشال) الإنجليزية كانت تعني في وقت من الأوقات الغلام الذي يتعهد الأفراس (mares) أي «صبي إسطبل»!

وكذلك كلمة Angel كانت تدل على «الرسول» الذي يشبه «موزع البريد» في أيامنا، ثم رفع الفقهاء هذا اللفظ باستعماله للدلالة على الكائن المتوسط بين العقل الإلهي والعقل الإنساني.

ومن ذلك في العربية انتقال كلمة «بَيت» من الدلالة على المسكن المصنوع من الشعر إلى «البيت» الضخم الكبير المتعدد «المساكن» الذي نعهده في المدن.

٣ ـ التغير نحو التخصيص أو «تخصيص المعنى»[١]:

كثيراً ما يحدث في اللغات جميعاً أن «تخصّص» ألفاظ كان يستعمل كل منها للدلالة على طبقة عامة من الأشياء، فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، وهكذا يضيق مجال «الأفراد» الذي كانت تصدق عليه أولاً.

ومن ذلك أن الكلمة الروسية Shtraf، وهي مأخوذة من الألمانية، كانت تعني أولاً «العقوبة» بوجه عام ثم صارت تدل على معنى «الغرامة المالية» ليس غير.

---

(١) Narrowing (Restrictions) of Meaning

أنظر Schlauch. The Gift...; p. 120.

وأنظر إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص ١٤٨ ـ ١٥٠.

ومن ذلك في الإنجليزية أن كلمة Corpse كانت تستعمل أولاً استعمالاً مطابقاً لاستعمال أصلها اللاتيني وهو كلمة corpus فكانت تدل على «الجسم» إنسانياً كان أو غير إنساني، حياً أو ميتاً، ولكن معناها ضيق وخصص فأصبحت الآن لا تدل إلا على جثة الإنسان الميت.

وكلمة «الفاكهة» في العربية كان من معانيها «الثمار كلها» ثم خصص هذا المعنى للدلالة على أنواع معينة من الثمار كالتفاح والعنب والموز والخوخ... الخ.

٤ ـ التغير نحو التعميم، أو «تعميم المعنى»[١]

إن تعميم المعنى ضد تخصيصه: فكما رأينا الكلمة التي كانت تدل على أفراد كثيرين ينحصر معناها فتدل على فرد واحد منها مثلاً، فكذلك يطرأ على الكلمات التغير المضاد فتستعمل الكلمة التي كانت تدل على فرد مثلاً للدلالة على أفراد كثيرين أو على «طبقة» بأسرها.

ومن ذلك في الإنجليزية كلمة Barn كانت تدل فيما مضى على «مخزن الشعير» ولكنها الآن تدل على مخزن أي نوع من أنواع الحبوب، وعلى مخزن سوى الحبوب أحياناً.

وكلمة Manuscript (مخطوط، أي باليد) غالباً ما يتسع معناها الآن لتشمل المادة المكتوبة على الآلة الكاتبة كذلك، ولو أن هذه الأخيرة يدل عليها أحياناً بكلمة أدق هي Typescript[٢].

---

(١) Expansion of Meaning: Schlauch: The Gift of Tongues; p. 121.

إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) سجل ميشيل برييل Michel Breal مثالاً غريباً من السنسكريتية على تعميم المعنى: تناقله عنه اللغويون: فكلمة shtha — go كانت تعني «حظيرة البقر» ولكن اتسع معناها فصارت تدل =

ومن الملاحظ في عربية مصر خاصة أن كلمة «الورد» تطلق على الورد الأحمر المعروف نفسه، وهذا هو الأصل في معناها، وتطلق في الوقت نفسه على كل زهر من الزهور؛ وأن كلمة «عربية» وكانت قاصرة على العربية التي تدفع باليد أو تجرها الخيل مثلاً، اتسع معناها فصارت تشمل «السيارة» الآلية كذلك.

٥ ـ التحول نحو المعاني المضادة

من الملاحظات الصادقة على أكثر اللغات، إن لم يكن عليها جميعاً، استعمال كلمة للدلالة على معنى معين، واستعمالها في نفس الوقت للدلالة على ضد هذا المعنى، وقد درس لغويو العربية هذا الجانب من جوانب مفردات لغتنا، ولهم في «الأضداد» كتب كثيرة ومن ذلك كلمة «الجَوْن» تطلق على الأسود وعلى الأبيض جميعاً ـ ولو أن استعمال هذه الكلمة في عصرنا آخذ في القلة ويكاد أن يكون محدوداً بالشعر وبأنواع من النصوص الأدبية ـ (وهي تدل في أصلها القديم كذلك على الأحمر الخالص)؛ ومنها «بان» بمعنى فارق وانقطع «وبان» بمعنى ظهر واتضح؛ ومنها «طَرب» بمعنى اضطرب حزناً وبمعنى اضطرب فرحاً.

وكلمة «الضد» نفسها تدل على «المخالف»، وتدل على «النظير».

هذه الظاهرة، ظاهرة الأضداد، ملحوظة في أكثر اللغات فما تفسيرها؟ إن الذي عليه أكثر اللغويين أن الكلمة المعبرة عن المعنى وضده سبق استعمالها في الأغلب للدلالة على أحد المعنيين، ثم استعملت للدلالة على المعنى الآخر في عصر تال وهكذا تصاحب الاستعمالان.

= على أي نوع من الحظائر، حتى أصبح ممكناً بعد ذلك أن يقال: acava — go — shtha أي «حظيرة ـ الخيل ـ البقر»! (عن ...The Gift ص ١٢١).

ولكن لم اتخذت نفس الكلمة للدلالة على المعنى المضاد، ولم تُصنطع كلمة جديدة؛ أو كلمة سواها؟ مردّ ذلك إلى أننا نفكر في كل صفة مع ما يقابلها، فعندما أقول «أبيض» فأنا أفكر «غير واعٍ» في «غير الأبيض» وفي «ضد الأبيض» من الألوان، أي في «الأسود». «إننا نُنحي الضد بينما نكون مدركين له في نفس الوقت على أنه تعريف بالسلب.

ولقد عبر جوست تراير[1]، العالم الألماني، تعبيراً دقيقاً عن هذه الحقيقة بقوله، كل كلمة تلفظ تثير معناها المضاد»[2].

٢ ـ التغير الدلالي والاستعمال النحوي

نحن في هذه المرحلة من مراحل تاريخ العربية نستعمل كلمات معينة للتعبير عن معان نحوية، وكل كلمة من هذه يحكم استعمالها شروط معروفة. فنحن نستعمل للاستفهام ما، من، كيف، هل، الهمزة الخ وللنفي ما، لم الخ، وهكذا.

وثمة كلمات أساسية في سائر اللغات تستعمل للتعبير عن العلاقات النحوية.

أمثال هذه الكلمات عرضة للتغير كسائر مفردات اللغة؛ والدراسة التاريخية تبين أن أمثال هذه الكلمات قد وصلت، في الأغلب، إلى وظيفتها الحالية عن طريق بعض التغيرات الدلالية. وهذه التغيرات مختلفة نوعاً[3].

---

(١) Jost Trier

(٢) عن: Schlauch: The Gift...; p. 122.

وأنظر كلام الأستاذة مارجريت شلاوخ عن التحول الدلالي في كلمة meat (ص ١٢٣) من كتابها المذكور.

(٣) انظر في هذا الموضوع: Schlauch: The Gift...; pp 123 — 124.

١ ـ فقد يتسع معنى كلمة واحدة محدودة الاستعمال أصلاً لتؤدي عمل طبقة بأسرها. ومن ذلك الفعل الإنجليزي do فإنه يحل محل أفعال أخرى كثيرة في الجمل التي تحيل على كلام سابق، فالسؤال: (Does she Play) = (هل تلعب [هي]؟) قد يجاب عنه بـ No, she does'nt ليس غير دون إيراد الفعل Play الدال على اللعب، وهكذا في الأسئلة التي ترد على هذا المنوال، فتحل كلمة do، أو ما تتصرف إليه حسب السياق، محل الفعل الدال على «الأكل» إن كان السؤال عن الأكل، ومحل الدال على «السفر» إن كان السؤال عن السفر وهكذا.

٢ ـ ومن الكلمات المعبرة عن بعض العلاقات النحوية في الإنجليزية، والتي اتسع معناها الحالي عن مجال دلالتها الأصلية، ولكن بوجه آخر غير الوجه الذي لحظناه في المثال السابق، كلمةmore كانت هذه الكلمة في وقت من الأوقات اسماً يدل على مقدار فائض من كمية مادية، ولكن اتسع استعمالها الآن لما صارت، كذلك، وسيلة لجعل صفات أخرى «أسماء تفضيل» وهكذا يقالmore beautiful (= أجمل).

٣ ـ وهذا مثال من الفرنسية يتخذ فيه التغيير وجهاً آخر غير الوجهين السابقين:

إن الأشكال النحوية للنفي في الفرنسية قد أدت إلى تغيير غريب نجم عنه أن ألفاظاً تدل أصلاً على معان مثبتة، صارت تدل على أضدادها، أي على معان منفية. ومن ذلك أن التعبيرات الفرنسية التي كانت تعني «ولا خطوة» ne.... pas، و«ولا شيء» ne.... rien و«ولا شخص» ne... personne صارت تستعمل استعمالاً خاصاً في الرد على كثير من الأسئلة ذات الصيغ المعينة يتلخص في حذف الجزء الأول من هذه التعبيرات ـ وهو كلمة ne، وهي الكلمة الدالة على النفي ـ فيرد بكلمة pas (خطوة) أو

personne (شخص) أو rien ,! (شيء) وحدها ـ وهي تدل على الثبوت ـ ولكن يفهم الفرنسيون من هذه الكلمة معنى النفي، بعد حذف الكلمة الدالة أصلاً على النفي! فإذا رد الفرنسي على سؤال بمعنى: «من هناك؟» وأراد أن يقول ما يقابل: «لا أحد» قال personne أي «شخص» (أو «أحد»!).

إن مثل هذا الإيجاز، أي حذف جزء من عبارة مركبة واستعمال الباقي للدلالة على معنى الكل، أمر له نظائر في معظم اللغات.

٣ ـ التغير الدلالي والتاريخ الثقافي[1]

من مظاهر التغير الدلالي ما يكشف لنا عن ماضينا الثقافي، وذلك أنه يلاحظ عند أصحاب اللغات المختلفة ميل قوى إلى إطلاق بعض الكلمات المأثورة للدلالة على مسميات جديدة لم يكن لها أي وجود فيما مضى؛ وذلك كأسماء المخترعات خاصة؛ فأكثر أصحاب اللغات يطلقون على الآلة المخترعة في حالات كثيرة، اسماً من كلامهم المألوف الذي كان مستعملاً قبل ظهور هذا الاختراع، وهذا الاسم يكتسب بهذا معنى جديداً لم يكن له، وقد ينسخ هذا المعنى الجديد المعنى القديم، في معظم الأحوال. ومن ذلك كلمة «دبابة» في اللغة العربية: نحن نستعملها في الوقت الحاضر للدلالة على السيارة المصفحة المعروفة، التي تتحرك بطريقة آلية والتي تهجم على صفوف الأعداء، وترمي منها القذائف؛ والدبابة كلمة قديمة، وكانت تدل على آلة قتال كذلك، ولكن الآلة القديمة كانت «بدائية» بالقياس إلى الدبابة الحديثة، فالدبابة القديمة آلة تتخذ في الحصار كانوا يدخلون في جوفها، ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها[2].

---

(١) أنظر Schlauch: The Gift...; pp. 124 — 126.

(٢) «الدبابة» بمعناها القديم معروفة من العصر الجاهلي، وقد وردت الإشارة إليها في سيرة النبي (صلعم) لابن هشام.

إن السبب المباشر في هذا النوع من التغير الدلالي هو التغيرات العارضة في العالم الخارجي، لا تغيرات أو عوامل نفسية داخلية؛ ولكن على الرغم من ذلك يظل للعوامل النفسية أثرها، فمرد استعمال الكلمات القديمة هذا الاستعمال الذي أوضحناه إلى نزعة المحافظة» والإبقاء على القديم؛ وهكذا يلاحظ أن كثيراً من المفردات «التكنولوجية» في معظم اللغات مفردات قديمة تغيرت معانيها. ونحن نقول «أقلعت السفينة» وهذا الفعل من «القِلعْ بمعنى الشراع (أي نشرت شراعا أو سارت) والسفينة الآن لا «قلع» لها بل تسير بالبخار. ونظير هذا الاستعمال موجود في الإنجليزية فهم لا يزالون يستعملون الفعل to sail حتى عندما يتحدثون عن المراكب البخارية غير ذوات الأشرعة.

ومن المجاز القديم الذي لا نزال نستعمله قولنا. «دارت رحى الحرب» وإن تشبيه طحن الحرب بطحن «الرحى» يبدو ساذجاً في العصر الحديث ولكن لا يزال لهذا المجاز أثره، فكأننا لا نبالي بالمعنى الأصلي للرحى إنما نشير إلى إفناء الحرب بوجه عام.

والكلمة الدالة على «يد»، والمأخوذة من اللاتينية manus لا تزال في كثير من اللغات الأوروبية تتصدر كلمات كثيرة تدل على منتجات لم تعد تصنع باليد بالعشرات، بل تصنع آلياً بالألوف والملايين، ومن ذلك كلمة manuscript وقد مرت، وكلمة manufactured products (المنتجات الصناعية).

وكلمة paper في الإنجليزية تشير إلى طور قديم كان الورق فيه يتخذ من البردى[1]، لا من لب الخشب كما هو الحال الآن، ومع ذلك

---

(١) Papyrus

ـ paper تدل في إنجليزية عصرنا على الورق.

وكلمة pen لا تزال إلى الآن تدل على القلم أو على سن القلم، وكانت أصلاً دلالة على «القلم» القديم أي «الريشة» التي كانت تتخذ للكتابة من ريش الطيور.

وهكذا فالاشتقاق اليسير في كلمات كثيرة يعيننا على العودة، عن طريق التغير الدلالي، إلى العصور الغابرة[1]؛ فإن كثيراً من الكلمات في كل لغة تحفظ آثاراً من الحياة القديمة في هذا الجانب أو ذاك من جوانبها.

---

(١) أوردت مارجريت شلاوخ (ص ١٢٥ ـ ١٢٦) هذا المثال من الألمانية، بالإضافة إلى الأمثلة الأوروبية التي عرضناها: إن الكلمة الألمانية Wand (بمعنى حائط؛ بالإنجليزية: Wall) تظهر أن المساكن المنسوجة أو مساكن «الشعر» كانت قائمة في الأراضي الجرمانية في الأزمنة التاريخية.

وهذه الكلمة لا تزال تستعمل في الألمانية للدلالة على حوائط من الحجر والطوب لها هيكل من الحديد والصلب بعيدة كل البعد من بيوت «الشعر» البدائية.

- ٦ -

مناهج دراسة المعنى[1]

قلنا إن «علم الدلالة» هو قمة الدراسات اللغوية، ولكنه مع ذلك، أحدثها ظهوراً. فقد تأخر اهتمام المحدثين من علماء اللغاء بمشكلة المعنى اهتماماً علمياً، يضيف إلى ما كان يتداوله قدماء اللغويين في هذا الشأن.

لم تظهر دراسة المعنى إلا بعد أن تم تصنيف تفصيلات «التغير الصوتي» و«التقابلات الصوتية» بزمن طويل.

أ ـ نشأة علم الدلالة

ميشيل بيرييل

إن أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى هي تلك التي قام بها ميشيل بريبل[1] في كتابه: Essai de Semantique سنة ١٨٩٧ .

وهذا المصطلح الذي أطلقه بريبل على دراسته هذه، وهو كلمة Semantique من وضع بريبل نفسه فقد كان على بريبل أن يسمي هذه

---

(١) أنظر:

— Stephan Ullmann & The Principles of Semantics Glasgow U.S.A. Glasgow University Publications, No, 48.

— Shlauch& The Gift...; PP. 126 - 132.

(٢) Michel Breal

الدراسة باسم يميزها من سائر الدراسات اللغوية. ولكن معنى Semantique عند برييل غير معناها الذي تعرف به الآن عادة، ولو أن اللغويين الآن يعرفون هذا المصطلح تعريفات مختلفة.

كانت «المباديء» أو «الأصول» التي وصل إليها برييل في دراسته هذه مأخوذة كلها، تقريباً، من دراسة اللغات الكلاسيكية: اليونانية، واللاتينية والسنسكريتية. كانت الدراسة الدلالية عند برييل، وبعد برييل بفترة غير قصيرة كما سنرى، مقصورة في الواقع على «الاشتقاق التاريخي». ويبدو أن برييل كان يرى في «الأصول» التي تحكم تغير المعنى خصائص عقلية مجردة وذلك مثل «الحاجة إلى الوضوح».

ولكن برييل، ومن خلفه إلى حين، كانوا لا يعنون العناية الواجبة بالجوانب الاجتماعية وغير الاجتماعية للظروف الإنسانية التي يحدث فيها التغير.

ب ـ دراسة تغير المعنى بعد برييل

٢ ـ كان لدراسة برييل أثرها في لفت أنظار اللغويين إلى مشكلة المعنى، أو إلى تغير المعنى بوجه خاص، فازدادت رغبة اللغويين في محاولة إدراك الظروف الخارجية التي تعين على تغير المعنى؛ فأخذوا يبحثون في تاريخ الحياة الثقافية للشعوب التي يدرسون لغاتها بحثاً عن الدوافع التي قد يكون من شأنها أن تدفعهم إلى تغيير معنى هذه الكلمة أو تلك.

وقد لاحظوا أن ما يتعلق به إعجاب الجماعات وما يتخذونه مثلاً علياً، أو أمارة على النبالة والرفعة يختلف باختلاف العصور؛ ومن السهل تعقب أسباب هذه الاختلافات، ففي العصور الوسطى تجمعت متعلقات النبل والإعجاب حول صورة رجل على صهوة جواد هو «الفارس»، فقد رفعت

جماعات أوروبية كثيرة الكلمة اللاتينية العامية الدالة على «حصان» وهي كلمة Caballus وأصبحت أصلاً لكلمات كثيرة تشع نبالة، وتبرق رفعة مثل Chivalry (الفروسية) و Cavalier (الفارس).

لقد أخذ إدراك اللغويين لضرورة تضمين ما يرتبط بالكلمات وما تستدعيه الكلمات عند دراسة تاريخها وتغير معانيها، يزداد ويزداد.

ومن ذلك أن منهم من أخذ يدرس دلالات مجموعات من الكلمات المترابطة التي تستعمل في ميدان من الميادين، ككلمات هذه اللغة أو تلك المستعملة في «الأخلاق» مثلاً، أو في هذه الصناعة أو تلك الخ. وقد ثبت أن مثل هذه الدراسة توضح كيف أن تداخل الكلمات، وتكرارها، وغيابها، تسبب اتساع بعض الكلمات معنى، وضيق غيرها، واختفاء سوى هذين النوعين[1]، كما ثبت أن هذه الدراسة لمجموعة المفردات المستعملة في مجال من المجالات خير وأكثر توضيحاً من دراسة تاريخ كلمات مفردة مفصولة فصلاً صناعياً عن سائر الكلمات التي تصحب استعمالها، أو التي تطورت عنها، أو صارت إليها، أي مفصولة عن الكلمات المترابطة بها استعمالاً وتاريخاً.

حـ ـ كتابات غير اللغويين

١ ـ أوجدن وريتشاردز: معنى المعنى

كان كتاب بريل هو السباق والموجه، وكان هذا من أسباب تأثيره

(١) ذكرت الأستاذة مارجريت شلاوخ أن الأستاذ جوست ترايرJost Tier قد صنع هذا الصنيع فيما يتعلق بالكلمات المتصلة بميدان «الذكاء» في نصوص اللغة الألمانية العليا القديمة والوسطى.

كما ذكرت أن عالماً ألمانياً آخر هو الأستاذ و. هروكورت W. Heraucourt قام بدراسة دلالية للكلمات المتعلقة بـ «القيم الأخلاقية عند تشوسر» Chaucer

الكبير، ولقد ظهر بعده بحوالي ست وعشرين سنة كتاب أحدث أضعاف ما أحدثه كتاب بريل من تأثير لا سيما في غير المنقطعين للمسائل اللغوية.

هذا الكتاب هو «معنى المعنى» الذي ألفه س. ك. أوجدن و إ. أ. ريتشاردز[١] وظهر سنة ١٩٢٣.

ومن اللغويين من يرى أن «معنى المعنى» ليس، كما يوحي اسمه، دراسة خالصة للمعنى من الناحية اللغوية، بل إنه يقدم نظرية في المعرفة (= الإبستمولوجيا)[٢]. وأياً ما كان فإن مؤرخي الدراسات اللغوية يقررون أن هذا الاهتمام السائد بدراسة الدلالة منذ سنوات، لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية، قد أثاره بوجه خاص كتاب «معنى المعنى».

والفائدة الكبرى التي أداها هذا الكتاب أنه وضح أجلى توضيح ما تتصف به مشكلة طبيعة المعنى من تعقيد؛ وقد ألزم هذا الكتاب مؤلفين آخرين أن يدرسوا مشكلة المعنى من وجهات نظر مخالفة، كما صنع الأستاذ «بردجمان» مثلاً.

وتفسير أوجدن وريتشارد للمعنى يقوم على أساس «رياضي» «آلي» المعنى عندهما يرتد إلى أربعة عناصر هي: القصد، والقيمة، والمدلول عليه، والانفعال أو العاطفة[٣].

٢ - بردجمان: «منطق الفيزياء الحديثة»

ومن الكتابات المشهورة في الحاجة إلى الوضوح الدلالي تلك التي

---

(١) Charles K. Ogen A ND Ivor A. Richards & The Meaning of Meaning; London, 1923 - Third ed. New York, Harcourt, Brace, 1936.

(٢) Epistemology

(٣) أنظر شيئاً من التفصيل في «مناهج البحث في اللغة» للدكتور تمام حسان ص ٢٤٢، ٢٤٧.

قام بها الأستاذ ب، د، بردجمان وسماها «منطق الفيزياء الحديثة»[1]. بين الأستاذ بردجمان للقارىء المبتدىء تلك التغيرات الدلالية التي تطرأ على بعض الكلمات عندما يستعملها العالم المتخصص في موضوع تخصصه: فكلمتان مثل «الزمان» و «المكان» من الكلمات اليومية المألوفة، ولكن لكل من هذين المصطلحين عند الفيلسوف، أو عالم الفيزياء مثلاً، دلالة تختلف عن دلالته المألوفة في الأحاديث اليومية.

هذه المشكلة، مشكلة المعنى، دفعت الأستاذ بردجمان إلى أن يقترح وسيلة جديدة في «التعريفات» سماها «طريقة العمليات» أو «الإجراءات»[2]. وهذه الطريقة قد طبقها على أمثلة كثيرة في كتاب ثانٍ له هو «الفرد الذكي والمجتمع»[3] مستخرجاً بها بعض المفهومات الاجتماعية: وقضية الأستاذ بردجمان هي: «إن التصور مرادف للعمليات (= للإجراءات) التي تختبره بها»، وذلك كما تختبر الوزن في المعمل.

وعندما طبق بردجمان هذه الطريقة على التصورات الاجتماعية اتضح أن نتائجه كانت مثبطة؛ فهو يقول لنا. إذا لم تستطع أن تختبر تصورات مثل «الديمقراطية» و «الواجب» و «الأخلاق» بوساطة «عمليات «فهي إذن تصورات «لا قدم لها»، أي أنها تصورات لا معنى لها، ويجب إطراحها. وهكذا لا يتبقى آخر الأمر إلا الدوافع المركزة حول «الأنا»، دوافع الأفراد الذين يكونون المجتمع.

إن برجدمان عندما يتكلم عن علم الدلالة يبالغ في إظهار أهمية «الأنا»

---

(١) P. W. Bridgman& Logic of Modern Physics

(٢) Operationalism

(٣) The Intelligent Individual And Society

ويهون من شأن تعاونه اللازم مع الآخرين[1].

٣ ـ ثورمان أرنولد: «فولكلور الرأسمالية»[2].

إن تخصص ثورمان أرنولد يختلف عن تخصص بردجمان، وعن الميادين التي شغل بها أوجدن وريتشاردز نفسيهما؛ إنه من رجال الإدارة الحكومية و«القانون»، فالذي دفعه إلى النظر في مشكلة المعنى دوافع مختلفة، وإدراكه لوجه المشكلة، أو لوجوهها، إدراك مختلف. وثورمان أرنولد من الكتاب غير اللغويين الذين يشغف الناس، لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية، بقراءة كتاباتهم أيما شغف.

يدرس ثورمان أرنولد مشكلة «الرموز» بما فيها الكلمات، ويناقش سلطانها علينا. إنه في كتابه «فولكلور الرأسمالية» يحلل القوة السحرية التي تمتاز بها بعض العبارات الآسرة في اللغة «الإنجليزية الأمريكية» مثل The founders of This Country (مؤسسو هذا البلد)، و The Consititution (الدستور) تحليلاً يثير الضحك المر والسخرية، وقضية ثورمان أرنولد أننا يحكمنا من يسيئون استعمال رموزنا: أي من يسيئون استعمال ما للكلمات من سلطان، موجهينه الوجهة التي يرضونها. ولكنه لا يقدم اقتراحاً لوقف هذه الإساءة اللهم إلا القيام بتمرينات «مقوية» في «تعريفات» الكلمات و«الموضوعات»!

---

(١) ترى الأستاذة مارجريت شلاوخ (ص ١٢٩) أن كلا من اللغوي والاجتماعي قد يتهم «بردجمان» بالإفراط في التبسيط: فقد تجاهل بردجمان أن علاقة الإنسان بالجماعة علاقة ذات وجهين بطبيعتها، وهذه الطبيعة تتكشف بشكل جديد في كل مرة يتعلم فيها، ويستعمل، كلمة جديدة. إن المتكلم، عندما يتكلم، وعندما يستمع، يخدم نفسه كما يخدم السامع. وإن القدرة على التكلم تذوي وتميل إلى الفناء ما لم تمارس في المجتمع. وإن خلق المعاني أنما يتم عن طريق تعاون الفرد والمجتمع.

(٢) Thurman Arnold: The Folklore of Capitalism

٤ ـ الفرد كورتسبسكي[1] : «العلم وسلامة العقل»

الفرد كورتسبسكي من أروج الكتاب غير اللغويين، ومن أبلغهم نفوذاً، وهذا راجع إلى عوامل منها صياغته اللفظية البارعة، ومنها إسرافه في الوعود والبشارات إذ غالى فاعتبر الدراسة الدلالية حلاّلة جميع العقد، والدواء العالمي للأمراض الإنسانية!

يذكّر كورتسبسكي قراءه بتلك الحقيقة الأصلية السليمة وهي أن الكلمة رمز، وليست «الشيء»، أي ليست «الموضوع» أو «المسمّى» أو «المدلول عليه». كما يذكرهم بأنه من الواجب عليهم وعلى البشر أجمع أن يميزوا تمييزاً قاطعاً بين مستويات التجريد في المصطلحات التي يستعملونها.

ويذكرنا كورتسبسكي كذلك بأن أغلب مشكلاتنا الاجتماعية متركزة حول مصطلحات غامضة كثيرة الصور، وهذه المصطلحات تتداخل مع انفعالاتنا تداخلاً ينتج عنه أن ردود أفعالنا الدلالية تصبح مختلطة أيما اختلاط. ويرجع كورتسبسكي الانحرافات الشخصية، والقومية، والعالمية إلى «ردود أفعال عصبية ـ دلالية»[2] تستلزم إعادة التربية.

ويقول كورتسبسكي: «إن أكثر شقائنا في حياتنا لا ينشأ في الميدان الذي تنطبق عليه كلمة «صادق» أو «كاذب»، بل في الميدان الذي لا تنطبق عليه (إحدى) هاتين الكلمتين؛ أي في المجال الكبير، مجال الوظيفة النسبية والخلو من المعنى، حيث ينعدم الاتفاق لا محالة»[3].

ويصف كورتسبسكي رموزاً مثل «النقود» بأنها تجريدات بالغة القوة

---

(١) Schlauch, p. 130.

(٢) Neuro - Semantic Reactions.

تحكم حيواتنا عن طريق الذين يسيئون استعمالها، أي الذين يبرعون في استعمالها استعمالات مضللة.

ويرى كورتسبسكي آخر الأمر، كما رأى ثورمان أرنولد؛ أن حل مشكلاتنا يتلخص في أن نعثر على من يستعمل رموزنا استعمالاً صحيحاً. ولكنه لا يقترح أي إجابة على ذلك التساؤل الأساسي الهام وهو: كيف نختار هؤلاء، وكيف سيتصرفون في رموز هامة مثل «النقود».

٥ ـ ستيورات تشيز: «طغوى الألفاظ»[1]

ائتلف حول كورتسبسكي مريدون أشهرهم ستيوارت تشيز، وهاياكاوا، وقد أخذ هذان على عاتقيهما نشر «عقيدة» كورتسبسكي وتوضيحها بالأمثلة. وربما فاقت حماسة «تشيز» لـ «التمرينات الدلالية»[2] باعتبارها الدواء العالمي الشافي من كل الأمراض حماسة صاحبها كورتسبسكي؛ وقد أتى تشيز بأمثلة بارعة مقنعة تبين مدى حاجتنا إلى توضيح «الموضوعات» أو «الأشياء»، والأسماء» في مجالات مختلفة كالقانون، والاقتصاد، والحكم، والإدارة، والاجتماع، ولكن تشيز يسرف إسراف كورتسبسكي في وعوده إذ يرى أننا حالما نصل إلى تعريفات واضحة للموضوعات والكلمات، وحالما نُنَحّي الكلمات التي لا معنى لها فإننا نصل إلى حل مشكلاتنا الاجتماعية. ومعنى ذلك أن هذه المدرسة ترى أن الدراسة الدلالية ـ وهي دراسة لغوية في أصلها ـ ستحل المشكلات الاجتماعية غير اللغوية، كالفقر، والجهل، والحرب . . . الخ!!

ولكن من مريدي «عقيدة« كورتسبسكي من هو أقل إسرافاً في بشارته

---

(١) Stewart Chase& The Tyranny of Words

(٢) Semantic Exercises

تلك مثل س. أ. هاياكاوا، وإرفنج ج. لي.

٦ ـ **س. أ. هاياكاوا**(١)

٧ ـ **إرفنج ج. لي**(٢)

أكثر هذان الكاتبان من تقديم النصوص الموضحة المفيدة التي يشرحان بها مبادىء ما يسمى «الدلالة العصبية»(٣).

والحق أن كتّاب مدرسة كورتسبسكي قد أسهموا شيئاً ما فيما يتعلق بوسائل «التعريف»، وذلك بكشفهم الحجاب عن بعض الجوانب النفسية الدالة التي كانت قبل متجاهلة.

ولكن لا شك أن قراءهم تعتريهم خيبة الأمل أو يصيبهم اليأس عندما يدركون آخر الأمر أن «التحليل الدلالي» لن يحل لهم مشكلاتهم الاجتماعية على أي وجه من الوجوه.

ولا شك أنه على اللغوي أن يطرح جانباً مزاعم مدرسة كورتسبسكي التي تعتبر التحليل الدلالي حلاً لكل المشكلات، وأن عليه أن يسلم بالأهمية القصوى لدراسة المعنى، وأن ينظر إليها في إطارها الطبيعي فرعاً من فروع علم اللغة قد يختلف اللغويون في رسم مناهجه وفي بعض أصوله وتفصيلاته كما يختلفون في سواه.

نعم إن الخلط المقصود، وإساءة استعمال الكلمات، والتفنن في تضمينها هذا الإيحاء المخاتل أو ذاك، مسائل تمارسها مجتمعاتنا المتحضرة

---

(١) Ś. I. Hayakawa

(٢) Jrving J. Lee

(٣) Neuro-Semantics

على نطاق واسع وخاصة في مجالات الدعاية السياسية، والصحافة، والسينما، والتليفزيون. ولكن «معنى» هذا أن «الكلمات» بطبيعتها تحتمل كل هذه الاستعمالات. إن هذا من شأنه أن يوجهنا إلى النظر في طبيعة الاستعمال اللغوي. أما حل المشكلات الناجمة عن سوء استعمال الكلمات خداعاً وتضليلاً، فليس في طاقة اللغوي ولا هو من ميدانه. ولكن من الواجب الأدبي أن يقدم عالم اللغة العون لرجال الصحافة والاقتصاد والاجتماع وعلماء النفس وسواهم ممن يشغل نفسه بالبحث في حل أمثال هذه المشكلات الاجتماعية والأخلاقية.

د ـ من نظريات اللغويين في علم الدلالة

آثرنا أن نعقب التعريف بظهور الدراسة الدلالية عند ميشيل بريل بالتعريف بالدراسات الدلالية التي قام بها علماء ومفكرون غير لغويين، فهذا النسق من العرض أوضح في إبراز مشكلة المعنى، وتعدد وجوهها، وتعقدها. ونستكمل الآن التعريف بأشهر الدراسات الدلالية التي وضعها لغويون متخصصون.

١ ـ المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية

نظرية دي سوسير[١]

١ ـ يعد دي سوسير مؤسس المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية. ولقد كان له ولا يزال أثر بالغ في دارسي اللغة لا سيما المدرسة الفرنسية السويسرية: فكتاب فندريس «اللغة» مثلاً متأثر بنظريات دى سوسير، وهذا هو شأن كثير من كتب «مييه»[٢] ومن كتب سواهما.

(١) Ferdinand de saussre: Cours De Linguistique Generale.

(٢) Antoine Meillet

٢ ـ يبني دي سوسير نظريته الاجتماعية في اللغة على أساس نظرية دوركيم[١] الاجتماعية. ودوركيم يعتبر ما يسميه «نشاط الجماعة» أو «النشاط الجماعي» مستقلاً عن أي فرد من الأفراد الذي ينتمون إلى المجتمع: إن للفرد عند دوركيم وجوداً خاصاً به. ودوركيم يقرر أن «الظواهر الاجتماعية»[٢] ذات وجود خاص بها: واللغة ظاهرة من جملة الظواهر الاجتماعية. ويرى دوركيم أن لخصائص السلوك أو لـ«سماته» وجوداً مستقلاً، وأن الأنواع العامة للسلوك الاجتماعي لا تعدو أن تكون «تعميمات». وإن ما قرره «دوركيم» عن الظاهرة الاجتماعية»[٣] يصدق على «اللغة» في نظرية دى سوسير اللغوية.

٣ ـ ويصطنع دي سوسير «ثالوثاً» خاصاً يتضمن تصورات ثلاثاً متكاملة يعبر عنها بهذه المصطلحات: Le Langage وLa Langue وLa Parole[٤] وفهم هذه التصورات أمر أساسي أولى لفهم نظرية دي سوسير في اللغة.

١ ـ إن ما يسميه دي سوسير Le Langage «اللغة» هو اللغة في أوسع معانيها، أي اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة.

٢ ـ أما ما يدعوه La Langue (اللغة المعينة: أي العربية أو الإنجليزية الخ). فهو يضم على وجه الخصوص نظام المفردات، والنحو في أي عصر

(١) Durkheim
أنظر الفصلين الأولين من كتابه.
Regles de la Methode de Sociologie.

(٢) Les Faits Sociaux

(٣) Le Fait Social

(٤) يجب التفريق بين استعمال دي سوسير ومن يدينون بنظريته لهذه المصطلحات وبين استعمال سواهم لها في غير ما يريده دي سوسير.

من عصور تاريخ لغة معينة . وLa Langue أي «هذه اللغة أو تلك» ، عند دي سوسير ، «جماعية»[1] . و«اجتماعية»[2] . قال دي سوسير إن هذه المجموعة من الكلمات بمعانيها الخاصة ، وهذه «الفصائل» أو ، «التقسيمات» النحوية متضمنة في عقل المتكلم وهي «مستقلة» عن الفرد ، وغير قابلة للتغير عند الفرد[3] . إن La Langue أي «اللغة المعينة» «اجتماعية» في جوهرها ، ومستقلة عن الفرد ، وهي «مستودع العلامات» . إن الـ Langue (= اللغة المعينة) هي مجموع العادات اللغوية التي تتحقق في ما يسميه دي سوسير La Parole (= «الكلام» انظر ما يلي) . وهي «خارجة»[4] عن الفرد .

٣ ـ أما التصور الثالث الذي يعبر عنه دي سوسير بكلمة La Parole (= الكلام) فيعني به «إظهار» الفرد «للغة» La Langue و «تحقيقه إياها» عن طريق «الأصوات» الملفوظة ، أو عن طريق «العلامات» المكتوبة . وما يدعوه «دي سوسير» La Parole (الكلام) «فردي»[4] . وهو واقع تحت سيطرة الفرد .

ويؤثر كثير من اللغويين أن يعتبروا الـ Langue والـ Parole من وسائل وصف اللغة لا مضمونين كلاهما مستقل عن أخيه .

---

(١) Collective

(٢) Sociale

(٣) Cours De Linguistique Generale, p. 31, p. 37.

(٤) Externe

(٥) أنظر دي سوسير: Cours...; pp. 20 — 32

والفصل الأول من

Otto Jespersen: Mankind, Nation And Individual from a Linguistic Point of View. London, 1946.

وقد عرب هذا الكتاب زميلي وصديقي الدكتور عبد الرحمن أيوب ونشره بعنوان : «اللغة بين الفرد والمجتمع» ؛ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٤ .

٤ ـ يفرق دي سوسير بين ما يسميه «القيمة اللغوية» للكلمة وبين ما يسميه «المقصود» من الكلمة. ويكفي لدراسة القيمة اللغوية في رأيه أن ندرس عنصرين هما «الفكرة» ـ التي تدعو «صورة سمعية» أو «أصواتاً» معينة ـ «والصورة السمعية» التي تدعو «الفكرة».

وإن معنى كلمة من الكلمات عند دي سوسير» هو ارتباط متبادل أو «علاقة متبادلة» بين الكلمة (أو «الاسم»، وهي «الصورة السمعية»، وبين الفكرة.

إن الكلمة «علامة لغوية» ونحن عندما نفرق تفريقاً أساسياً بين فكرتين فنحن نستعمل لذلك، «علامتين لغويتين» مختلفتين، فالتفكير، دون كلمات «عائم» ويرى دي سوسير أن «العلامة اللغوية» لا تخلق وحدة بين اسم ومسمى، ولكن بين فكرة وصورة سمعية[١]. و«المقصود»[٢] يقابل «الرمز»[٣] أو «العلامة»؛ والعلامة من ناحية أخرى تقابل سائر العلامات الموجودة في اللغة موضوع الدرس؛ وقيمة كل رمز أو علامة تتوقف على وجود سائر الرموز. وضرب دي سوسير لذلك مثلاً بقطعة من ذات الخمسة فرنكات: هذه القطعة يتأتى استبدالها بكمية معينة من شيء مختلف كالخبز مثلاً؛ ونستطيع كذلك أن نقارنها بقيمة مماثلة من نفس نظام العملة، كقطعة ذات فرنك واحد مثلاً، أو قطعة من عملة أخرى كالدولار.

---

(١) أنظر التفصيلات في كتاب دي سوسير:

Cours...; pp. 98, pp. 155 — 169.

وأنظر تعريف الدكتور تمام حسان برأي دي سوسير هذا في: «مناهج اللغة» ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦.

(٢) Signifié

(٣) Signigiant

٥ ـ ومما تجدر الإشارة إليه أن «دي سوسير» صاحب فكرة تمييز «الدراسة الوصفية» للغة من «الدراسة التاريخية» لها (وقد عرفنا بهاتين الدراستين ص ٢٤١ ـ ٢٤٥) وقد طبق هذا التمييز عند نظره في المعنى، فحرص على وجوب التفريق بين دراسة المعنى دراسة «وصفية» «ثابتة» أي في مرحلة معنية، أو «حالة» معينة تجرد من تاريخ لغة من اللغات وتدرس بغض النظر عما قبلها وعما بعدها من «مراحل» أو «حالات»، وبين دراسة المعنى دراسة «تطورية».

٢ ـ المدرسة السلوكية(١) الأمريكية
بلومفيلد

١ ـ إن النظر في اللغة وفي دراستها على أساس من «المذهب السلوكي»(٢) في علم النفس ظهر وازدهر في الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص. وخير ممثل لهذا الاتجاه في الدراسات اللغوية هو بلومفيلد.

تأثر بلومفيلد، وأكثر من تبعه من اللغويين في اتجاهه السلوكي، بسلوكية ألبرت بول فايس كما عرضها في كتابه «الأساس النظري للسلوك الإنساني»(٣).

يرى السلوكيون(٤) أن «السلوك الإنساني»(٥) يوصف أكمل وصف وأدقه عن طريق اعتبار الظواهر الفسيولوجية وغيرها من الظواهر المادية التي تصحب سلوك

---

(١) Behaviouristic School

(٢) Behaviourism

(٣) Albert Paul Weiss: A Theoretical Basis of Human Behaviour

ليس هذا الكتاب أحدث ما كتب عن «السلوكية» ولكنه الكتاب الذي بني عليه بلومفيلد وأكثر من تبعه اتجاههم «السلوكي» في فهم اللغة، وطرق دراستها.

(٤) Behaviourists.

(٥) Human Behaviour

الأفراد. ولا يتأتى عندهم دراسة «الظواهر الإنسانية»(1) دراسة علمية إلا بهذا الطريق. ولما كانت اللغة «ظاهرة إنسانية» فيصدق على دراستها ما يصدق على دراسة سائر «الظواهر الإنسانية».

ولذلك فينبغي عند السلوكيين شرح مصطلحات مثل «الإرادة» و «الشعور» و «الفكرة» و «الانفعال» الخ، وترجمتها إلى لغة تتضمن حالة فسيولوجية أو «فيزيقية» أو كلتيهما. ولذلك نجد في دراسات بلومفيلد اللغوية مصطلحات مثل Response (= الاستجابة) و Substitute Response (الاستجابة البدلية)، و Substitute Stimulus (المثير البدلي).

وعندما تحدث بلومفيلد عن معنى الكلمة ومعنى «النطق» عامة قال إنه ينبغي أن يُعرّف عن طريق أحداث عملية أي فسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها، فمعنى «الجوع» مثلاً في قولي «أنا جائع» يعرف بالتقلص العضلي وما يحدث في المعدة من إفرازات، وما قد يصحب ذلك من عطش... الخ ويرى بلومفيلد أن «الأفكار» و«التصورات» كذلك ينبغي أن يعاد وصفها بألفاظ فيزيقية؛ وحتى «الحب» و«الكره» وما إليهما ينبغي وصفهما بمثل هذه الطريق. ولقد قال بلومفيلد إننا نستطيع أن نعرف كلمة مثل «الملح» عن طريق عناصره الكيمائية المكوّنة له.

٢ ـ والمثال المشهور الذي أورده «بلومفيلد» هو المثال المعروف بـ «جاك(1)، وجيل(1)، والتفاحة». يقول: نفترض أن «جاك» و«جيل» يسيران في طريق، و«جيل» تستشعر الجوع. ترى جيل تفاحة على شجرة، فتحدث «ضجة» بحنجرتها، ولسانها، وشفتيها: فيقفز جاك من على السور، ويتسلق

---

(١) Human Phenomena

(٢) Jack; Jill

أنظر Bloomgield: Language, pp. 20 — 26.

الشجرة، ويقتطف التفاحة، ويحضرها لجيل، ويضعها في يدها. فتأكل جيل التفاحة.

هذه الأحداث المتتابعة موضوع للدراسة من جوانب مختلفة، ولكننا نحن، دراسي اللغة، نميز، بطبيعة الحال، «الحدث الكلامي»(١) من سواه من «الوقائع» التي ندعوها «الأحداث العملية»(٢). وإذا نظرنا إلى هذه الواقعة من هذه الوجهة اتضح أنها تتكون من ثلاثة أقسام.

١ ـ الأحداث العملية السابقة على الحدث الكلامي.

٢ ـ الكلام.

٣ ـ الأحداث العملية التي تلي الحدث الكلامي.

ونبدأ بالأحداث العملية وهي، في هذا المثال، ما يسبق الكلام وما يليه:

الأحداث رقم ١ ـ تتعلق بـ «جيل» بصفة خاصة: لقد كانت جائعة، أي أن بعض عضلاتها كانت متقلصة و.. الخ وربما كانت عطشى: فكان لسانها وحلقها جافين. أثرت في عينيها الموجات الضوئية المنعكسة من التفاحة الحمراء. ولقد رأت جاك إلى جوارها؛ وإن علاقاتها السابقة بجاك تصبح الآن ذات أثر؛ فلنفترض أنهما أخ وأخت، أو زوج وزوجة. كل هذه الأحداث التي تسبق كلام «جيل» وتخصها، ندعوها «مثيراً»(٣) (أو «منبهاً») للمتكلم.

---

(١) Act of Speech

(٢) Practical Events

(٣) Stimulus

أما الأحداث العملية التي تلي كلام «جيل» (وهي رقم ٣.) فتتعلق بوجه خاص، بالسامع «جاك» وتتكون من إحضاره التفاحة وإعطائها لجيل.

هذه الأحداث ندعوها «استجابة»[١] السامع. والأحداث التي تلي الكلام تهم «جيل» كذلك إنها تأخذ التفاحة في قبضة يدها وتأكلها.

لا يتصرف كل «جاك» وكل «جيل» بهذا الأسلوب، فلو كانت جيل تعرف من تجاربها السابقة مع جاك أنه لن يستجيب لطلبها فربما آثرت الجوع على أن تطلب إليه قطف التفاحة. . وهكذا. لقد قامت جيل في هذه القصة بحركات قليلة في حلقها وفمها أنتجت ضجة قليلة هي «الكلام»؛ فأخذ جاك يقوم بردود الأفعال[٢] ولقد أدى أعمالاً كانت فوق طاقة جيل، وهكذا حصلت جيل آخر الأمر على التفاحة. «إن اللغة تمكن شخصاً من أن يحْدث رد فعل[٢] عندما يتوفر لدى شخص آخر «المثير».

وهكذا يرى بلومفيلد أن «تقسيم العمل» (بل تنظيم المجتمع الإنساني كله) إنما تم عن طريق اللغة[٣].

والآن ننظر في القسم الثاني من أقسام هذه القصة وهو «الكلام»، وهذا هو الذي يعنينا نحن دارسي اللغة بصفة خاصة، فنحن لا نهتم بالقسمين الأول والثاني إلا لما لهما من علاقة بالكلام.

وبالاستعانة بالفسيولوجية والفيزياء نستطيع أن ندرك كيف تمت عملية «الكلام» من الناحية الصوتية (وقد فصلنا ذلك في الأصوات اللغوية):

١ ـ لقد قام جهاز نطق «جيل» بحركات عضلية معينة لإصدار هذه

---

(١) Response

(٢) Reaction

(٣) Bloomfield, p. 24

الأصوات . والحركات العضلية التي يقوم بها المتكلم تعد «رد فعل» لدافع «مثير» ـ وهي في قصتنا هذه رؤية جيل للتفاحة وهي جائعة ـ ورد الفعل في حالتنا هذه ليس رد فعل «عملي» كأن تحاول جيل أن تثب من على السور وتحضر التفاحة لنفسها ـ إنه «رد فعل بدلي لغوي[1]» ، أي أن «الكلام» حل محل العمل الذي كان من المحتمل أن يصدر عنها ـ ٢ ـ ثم إن «الموجات الصوتية» الخارجة من فم «جيل» قد جعلت الهواء المحيط يضطرب على شكل موجات مماثلة . ٣ ـ وأخيراً طرقت هذه الموجات الصوتية طبلتي أذني جاك ، وذبذبتهما ، وأثرت هذه الذبذبات في أعصابه . «لقد سمع» جاك «الكلام» . ولقد أحدث هذا السماع لدى جاك دافعاً أو «مثيراً» فسلك السلوك الذي ذكرناه ، كما لو كان جوع جيل ورؤيتها التفاحة قد أثرا فيه ودفعاه إلى السلوك العملي الذي سلكه : إن جاك من حيث هو شخص متكلم (أي ذو قدرة على الكلام وعلى فهم الكلام) ظهر رد الفعل عنده على نوعين مختلفين من المثيرات : أحدهما «المثيرات العلمية» (كالجوع ورؤية الطعام) والثاني «المثيرات الكلامية» أو «البدلية» وهي ذبذبات معينة في طبلتي أذنه .

ونحن ، طلبة اللغة ، يعنينا ، على وجه الخصوص ، «الحدث الكلامي» الذي يبدو هين الشأن في ذاته ولكنه وسيلة لغايات كبيرة . ونحن نميز اللغة ، وهي موضوع دراستنا ، من الأحداث «الواقعية» أو العملية» ، هذه الأحداث التي ندعوها «المثيرات»[2] و«ردود الأفعال»[3] . وإن الكلام ، الذي هو هين الشأن ، وغير هام في ذاته . ليعد ذا أهمية لأن له «معنى» : والمعنى يتكون من الأشياء الهامة التي يتعلق بها الكلام أي من الأحداث العملية (التي تكوّن

---

(١) Linguistic Substitute Reaction

(٢) Stimuli

(٣) Reactions

القسمين الأول والثالث من قصة جاك وجيل والتفاحة). انتهى عرض مثال بلومفيلد. .

نخرج من هذا بأن بلومفيلد، مع أن «السلوكية» التي طبقها على اللغة سلوكية «آلية»، يدخل في اعتباره بعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام، ويعتبرها عنصراً لازماً لإدراك معنى الكلام. فالمدرسة السلوكية لا تتجاهل بعض ما نسميه العناصر «الاجتماعية» ولكنها تعبر عنها بمصطلحات خاصة بها: إنها لا تتجاهل في الحقيقة شخصية المتكلم وشخصية السامع وبعض الظروف المحيطة بالكلام: بل إن هذه المدرسة بعنايتها بتحليل المظاهر الفسيولوجية والفيزيقية خاصة قد وجهت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير الكلام، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة.

٣ ـ المدرسة الاجتماعية الانجليزية

ج. ر. فيرث[1]

١ ـ يعتمد هذا الاتجاه من اتجاهات المدرسة الإنجليزية اعتماداً كبيراً

(١) أنظر في التعريف بنظرية الأستاذ فيرث، لا سيما بتصوره المعروف بـContext of Situation (= سياق الحال) كتاباته الآتية:

1— Speech; Benn, 1930 pp. 38 — 43.

2 — The Technique of Semantics; Transactions of the Philological Society, 1935.

3 — Linguistics and the Functional Pont of View; English Studies, XVI; 1, February, 1934.

4 — The Use and Distribution of Certain English Soungs; English Studies XVII. 1, February, 1935.

5 — Tongues of Men; Watts & Co.. London, 1937, Chapter X.

6 — Personality And Language In Society Sociological Review (Journal of the Institutional Sociology, Ledbury, Herefordshire, England) Vol XLII, Section Rwo. 1950.

على آراء برونسلاو مالينوفسكي العالم الأنثروبولوجي البولندي الذي ترك أثراً كبيراً في كلتا المدرستين الإنجليزيتين الأنثروبولوجية واللغوية. إن دراسات مالينوفسكي قد أدت به إلى نظرات قيمة في اللغة فيما يتعلق بدراسة «الكلام الحي» بوجه خاص: لقد وصل مالينوفسكي إلى أن اللغة ليست كما يرى التعريف التقليدي وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها، أو نقلها.. فمثل هذا لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من وظائف اللغة، ورأى أن اللغة كما يمارسها المتكلمون في أي جماعة من الجماعات إنما هي نوع من السلوك، ضرب من العمل، إنها تؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل[1].

٢ - واستعمل مالينوفسكي ذلك المصطلح Context of Situation «سياق الحال» (= الماجريات). نعم إن كلمة Context (= السياق) كانت متداولة بين اللغويين من قبله ولا تزال متداولة بينهم، ولكن مالينوفسكي أضفى على الاصطلاح «سياق الحال»[2] معنى خاصاً ليس هنا مجال التعريف به[2]، ثم تطور هذا المصطلح تطوراً آخر باستعمال الأستاذ فيرث له في دراسته اللغوية. و«سياق الحال» عند الأستاذ فيرث نوع من التجريد من البيئة، أو الوسط الذي يقع فيه «الكلام»، وهذا التجريد يقوم به اللغويون للوفاء بدراستهم.

و«سياق الحال» يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعاً كلاماً، وكتابة.

وقد رأينا أن «بلومفيلد» السلوكي النزعة يحد «سياق الحال» بظواهر

---

(١) شرحنا هذا بالتفصيل في كتابنا: اللغة والمجتمع: رأي ومنهج ص ٤ - ١٠.

(٢) بدأ المصطلح Context of Situation عند الأنثروبولوجيين، ويرجع أصل استعماله إلى مقال للأستاذ أ. م. هوكارت.

A. M. Hocart: The British Journal of Psychology; 1912.

يمكن تقريرها في إطار من «الأحداث العملية». إن «سياق الحال» عند بلومفيلد مادي، ولهذا فهو يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام.

إن «سياق الحال» أو «الماجري» هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي (أو للحال الكلامية)، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية:

١ ـ شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما «الثقافي» وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع ـ إن وجدوا ـ وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم أيقتصر على «الشهود» أم يشاركون من آن لآن بالكلام، والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

٢ ـ العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي، وكمكان الكلام الخ.

وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أياً كانت درجة تعلقه.

٣ ـ أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم؛ أو الإغراء أو الضحك الخ.

وهكذا يتضح أن من أهم خصائص «سياق الحال» إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به «المتكلم» وسائر المشتركين في «الموقف الكلامي».

٤ ـ وإن نظرية اللغة التي تقوم على التصور الخاص بـ «سياق الحال» تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية، بمعنى أنها بهذا التصور تستطيع أن تدرس وتفسر جميع أنواع الوظائف الكلامية، وليست مقصورة كأكثر النظريات

القديمة على إبراز نوع أو أكثر ليس غير من أنواع الوظائف الكلامية.

إن المعنى عند الأستاذ فيرث كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية، والنحوية والقاموسية والوظيفية الدلالية لـ «سياق الحال». ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها.

والحقيقة أن هذه الطريقة من طرق دراسة المعنى ترسم «تحليلات» عملية للمعنى على مستويات مختلفة.

ومما تجدر ملاحظته أن التحليلات اللغوية كلها على المستويات المختلفة ليست المعنى ولا هي دراسة المعنى، فلا بد للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التي توصل إليها هذه التحليلات جميعاً ربطاً يدخل في اعتباره سائر عناصر «سياق الحال».

وهكذا فالأستاذ فيرث يرى أن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

١ ـ أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية والفونولوجية، والمورفولوجية، والنظمية، والمعجمية)

٢ ـ أن يبين «سياق الحال» (= الماجريات): شخصية المتكلم؛ شخصية السامع؛ جميع الظروف المحيطة بالكلام... الخ.

٣ ـ أن يبين نوع الوظيفة الكلامية: تَمَنٍّ، إغراء الخ.

٤ ـ وأخيراً يذكر الأثر الذي يتركه الكلام، (ضحك، تصديق سخرية... الخ)[1].

---

(١) أنظر تعريفنا بدراسة الوظيفة الاجتماعية للغة في «اللغة والمجتمع: رأي ومنهج» ص ١١ - ١٧. =

إن الدراسة الاجتماعية للدلالة تبعد بطبيعتها عن الثنائية التقليدية، ثنائية الجسد والروح، أو الكلمة والمضمون؛ إنها تعد الكلام نوعاً من السلوك الاجتماعي ذا علاقة بعناصر أخرى غير لغوية.

= وأنظر دكتور تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٢٥١ ـ ٢٧٩.

الباب الخامِس

تَاريِـخ الدِرَاسَات اللغويـَـة

- ١ -
العصـور القديمـة

أ ـ قبل عصر النحاة

١ ـ إن النظـر في اللغـة قديم جداً قد يرجـع إلـى وقـت أن أخــذت الجماعات البشرية في الكلام ثم دق نسبياً بعد نشأة الكتابة؛ ولكن الدراسة «العلمية» حقـاً للغـة جد حديثـة؛ وتصـورات البشر عن اللغـة آخــذة من نوع مجتمعهم، وتراثهم الثقافي، وخاصة من دينهم؛ فالإله تحوت عنـد قدمـاء المصريين كان قلب «رع» ولسانه، وعن طريقه نطقت وصية الله في الأرض فوجدت الخليقة. واليونان كذلك قد تخيلوا خالقاً للغـة والكتابـة؛ وكذلك الحال عند الهنود وعند غيرهم من الأمم القديمة.

شغل القدماء بالبحث في نشوء اللغة، وفي تعدد اللغات واختلافها؛ ونجد شواهد على ذلك في «سفـر التكويـن»، فالإنسـان الأول قد اختـرع أسماء للحيوان؛ وقصة بابل تفسر تعدد اللغات.

٢ ـ ثم إن اختراع الكتابة، التي تمثل الكلام بأي صورة من الصور، يعتبر نوعاً هاماً من أنواع النظر في اللغة، وهذا الاختراع حدث هام في تاريخ البشرية: إن هذا الاختراع، مع اختلافات كتابات الجماعات المختلفة، قد دفع بالدراسات اللغوية خطوة كبيرة إلى الأمام، وذلك لأن تمثيل الكلمات الملفوظة برموز كتابية ينطوي على إدراك ماهية المقطع، وذلك في الكتابة

المقطعية، وماهية «الصوت» وذلك في الكتابة الألف بائية، وماهية «الكلمة»: إنه ينطوي على تجريدها من سلسلة الكلام المنطوق، وينطوي على تحليل هذه السلسلة[1].

وقد أظهرت الكتابة، كذلك، الفرق بين لغة جيل ما ولغة الأجيال السابقة عليه. وأحياناً تحتفظ الكتابة بصور قديمة لأن لها صفة مقدسة، وهذه أحوجت إلى تفسيرات، ومن ثم نجد أن قدماء الهنود قد شغلوا منذ وقت بعيد جداً بتحليل أصوات لغتهم السنسكريتية وصورها.

ب ـ الهنود

أثر عن الهنود أصحاب الخط الدافناجري[2] الرائع الدقيق نحو وصفي دقيق للغة السنسكريتية لا يعتمد على المنطق شأن النحو اليوناني.

وقد وصف «بانيني»[3]، وهو نحوي هندي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية وصفاً يبلغ درجة كبيرة من الدقة، حتى إنه يحكي في بعض الروايات أنه تلقى هذا العلم عن طريق الوحي والإلهام. وقد تناولت الأجيال التالية عمله بالشرح والتعليق ويرى المحدثون من علماء اللغة أن «بانيني» هو خير النحاة الوصفيين القدماء.

---

(١) الكتابة الهيروغليفية تعبر عن الكلمات برموز ولكنها لا تعطي أي فكرة عن النطق. والكتابة المقطعية Syllabic تحمل الكلمة إلى مجموعات أكبر من الأصوات وتعبر بعلامة واحدة عن مجموعة من الأصوات كالكتابة المسمارية.

أما «الكتابة الألف بائية» أو الأبجدية، وهي أرقى تطوراً من الكتابات السابقة، فقد جردت أصواتاً أولية تتكون منها اللغة التي تمثلها، وهي تحاول أن ترمز إلى كل صوت من هذه الأصوات الأولية برمز كتابي واحد.

(٢) Davenagri Script

(٣) Panini

وقد سبق لنا أن عرفنا بجهود الهنود في مجال الأصوات اللغوية، وبينا أن وصفهم لأصوات لغتهم يفوق وصف اليونان لأصوات لغتهم (أنظر ص ٩٢ـ٩٨ وكذلك الصفحات من ٨٦ـ٩٥).

حـ ـ اليونان

أثر عن اليونان القدماء كذلك آراء صوتية لغوية ومحاولات لوصف اللغة اليونانية. وقد سبق أن عرفنا في باب «علم الأصوات اللغوية» بالآراء الصوتية المأثورة عن اليونان، وقارنا بينها وبين ما أثر عن العرب (ص ٨٦ـ ٩١).

١ ـ ولما كان اليونان فلاسفة أكثر من كونهم علماء دين فقد كانت نظرتهم ميتافيزيقية شيئاً ما:

فلقد تساءلوا عن ماهية اللغة وعن أصلها، وعن ماهية الكلمة، وتساءلوا: هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة وبين الشيء الذي ترمز إليه؟ أتعلق المعاني بالكلمة تعلق بالطبع أم تعلق بالاصطلاح؟ ذهب إلى الرأي الأول بروديكوس[1] وسوفسطائيو القرن الخامس قبل الميلاد.

أما الرواقيون أنصار زينون الذين يردون كل شيء إلى المنطق، فقد رأوا أن النحو ينبغي أن يطابق المنطق، وينبغي أن تطابق «الفصائل» أو «الأقسام» النحوية أقسام المنطق أو «مقولاته»؛ وفي رأيهم أن ثمة توافقاً بين علامة الجمع مثلاً وبين فكرة التعدد. هؤلاء أصحاب قياس. وقد رد عليهم أولئك الذين يدخلون في حسابهم ما يشاهد في اللغة من «شذوذ» فقالوا: قد تدل الكلمة الجمع على مفرد؛ والتقسيم النحوي إلى مذكر ومؤنث ومحايد، لا يطابق التقسيم على أساس «الجنس» في الواقع الطبيعي؛ واستنتجوا من

---

(١) Prodicus

ذلك أن ليس هناك تطابق لازم بين اللغة والواقع . (أنظر ما قدمناه من توضيح لهذه المسائل ص ٧٤ ـ ٧٨).

٢ ـ ومن أمثلة نظر اليونان في «أصل اللغة» أن هيرودت يروي في القرن الخامس قبل الميلاد أن أبسماتيك[١] فرعون مصر، وقد أراد أن يعرف أي الأمم أعرق وآصل، عزل طفلين حديثي الولادة وحدهما في حديقة، فلما أخذا في الكلام نطقاً بكلمة Bekos وهي الكلمة «الفريغية»[٢] التي تدل على «خبز».

٣ ـ وأفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق. م) في محاورته المسماة «كراتيلوس»[٣]. يناقش أصل الكلمات؛ ويناقش مسألة هامة ظلت تشغل اللغويين والمفكرين أزمنة طوالاً هي مسألة العلاقة بين «الأشياء» و«الكلمات» التي تسميها: أهي علاقة طبيعية وضرورية أم أنها لا تعدو أن تكون ثمرة «اصطلاح» الجماعات؟[٤].

---

(١) Psammethikus

(٢) Phrygian

(٣) Cratyllus

(٤) يقول بلومفيلد في كتابه Language ص ٤ ـ ٥.

إن هذه المحاورة تعطينا لمحة أولى عن مسألة طال الخلاف فيها بين «أصحاب القياس» Analogists وبين «أصحاب التشذيذ» Anomalists : فأصحاب القياس كانوا يعتقدون أن اللغة في أساسها «طبيعية» natural وهي لذلك «منتظمة» (أي «مطردة» القواعد) regular و«منطقية» logical ، أما أصحاب التشذيذ فكانوا ينكرون هذه الأمور، ويشيرون إلى الشواذ الملحوظة في التركيب اللغوي.

كان القياسيون يعتقدون أنه من الممكن تتبع أصل الكلمات ومعناها بالنظر في أشكالها، وسموا البحث في هذا، «الاشتقاق» Etymology ومثل بلومفيلد هذه النظرية مصطنعاً أمثلة إنجليزية، قال: من الواضح أن كلمة blackbird تتكون من black وbird فهذا النوع من الطير إذن قد سمي بهذا الاسم من أجل لونه الأسود، وهذه التسمية صادقة حقاً على هذه الطيور=

٤ ـ لم يدرس قدماء اليونان سوى لغتهم ولكنهم سلموا بأن «بنية» لغتهم تجسم الصور العامة للتفكير الإنساني، أو ربما تجسم الصور العامة للنظام الكوني بأسره. فملاحظاتهم النحوية محدودة بلغتهم ومقررة في صورة فلسفية. وهذه الملاحظات النحوية تبلغ كما لها في نحو ديونيزيوس ثراكس[1] (القرن الثاني قبل الميلاد)، وفي نحو أبولونيوس ديسكولوس في القرن الثاني بعد الميلاد.

٥ ـ إن الصفة الغالبة على النحو اليوناني هي الكشف عن قواعد تميز صواب الكلام من خطئه، ثم فرض هذه القواعد، فالنحو اليوناني بهذا الاعتبار نحو تقعيدي تعليمي.

ليست الملاحظة الموضوعية الخالصة هي الغالبة إذن، بل الرغبة في

= فهي «طيور» وهي «سوداء». وعلى هذا المنوال كان من الممكن أن يستنتج اليونان أن ثمة علاقة بين gooseberry (وهو ثمرة من فصيلة التوت) وبين goose (= إوزة) لأن الكلمة الثانية هي صدر الكلمة الأولى، والواقع ألا علاقة بينهما إطلاقاً سوى هذا الشبه.

وأياً ما كان فإن كثيراً من الكلمات الإغريقية، كما هو الحال في الإنجليزية، تستعصي على هذا النوع من التحليل: فكلمة early (= مبكراً) تنتهي بمثل ما تنتهي به كلمة manly (= رجولي) ولكن من الواضح أن الكلمة الثانية مكونة من man (= رجل) مضافاً إليها اللاحقة ly، أما ما يتبقى من الكلمة الأولى بعد تجريدها من اللاحقة ly فهي بقية غامضة لا تعين في تفسير معنى هذه الكلمة.

وكذلك كلمة woman (= امرأة) تشبه كلمة man ولكن المقطع الأول في الأولى وهو wo غامض لا يعين في تحديد معنى الكلمة. في هذه الأحوال وما إليها كان اليونان، وتلامذتهم الرومان، يلجأون إلى الحدس والتخمين، ومن ذلك أنهم قالوا إن الكلمة اليونانية lithos (= حجر) مشتقة من العبارة Lian theein (= الجرى الكثير) لأن هذا هو ما «لا» تفعله الحجرة!

ثم قال بلومفيلد: إن هذه الاشتقاقات، على أي حال، ترينا أن اليونان أدركوا أن الصور الكلامية تتغير على مَرّ العصور.

(١) Dionysius Thrax

التوفيق، بكل وسيلة ممكنة، بين اللغة والمنطق، ووضع كلمات اللغة وتعبيراتها و . . . الخ في قوالب تيسر تعلمها فالنحو اليوناني منطقي تربوي.

٦ ـ والحق أن نحويي اليونان قد قاموا كذلك ببعض الملاحظات اللغوية التفصيلية فيما يتعلق ببعض الصور القديمة من اليونانية، وببعض لهجاتها.

فالإلياذة والأوديسا كانتا مكتوبتين بلغة يونانية قديمة كانت غير معروفة وقت كبار النحاة، فكان عليهم أن يدرسوا لغتهما، وأن يقابلوا بين نسخها المختلفة لتقويم نصها. وكان أشهر الباحثين في هذا الميدان أريستارخوس[٢] (ولد حوالي ٢١٦ ق. م. ومات سنة ١٤٤ ق. م.).

ولما بعد العهد بلغة كبار الأدباء الأثينيين من القرن الرابع اتخذت لغتهم موضوعاً خاصاً للدراسة، فقد كانت المثل الأعلى للغة الكتابة وقد جمع بعض متأخري النحاة معلومات قيمة عن الملاحظات اللغوية التفصيلية في هذا الشأن، ومن أشهر هؤلاء هيروديان[٣] بن أبولونيوس.

٧ ـ وقد كان لمدرسة الإسكندرية القديمة فضلها في حفظ الآثار الأدبية اليونانية القديمة بوجه خاص. ففي الإسكندرية التي أصبحت مركز الثقافة اليونانية، كثرت الشروح في القرن الثالث قبل الميلاد على أشعار هوميروس، وأشعار سواه من الشعراء. واهتم لغويو الإسكندرية كذلك بدراسة «مفردات» النصوص، ومن ذلك جمع الألفاظ الصعبة، أو الكلمات الشعرية، أو الكلمات التي تنتمي إلى لهجات خاصة.

---

(١) Apollonius Dyscolus

(٢) Aristarchus

(٣) Herodian

د ـ الرومان

كان الرومان تلامذة لليونان في الدراسات اللغوية . وقد سبق أن عرفنا تعريفاً مجملاً بما أثر عنهم من ملاحظات صوتية (ص ٨٦ ـ ٩١) . وقد أخذت روما تشارك في الدراسات اللغوية منذ القرن الثاني قبل الميلاد . وقد وضع الرومان أنحاء للغة اللاتينية على غرار النحو اليوناني ، ومعنى ذلك أنهم وضعوا لغتهم في الإطارات التي تصورها اليونان للغتهم اليونانية ، وهذا خطأ منهجي كبير . ولم يبلغ الرومان من الدقة في وصف لغتهم ما بلغه اليونان في وصف اليونانية ، بله ما بلغه الهنود في وصف السنسكريتية .

ومن مظاهر هذا أننا نواجه كثيراً من الصعوبة في معرفة نطق الرومان للغتهم ، (لاسيما تحديد مواضع الارتكاز) وفي معرفة أوزانهم الشعرية .

ومن أشهر النحاة الرومان فارّو[١] من القرن الأول قبل الميلاد ، وقد كتب De Lingua Latina ، (= عن اللغة اللاتينية) ، ودوناتوس[٢] من القرن الرابع بعد الميلاد وقد كتب Ars Grammatica (= صناعة النحو) ، وبريسكيان[٣] من القرن السادس بعد الميلاد .

---

(١) Varro

(٢) Donatus

(٣) Priscian

- ٢ -
العصور الوسطى وعصر النهضة

أ ـ العصور الوسطى في الغرب

لم تشهد العصور الوسطى في أوربا خطوات أصيلة في الدراسات اللغوية . وكان الأمر السائد هو تعليم اللغة اللاتينية . وقد نظمت قواعد النحو اللاتيني شعراً في القرن الثالث عشر ، ولم يضف علماء هذه العصور شيئاً جديداً إلى قواعد اللاتينية التي وصل إليها القدماء ، ولكنهم عرضوها بصورة أكثر إتقاناً .

وفي أواخر العصور الوسطى تحدّد اهتمام العلماء والمتعلمين بدراسة اللغة اليونانية .

وهكذا استمر التأثر باليونان ـ الذين أخذ عنهم الرومان القدماء ـ وبالرومان ، وظلت المبادىء والتصورات اللغوية المتداولة هي تلك المبادىء والتصورات القائمة على أساس من المنطق .

ب ـ العصور الوسطى في الشرق

العرب(١)

١ ـ نشأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم ، فعني

(١) الغرض من هذا التعريف الخاطف بجهود العرب في ميدان الدراسات اللغوية هو النص على =

المسلمون منذ القرن الأول الهجري بتدقيق الكتابة العربية وتقييد «الحروف» الكتابية بـ «الشكل» صوناً لكلام الله عز وجل عن أن يصيبه التحريف.

٢ ـ وفي هذا الوقت بدأت المحاولات وتوالت للكشف عن القواعد التي يسير عليها الكلام العربي، ولوضع هذه القواعد في قوالب تتخذ للتعليم. ويبرز في هذه المحاولات اسم أبي الأسود الدؤلي، ومن وليه من نحاة البصرة والكوفة، إلى أن يأتي الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ وللخليل شأن جليل في كثير من جوانب الدراسات اللغوية:

فقد استخرج أوزان الشعر العربي وأحكام قوافيه، وخطا بالمحاولات النحوية والصرفية السابقة خطوات كباراً تبدو آثارها في كتاب تلميذه سيبويه، ووضع ـ أو الأرجح أنه أوحى بطريقة وضع ـ أول معجم شامل لمفردات العربية وهو المعروف بـ «العين».

وقد شارك الخليل في وصف أصوات اللغة العربية، وأتى تلميذه سيبويه بوصف لها أدق من وصفه وأكمل (أنظر تعريفنا بالآراء الصوتية عند العرب ص ٩٤ ـ ٩٧).

٣ ـ ثم كان كتاب سيبويه أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي، والذي اتخذ أساساً لما وليه من دراسات نحوية. وقد تعددت مدارس النحو ومذاهبه في البلاد العربية والإسلامية المختلفة وفي العصور المختلفة في

= أهم رءوس الموضوعات التي تناولوها بالدرس، ونحيل القارىء على الكتب العربية الحديثة التي تعرف بالعلوم العربية عامة ككتاب «ضحى الإسلام» و«ظهر الإسلام» للأستاذ أحمد أمين ففيها تعريف بـ «اللغة» و«النحو» و«القراءات القرآنية»... الخ. وعلى الكتب المفردة لتأريخ هذه العلوم، أو لدراسة بعض الشخصيات اللغوية الكبرى، أو بعض الاتجاهات اللغوية. (أنظر قائمة المراجع العربية في آخر الكتاب).

العراق ومصر، والشام، وشمال إفريقيا، والأندلس، وفارس . . .

وكثرت المتون النحوية النثرية، والشعرية (كألفية ابن مالك) وظهرت الشروح على هذه المتون، والحواشي على الشروح حتى قيل إنه لم ينضج علم من العلوم العربية كما نضج النحو. وقد ساد النحو في العصور المتأخرة الجفاف نتيجة لغلبة التفكير المنطقي عليه.

والنحو العربي في مراحله الأولى، متأثر شيئاً من التأثير بمنطق أرسطو الذي تأثر به سوى النحو من ألوان النظر اللغوي[١].

والحق أن من النحاة العرب من لم يكن يميل إلى الإفراط في تغليب المنطق على الدراسات النحوية أو اللغوية بوجه عام[٢].

٤ ـ وكانت عناية علماء العربية بـ «مفردات» الكلام العربي، وكانوا يسمون هذا علم «اللغة»، عناية بالغة منذ القرن الأول للهجرة وظلت هذه

---

(١) أنظر بحث الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الذي ألقاه في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية سنة ١٩٤٨ بعنوان: «منطق أرسطو والنحو العربي».

قال الأستاذ مدكور إن المنطق الأرسطي أثر في النحو العربي من جانبين «أحدهما موضوعي، والآخر منهجي. فتأثر النحو العربي عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحويه، وأريد بالقياس النحوي أن يحدد ويوضع على نحو ما حدده القياس المنطقي».

انظر تفصيلات أخرى في كتاب الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص ٦٢ ـ ٦٤.

(٢) يوضح ذلك المناظرة التي أجراها أبو حيان التوحيدي في كتابه «المقابسات» بعنوان «المنطق اليوناني والنحو العربي» بين أستاذه أبي سعيد السيرافي النحوي وبين متى ابن يونس المنطقي في حضرة الوزير ابن الفرات، وفيها ميل أبي حيان لمسلك النحاة.

وفي نفس الكتاب رسالة بعنوان «ما بين المنطق والنحو من المناسبة» وهي حديث يجريه أبو حيان بينه وبين أستاذه سليمان المنطقي. (أنظر الحديث عن دلالة هاتين الرسالتين، ورأي الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس فيما تضمنتاه في كتابه «من أسرار اللغة» ص ٦٥ ـ ٦٧.

العناية متواصلة، فكان جمع المفردات الخاصة بموضوع معين، ككتاب الشجر، أو المطر الخ، أو جمع المفردات الغريبة، كغريب القرآن، وغريب الحديث، وحوشي الكلام، أو جمع «الأضداد» أو التأليف في الترادف» و«الاشتراك اللفظي»[1].

وعني العرب من قديم ببيان الكلمات الأعجمية الأصل الدخيلة على الكلام العربي، ونصوا على ما في لغة القرآن الكريم من الأعجمي، ولهم في «المعرّب» تصانيف كثيرة من أشهرها كتاب المعرب للجواليقي. ومن عنايتهم بمفردات اللغة تآليفهم في مصطلح العلوم والفنون.

وتبلغ هذه العناية ذروتها في المعاجم العامة، ومن المعروف أن أول معجم من هذا النوع وضع في القرن الثاني للهجرة[2].

٥ ـ ولم يكتف علماء العربية بالكشف عن الأصول التي يصح بمراعاتها الكلام، بل عنوا بالبحث في أسباب فصاحة «الكلمة» وبلاغة الكلام الخ... وقد اتصلت البلاغة العربية كما اتصل النحو العربي بالمنطق، وقد أصاب الدراسات البلاغية الجفاف والعقم لما غلب عليها الاتجاه المنطقي الفلسفي.

٦ ـ وكان للدراسات النقدية العربية أثرها في الكشف عن بعض أسرار الجمال في العبارة العربية.

---

(١) أنظر تعريف الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس بجهود العرب في هذا الميدان في كتابه «دلالة الألفاظ» ص ٢١٠ ـ ٢٢٠.

(٢) أنظر تعريف الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس بجهود العرب في دراسة المفردات ووضع المعاجم في الفصل الثاني عشر المسمى «كنوز الألفاظ العربية» ص ٢٢١ ـ ٢٤٦ من كتابه «دلالة الألفاظ».

٧ ـ وقد أثر عن علماء العربية تصورات عامة عن «اللغة»، نشأتها وحياتها، وعن الصلة بين اللفظ ودلالته[١]، وعن «القياس اللغوي»[٢] وممن اهتم بهذا على وجه الخصوص أبو علي الفارس، وابن جني، ونجد نقولاً عن غيرهما في الكتب الملخصة للآراء المختلفة كالمزهر للسيوطي.

وقد شغل «علماء الأصول» منذ نشأة التأليف في أصول الفقه بمشكلة معنى الكلمة ومعنى الكلام بوجه خاص لما لذلك من شأن في تحديد الأحكام الشرعية.

٨ ـ واهتم علماء العربية بتاريخ الدراسات اللغوية العربية فكانت المعاجم والمؤلفات المشهورة في طبقات اللغويين والنحاة في تلخيص آراء بعض المدارس النحوية.

٩ ـ وقد كان للدراسات النحوية العربية أثر في النحاة العبريين، ومن هؤلاء، ابن حيوج.

جـ ـ عصر النهضة وما يليه

١ ـ في عصر النهضة اتسع أفق الدراسات اللغوية في أوروبا نتيجة عوامل متعددة منها حركة الإحياء للتراث اليوناني والروماني، والحركات الوطنية، ورحلات الكشوف الجغرافية التي وصلت الأوروبيين بلغات

(١) أنظر تعريف الأستاذ إبراهيم أنيس بهذا الموضوع، وبيانه لتأثر العرب لا سيما ابن جني، بآراء فلاسفة اليونان في هذا الشأن، ص ٦٠ ـ ٦٣.

(٢) أنظر تعريف الدكتور إبراهيم أنيس بنظرة قدماء العرب إلى القياس اللغوي ص ١٨ ـ ٢٢ من كتابه «من أسرار اللغة»، وقارن هذا بما أورده عن موقف مجمع اللغة العربية من القياس ثم بنظرة المحدثين إليه نفس المرجع السابق ص ٢٣ ـ ٤٨».

كثيرة، وحركة التبشير المسيحي التي صحبت الكشوف الجغرافية. وقد نتج عنها قيام البعوث التبشيرية المسيحية بترجمة الكتب المسيحية المقدسة إلى لغات البلاد المكتشفة، ووضع أنحاء ومعاجم لبعض اللغات وإن كانت هذه الأعمال غير دقيقة. وقد يسر القيام بكثير من هذه الدراسات ونشرها تقدم فن طباعة الكتب.

٢ ـ منذ أواخر العصور الوسطى وخلال عصر النهضة وعناية الأوروبيين بآثار كبار الأدباء اليونان والرومان آخذة في الازدياد. وقد أخذ المولعون بتلك النصوص يهتمون بالأسلوب أكثر من اهتمامهم باللغة؛ وفي هذا العصر بدأ «نقد» النصوص.

٣ ـ ثم أخذ لغويو أوربا في دراسة لغات أخرى غير اللغتين الكلاسيكيتين اليونانية واللاتينية، فدرسوا بعض اللغات السامية وخطوطها كالسريانية والعبرية والعربية والحبشية. ومن أشهر المستشرقين في هذا العصر المستشرق الإيطالي ثيسيوس أمبروجيو[١] (١٤٦٩ ـ ١٥٤٠ م)، وليونارد أبلا[٢] المالطي وقد مات في روما سنة ١٦٠٥م.

ثم إن الرحالة العظيم بيترو دلافالي[٣] (١٥٨٦ ـ ١٦٥٢) رحل إلى تركيا وسوريا وفلسطين ومصر والعراق، وجلب معه إلى روما عند عودته من رحلاته كثيراً من المخطوطات القبطية، ومعجماً قبطياً عربياً، و «أنحاء» كثيرة.

٤ ـ وشهد القرن السادس عشر والسابع عشر عناية كبرى باللغات الدرافيدية، لغات جنوب الهند.

---

(١) Theseus Ambrogio

(٢) Leonard Abela

(٣) Pietro della Valle

١ ـ كان البرتغاليون أول الشعوب الأوربية احتكاكاً بالهند. ومعظم الدراسات الأولى في اللغات الهندية ـ ما عدا لغات شمال الهند ـ قام بها برتغاليون، أو كتبت بالبرتغالية وكانت واسعة الانتشار في جنوب الهند مدة قرنين من الزمان.

٢ ـ وكان لتوماس ستيفنس[١] الإنجليزي اليسوعي ـ وقد عاش في الهند البرتغالية من ١٥٧٩ ـ ١٦١٩ ـ آراء منهجية عن اللغات العامية الهندية، وقد كتب أول نحو للهجة الكونكانية[٢]. ولاحظ توماس ستيفنس ملاحظة هامة هي أن بنية اللغات الهندية الكثيرة ذات صلة باليونانية واللاتينية.

٣ ـ وقد شارك إيطاليان في دراسة اللغات الهندية حوالي الوقت الذي أسهم فيه توماس ستيفنس بجهوده، هذان الإيطاليون هما ساسّتي[٣]، وكان في الهند ما بين ١٥٨٠ ـ ١٥٩٠م؛ ودي نوبيلي[٤] (ولد سنة ١٥٧٧ ومات ١٦٥٦).

٤ ـ وقد شارك الهولنديون والدانيماركيون والإنجليز بدراسات في لغات الهند الجنوبية، وتقدمت هذه الدراسات تقدماً كبيراً في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

٥ ـ أما اللغات السنسكريتية في شمال الهند فقد امتدت إليها أعمال البعثات التبشيرية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما شملت هذه الأعمال نيبال، والتبت، وبورما، والصين.

---

(١) Thomas Stephens

(٢) Konkani

(٣) Sassetti

(٤) De Nobili

- ٣ -
القرنان الثامن عشر والتاسع عشر

أ ـ القرن الثامن عشر

١ ـ في سنة ١٧٧٧ ابتدع فردريك أوجست ولف(١) النقد المقارن للنصوص القديمة، واستمرت عنايته به من بعد. وكانت غاية هذا الاتجاه إعادة بناء النصوص الأصلية وتفسيرها، أي أن فردريك ولف لم يمارس الدراسات اللغوية لفائدة اللغة نفسها ولكن لفائدة النصوص كان يدرس لغة هذا الأديب أو ذاك للكشف عن أسرار عبقريته الأدبية، ولفهمها فهماً أسلم: وواضح أن هذه الدراسة كانت قائمة على النصوص المكتوبة، أما اللغة الملفوظة فلم يكن لها دخل في مجال دراسته. ومع ذلك، فهذا الإتجاه في الدراسة اللغوية لم يكن يسعى، كما كانت تسعى الدراسة اللغوية السابقة ـ إلى الكشف عن الطرق الصحيحة من التعبير، وتعليمها، بل كان يسعى إلى إدراك الحالة الحقيقية للغة كما تبدو في النصوص موضع الدراسة.

٢ ـ وكان أهم حدث لغوي في القرن الثامن هو كشف سير وليام جونز(٢) الإنجليزي سنة ١٧٨٦ للغة السنسكريتية، وللعلاقة بينها وبين اليونانية واللاتينية. وهكذا أخذ العلماء في مقارنة اللغات الهندية والإيرانية

---

(١) Frederic-Auguste Wolff

(٢) Sir William Jones

والأوربية (اللاتينية واليونانية والكلتية والجرمانية).

كان لهذا الكشف نتائج بالغة الأثر في سير الدراسات اللغوية، وفي النهضة اللغوية الحديثة. نتج عن معرفة اللغة السنسكريتية إدراك العلاقة بينها وبين اللغة اليونانية واللغة اللاتينية وما تفرع عنهما من لغات. وهكذا أخذ العلماء يتكلمون عن مجموعة اللغات التي سموها عائلة اللغات الهندو أوربية[1]. ولكن شيئاً أجل من هذا نتج عن كشف اللغة السنسكريتية، وهو اطلاع لغويي أوربا وأمريكا على التراث الرائع النحوي والصوتي الذي خلفه العلماء الهنود. وقد ترجم جانب كبير من هذا التراث إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية (أنظر ص ٩٣- ٩٤).

---

(١) إن العلاقة بين اليونانية واللاتينية كانت ملحوظة قبل الكشف عن السنسكريتية ولكن تفصيل العلاقات القائمة بينهما لم يكن مفهوماً، فلما دخلت اللغة السنسكريتية في مجال الملاحظة اتضحت العلاقات بين اليونانية واللاتينية.

ومن ذلك أن الترابط القائم بين الصور الآتية:

يوناني	لاتيني
genos	genus
geneos	generis
genea	genera

لم يكن يؤيد أي استنتاج، فلما ظهرت القائمة السنسكريتية المقابلة لهاتين القائمتين اتضحت لأول لمحة العلاقات القائمة بين هذه اللغات الثلاث؛ والقائمة السنسكريتية هي:

ganas

ganasas

ganassu

يتضح من النظر في هذه القوائم الثلاث أن صوت الـ "S" في الهندو أوربية الأصلية استمر موجوداً في السنسكريتية، بينما لم يحفظ في اليونانية واللاتينية إلا في النهاية، وأنه بين صوتين صائتين يظهر في اللاتينية على هيئة صوت الـ "r" بينما يختفي كلية في اليونانية.

أنظر: Wartburg: Probleme Et Methodes.. PP. 2-3.

ويميل أكثر مؤرخي الدراسات اللغوية الحديثة إلى أن أعمال النحاة السنسكريتيين هي التي أوقفت النحاة الغربيين على أقدامهم. ولقد اطلع علماء الغرب على نحو للغة السنسكريتية لا يقوم على أسس من الفلسفة والمنطق كنحو اليونان لليونانية ونحو تلامذتهم المخلصين الرومان للاتينية، وكأنحائهم هم أنفسهم للغاتهم الأوربية، هذه الأنحاء التي تأثروا فيها بالنحو اللاتيني خاصة.

كان نحو السنسكريتية، كما يظهر عند بانيني[١]، وهو سيبويه السنسكريتية (أو سيبويه هو بانيني العربية)، نحواً وصفياً من الطراز الأول.

واطلع لغويو الغرب كذلك على وصف الهنود لأصوات السنسكريتية وصفاً لا يقوم على الأثر السمعي للأصوات بل يقوم على أسس فسيولوجية (أنظر ص ٨٦ ـ ٩٤).

كان إيحاء النحو السنسكريتي لا يزال إيحاءً خصباً خلاقاً.. وسنرى أن أكبر لغويي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في جوهرهم علماء في اللغة السنسكريتية، وذلك مثل وليم هويتني الأمريكي.

ب ـ القرن التاسع عشر

دراسة اللغات الهندو أوربية واللغات الرومانية

١ ـ إن مطالع النظرة الحديثة إلى اللغة ودراستها تبدأ في القرن التاسع عشر. وهي مدينة إلى حد كبير بما كان قبل هذا القرن (من عصر النهضة إلى أوائل القرن التاسع عشر) من جهود، هيأت لها سبل التقدم.

فقد كثرت أمم الأرض التي سيطر عليها الغربيون أو احتكوا بها والتي

---

(١) Panini

أوفدوا إليها إرسالياتهم الدينية وسفراءهم السياسيين، وكان لهذه الإرساليات ولبعض الأفراد فضل كبير في التعرف على لغات جديدة وفي جمعها، وإبداء ملاحظات عنها، وكتابة أنحائها، ووضع معاجم لها... الخ ثم كان ما ذكرناه من كشف السنسكريتية وما كان لهذا الكشف من أثر.

٢ ـ لقد أخذ «علم اللغة» الحديث في الظهور في مطلع القرن التاسع عشر في صورة «نحو تاريخي مقارن»، واستمر على هذه الصورة زماناً.

وقد أدى هذا إلى الكشف عن الخصائص الأساسية للغات الرئيسية في العالم، وإلى دراسة لغات كثيرة وإلى الوصول إلى ما بينها من «نَسب».

إن القرن التاسع عشر في تاريخ الدراسات اللغوية هو قرن دراسة اللغات الهندو أوربية واللغات الرومانية.

هذه الدراسات المقارنة قدمت معلومات كثيرة عن التغيرات التي تطرأ على الكلام الإنساني بحيث أمكن الوصول إلى الأصول العامة التي تسير عليها هذه التغيرات. نعم كانت هناك من قبل تأملات تتعلق بطريقة التغيرات اللغوية، ولكنها كانت «تأملات» أي لم تكن مبينة على أساس علمي؛ ولكن في أواخر القرن التاسع عشر حلت محل هذه التأملات نتائج قائمة على الاستدلال العلمي.

٣ ـ ولكن قبل أن نعرف بالنشاط اللغوي في القرن التاسع عشر يجدر بنا أن نشير إلى بعض الأفكار والتصورات العامة التي كان لها تأثير في مناهج أكثر لغويي ذلك العصر، وفي نتائج دراساتهم.

إن القرن التاسع عشر هو قرن النزعة التطورية والعلوم الطبيعية، وهو فترة عظيمة من فترات «التأريخ للظواهر[1]» المختلفة في الدراسات

---

(١) Historiography

المختلفة. وكان لنظرية دارون وللعلم الطبيعي أثرهما في دراسة التغيرات اللغوية على وجه الخصوص.

إن نظرية دارون في التطور قد أثرت في مناهج كثير من العلوم، أو أثرت في مناهج العلوم والفلسفة جميعاً، وكانت عند ظهورها بدعة العصر.

تأثر بها علماء اللغة كما تأثر بها سواهم. ورأوا فيها ـ كما رأى غيرهم ـ حلاً لكثير من مشكلاتهم فظهرت حوالي سنة ١٨٧٠ مناهج جديدة للبحث في اللغة على أساس فلسفة جديدة، أو تصورات عامة جديدة، هي أن طبيعة «التغيرات اللغوية» نفس طبيعة التغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي، لا سيما عالم الحيوان والنبات، وهكذا قال بعض علماء اللغة إن ما يعرض للغات من تغير إنما هو بفعل «قوانين عمياء».

فقد نظر اللغويون إلى اللغات واللهجات على أنها كائنات يمكن تصنيفها حسب أنواعها، ويتأتى حصر أعدادها، وتتطور تطور النباتات والحيوانات. وأنشأ اللغويون «علاقات النسب»[١] بين اللغات واللهجات كما هو الحال في التاريخ الطبيعي.

٤ ـ كان للغويين الألمان أكبر الفضل في النهوض بهذه الدراسات الخاصة بالتاريخ اللغوي، والمقارنة اللغوية، والتغير اللغوي.

١ ـ ومن أعلامهم فرانز بوب[٢] (١٧٩١ ـ ١٨٦٧) الذي يصفه دلبروك[٣] (١٨٤٢ ـ ١٩٢٢) بأنه «خالق» علم الأصوات اللغوية في

---

(١) Genealogy

(٢) Granz Bopp

(٣) Berthold Delbruck

الألمانية؛ ولكن الحق أن بوب كان أول «فونولوجي ـ صوتي»[1]؛ وهذا يعني بلغة ذلك العصر، أول من درس الفونولوجيا التاريخية، وما أكبر الفرق بين الأمرين.

وقد نشر فرانز بوب سنة ١٨١٦ مؤلفه:

System der Konjugation des Sanskrit

(= نظام التصريف في اللغة السنسكريتية).

٢ ـ وثانيهم جاكوب (= يعقوب) جريم[2] (١٧٨٥ ـ ١٨٦٣) «خالق النحو المقارن».

٣ ـ وثالثهم بوت[3] (١٨٠٢ ـ ١٨٨٧) الذي أسس النحو الهندو أوربي المقارن.

هؤلاء الأعلام الثلاثة الذين يسميهم دلبروك «الخالقين الثلاثة» خطوا بالدراسات اللغوية خطوات كبيرة.

٤ ـ ولا ننسى أن نذكر فضل راسك[4] (١٧٨٧ ـ ١٨٣٢)، وشليشر[5]

---

(١) Sound — Ponologist

(٢) Jacob Grimm

(٣) August Friedrich Pott

سنة مولده التي ذكرناها منقولة عن «يسبرسن» Language ص ٤٠، ولكن بلومفيلد ص ١٤ من كتابه Language

يحدد سنة ١٧٨٧ لمولده.

(٤) Rasmus Kristian Rask

(٥) August Schleicher

سنة مولده التي ذكرناها هي التي أشار إليها يسبرسن في كتابه «اللغة» ص ٧١، أما بلومفيلد فقد ذكر في كتابه «اللغة» ص ١٥ أن مولده سنة ١٨٢٣.

(١٨٢١ ـ ١٨٦٨) وماكس موللر(١) وسواهم .

٥ ـ ولكن نتائج دراسات هؤلاء العلماء لم تحظ بإجماع علماء اللغة ، وأثبت خطأ بعضها علماء أحدث كما سنرى ، ولكن هناك حقيقة كبرى هامة في تاريخ الدراسات اللغوية أدت إليها أبحاث المدرسة الألمانية ، وهي اصطناع مناهج في دراسة اللغة أدق من المناهج السابقة عليهم ، وكان من نتائج هذه المناهج الجديدة الدقيقة أن فرق علماء اللغة فيما بعد تفريقاً بيناً بين أمرين كانا يختلطان أكبر الاختلاط وهما ما يعرف بـ Philology وLinguistics فاستبان أن المقصود من Philology «فقه اللغة» هو دراسة الوثائق المكتوبة ولغتها أما Linguistics «علم اللغة» فهو الذي يتخذ موضوعاً له دراسة اللغة من حيث هي لغة (دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها كما قال دي سوسير فيما بعد سواء كانت هذه اللغة مكتوبة أو غير مكتوبة .

٦ ـ وفي سنة ١٨٦٦ أسست «الجمعية اللغوية الباريسية»(٢) وأخذت جهود فرنسا تبرز في مجال الدراسات اللغوية .

٧ ـ وفي سنة ١٨٦٧ كتب العالم الأمريكي الكبير وليم دويت هويتني(٣) (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) كتابه :

Language And The Study of Language. 12 Lectures In Linguistics.

(= اللغة ودراسة اللغة : اثنتا عشرة محاضرة في علم اللغة) .

وهو كتاب يعد الآن بالغ القدم ولكنه يعطي وجهة نظر القرن التاسع

(١) Max Muller

(٢) La Societe Linguistique De Paris

(٣) William Dwight Whitney

عشر في فقه اللغة المقارن[1].

وفي سنة ١٨٧٤ ظهر كتابه:

The Life And Growth of Language.

(حياة اللغة ونموها).

وهويتني في جوهره عالم في السنسكريتية ومن خير الخدمات التي أداها إلى الدراسات اللغوية ترجمته من السنسكريتية إلى الإنجليزية بعض المقالات الخاصة بالأصوات اللغوية وقد أشرنا إليها ص ٩٣.

٨ - وفي سنة ١٨٨٠ أصدر هرمان بول[2] (١٨٤٦ - ١٩٢١) بالألمانية كتابه المشهور: «أصول التاريخ اللغويّ».

وقد أعاد طبع كتابه هذا مرات، وقد اعتبرت الطبعة الخامسة منه (ظهرت سنة ١٩٢٠) الكتاب المعتمد فيما يتعلق بمناهج علم اللغة التاريخي[3].

ولكن هذا الكتاب على قيمته يتورط في عيبين كبيرين: أولهما إهمال هرمان بول الدراسة الوصفية للغة، والثاني إصراره على التفسيرات «النفسية».

٩ - ولكن على الرغم من هذه العناية البالغة بالجانب التاريخي

---

(١) Comparative Philology

(٢) Hermann Paul

(٣) ظهرت سنة ١٨٨٩ ترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية للطبعة الثانية من هذا الكتاب «١٨٨٦» قام بها الأستاذ هـ أ. سترونج.

H. A. Strong: Principles of The History of Language, London, 1889.

والمقارن التي غلبت على القرن التاسع عشر، فقد وجد في نفس الوقت علماء صرفوا جهدهم إلى التفكير والبحث في بعض المسائل اللغوية العامة .

١ ـ فكتب ولهلم فون همبولت[1] الألماني (١٧٦٧ ـ ١٨٣٥) من جملة ما كتب بحثاً عن اختلافات الكلام الإنساني ظهر سنة ١٨٣٦ ، أي بعد موت مؤلفه بسنة ؛ ويعد هذا البحث أول كتاب كبير عن علم اللغة العام.

٢ ـ كما كتب هيمان شتاينتال[2] وهو ألماني (١٨٢٣ ـ ١٨٩٩) وكان من أتباع فون همبولت المعجبين ، كتب كتابات عامة كثيرة عن أصول اللغة ، ونشر سنة ١٨٦١ بحثاً عن الأنواع الرئيسية للبنية اللغوية .

١٠ ـ ولكن أهم ما ظهر في علم اللغة العام في أواخر القرن التاسع عشر كتابان كتب أحدهما جورج فون درجابلنتس[3] (١٨٤٠ ـ ١٨٩٣) ، وكتب الثاني ولهلم فنت[4] (١٨٣٢ ـ ١٩٢٠) . ظهر هذان الكتابان في وقت كان الاتجاه الغالب فيه نحو النزعة التاريخية في الدراسة ونحو المقارنة ، وتصنيف اللغات على أسس عائلية ، أو على أسس بنائية ، فلم يكن لهما في وقتهما ما هما أهل له من تأثير.

يقول أوتو يسيرسن : «على الرغم من أهمية هذين الكتابين وعلى الرغم من بلوغهما حد الامتياز من وجوه كثيرة إلا أنه لم يكن لهما على البحث اللغوي المعاصر ذلك التأثير الذي كان لبعض من تقدمهما . وأنا شخصياً مدين لأولهما [يقصد جابلنتس] أكثر من ديني لثانيهما [يقصد فنت]

---

(١) Wilhelm Von Humboldt

(٢) Heyman Steintall

(٣) Georg Von der Gabelentz

(٤) Wilhelm Wundt

بمرات تستعصي على المقارنة، فقد كان فنت «عالم نفس» أكثر منه «عالم لغة»، وكانت صفحاته تبدو لي في أغلب الأحوال أغنى في كلماتها منها في أفكارها الموحية»[1].

١ ـ كتاب فون در جابلنش عن علم اللغة ظهر في سنة ١٨٩١؛ ويمتاز بأنه تقل فيه الاستعانة بالتصورات الفلسفية إذا قيس بكتاب شتاينتال، الذي سبق أن ذكرناه.

٢ ـ أما كتاب ولهلم فنث فهو يعني فيه عناية كبرى ببيان العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية.

١١ ـ ومن أعلام اللغويين الإنجليز في القرن التاسع عشر وأوائل القربن العشرين، هنري سويت[2] (١٨٤٥ ـ ١٩١٢). يقول سويت: إننا أكثر عناية باللغة الحية، وبالدراسة اللغوية الوصفية.

ويعد كتابا سويت: Primer of Spoken English.

(= التمهيد في الإنجليزية الملفوظة) وHandbook of Phonetics.

(= الموجز في علم الأصوات اللغوية) على غاية من الأهمية في علم الأصوات اللغوية في القرن التاسع عشر.

وقد كتب سويت نحواً للغة الإنجليزية[3] وفقه لغة لها على طريقته الخاصة.

---

(١) Jespersen: Language, p. 98.

(٢) Henry Sweet

(٣) New English Grammar

(أنظر من ص ٥ ـ ٢٣٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب). وأنظر كذلك خطاب سويت الرئاسي المنشور في: Sweet's Collected Papers

- ٤ -
القرن العشرون[١]

١ ـ بدأ علماء اللغة حوالي نهاية القرن التاسع عشر يتخلصون من طغيان نظرية التطور فقد أخذ بعضهم ينكر أن تكون التغيرات اللغوية مماثلة للتغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي وقد ساعد على ذلك أمور منها المذهب الجديد الذي طلع به جول جيرون[٢] (١٨٥٤ ـ ١٩٢٦) على الناس في «علم اللغة الجغرافي».

أخذ العلماء ينظرون إلى اللغة على أنها بنية أو نظام «عناصره المختلفة يعتمد بعضها على بعض، ووجود هذا النظام مهم بالنسبة لفهم كل من التغير اللغوي، واللغة من حيث هي لغة، والدور الذي تقوم به اللغة في المجتمع»[٣].

٢ ـ ثم أظهرت محاضرات فرديناند دي سوسير (١٨٥٧ ـ ١٩١٣) التي نشرها تلاميذه سنة ١٩١٦ أهمية الفصل القاطع بين اللغة من حيث هي نظام مستقر وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي. (أنظر تعريفنا للدراسة الوصفية

---

(١) اقتضى سياق العرض أن ندرج في علماء القرن التاسع عشر بعض من أدركوا القرن العشرين مثل سويت، وهرمان بول، وفنت.

(٢) Jules Gillieron et M. Roques: Etudes de Geographie Linguistiques; Paris, 1912.

(٣) Sommerfelt: Recent Trends In Linguistics; Diogenes.

وللدراسة التاريخية (ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥).

وبين دي سوسير بوضوح أن كل دراسة من هاتين يجب أن يكون لها مناهجها الخاصة بها.

ومن التصورات الجديدة التي أدخلها دي سوسير تمييزه بين «اللغة» من حيث هي لغة، وبين الكلام، أي بين النظام اللغوي الذي تشترك فيه جماعة من الجماعات وبين الاستعمال الفعلي الذي يقوم به المتكلم باللغة لهذا «النظام»[1].

وهذا يتفق ونظرة مييه إلى اللغة على أنها «ظاهرة اجتماعية».

ثم إن دي سوسير يرى أن اللغة «نظام من العلامات»[2] التي تتكون من شيء مسموع ومن تصور مرتبط بها ارتباطاً لا انفصام له. وهذه العلامات التي تتصف بأنها تحكمية، أو بأنه لا باعث طبيعي عليها، تكتسب قيمتها عن طريق التقابل، فدي سوسير لا ينظر إلى اللغة على أنها جوهر بل ينظر إليها على أنها صورة»[3].

واقترح دي سوسير ضرورة وجود علم جديد يدرس كل نظم العلامات واقترح له اسم «السميولوجيا» أي علم العلامات (أنظر تعريفنا به ص ٦٣ ـ ٦٨).

دي سوسير وتأثره باميل دوركيم

دي سوسير ومن تأثر به من أعلام المدرسة الفرنسية مثل أنطوان مييه،

(١) Sommerfelt; op cit.

(٢) Systéme de signes

(٣) Sommerfelt; op. cit.

وجرامون، وفندريس، (وكان مييه وجرامون تلميذين لدى سوسير عندما كان يحاضر في باريس من ١٨٨١ ـ ١٨٩١) كانوا يقومون بدراستهم اللغوية كأنها من دراسات العلوم الاجتماعية.

وقد تأثر دي سوسير وأكثر تلامذته بمذهب إميل دوركيم في علم الاجتماع.

ولقد كان إميل دوركيم[١] صديقاً لفرديناد دي سوسير ـ كما كان صديقاً ومراسلاً منتظماً للعالم اللغوي بودوان دي كورتيناي[٢]. إن دي سوسير السويسري ومجموعة العلماء الفرنسيين، ومجموعة العلماء البراغيين كانوا متأثرين بإميل دوركيم.

وكان دوركيم أميل إلى أن يكون «وضعيّاً»[٣] فكان «ضد النزعة الفردية»[٤] وكان من أوائل من نادوا بأن الظواهر الاجتماعية ظواهر من نوع خاص. ومن أشهر مؤلفات دوركيم كتابه:

De la Division de Travail Social

(= تقسيم العمل الاجتماعي) وكان دوركيم نفسه متأثراً بكارل ماركس[٥].

لقد درجت الفلسفة الدوركيمية على أن تنظر إلى الـ langue «اللغة»

---

(١) Emile Durkheim

(٢) Baudoin de Courtenay

(٣) Positivist

(٤) Anti-Individualist

(٥) Carl Marx

باعتبارها متميزة (أو مستقلة) من الـ parole «الـكلام». ثـم من ذلك الاصطلاح الثالث وهو langage .

وتقوم نظرية دي سوسير وتلامذته على ذلك الثالوث وهم يعتبرون الـ langue «خارجية» بالنسبة إلى الفرد أما الـ Langage فقد قال دي سوسير إنه لا يمكن إدراكها بمعنى علمي.

وقد عرفنا بهذا الثالوث في باب علم الدلالة (ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢).

كما عرفنا بنظرية دي سوسير في دراسة المعنى (٣٠٣ ـ ٣٠٤).

٣ ـ وأخذ اللغويون ينمون أفكار دي سوسير الخاصة بـ «الفونيم». عني بذلك الأمير الروسي المهاجر ن. تروبتسكوي (١٨٩٠ ـ ١٩٣٨) وتلميذه ومساعده الروسي رومان جاكوبسون (ولد سنة ١٨٩٦).

هذان وأشياعهما ظهروا بتصور جديد هو «الفونولوجيا». وقد ميز تروبتسكوي وجاكوبسون ومساعدوهما بين الفونولوجيا وبين «الفونيتيك» أي علم الأصوات اللغوية في المؤتمر اللغوي الأول الذي عقد في لاهاي سنة ١٩٢٨. وكان مركز هؤلاء مدينة براغ (أنظر تعريفنا للفونولوجيا ص ١٩٤ ـ ٢١٢).

٤ ـ أما جماعة «كوبنهاجن» الدانيماركية فتشمل لغويين أشهرهم أوتو يسيرسن، وبدرسن، وهيلمسلف. وهذه الجماعة تنشر دراساتها بأكثر من لغة فمنهم من ينشر بالإنجليزية والفرنسية والألمانية... الخ.

١ ـ أما يسيرسن فهو مشهور بكتابه «اللغة»(١) الذي ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٢، وقد نقلنا عنه مرات، وهو خطوة كبيرة في سبيل تأريخ اللغة، وبكتابه

---

(١) Language, Its Nature, Development And Origin

«فلسفة النحو»[1]، ونحو اللغة الإنجليزية إلى آخر مؤلفاته الكثيرة. ويمتاز يسيرسن بالوضوح وبتقريب النظرات اللغوية المعقدة إلى جمهور كبير.

٢ ـ أما بدرسن فهو معروف بكتابه في تاريخ الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر.

٣ ـ وأظهر هيلمسلف الدانمركي[2] (ولد سنة ١٨٩٩) بالتعاون في بعض المسائل مع هوج ألدال[3] نظرية «دلالية» في اللغة تعرف باسم Glossematics، على أساس أن اللغة شكل أكثر من كونها مادة.

واللغة عند هيلمسلف هي «نسق من العلاقات»؛ أما كيفية الإبانة عنها فغير مهمة.

ولكن هيلمسلف وجد معارضة شديدة من كثير من علماء اللغة.

ويرى الأستاذ فيرث أن نظرية هيلمسلف نظرية مجردة، إنها نظرية منطقية رياضية، وصاحبها قد غالى في المباديء التي نادى بها دي سوسير، تخريجاً وتأويلاً واستنباطاً وتطبيقاً، مغالاة لا توحي بها كتابات دي سوسير.

ومع ذلك فنظرية هيلمسلف نظرية «فرنسية» في مصدرها إذا نحن أدخلنا «مدرسة جنيف» في المدرسة الفرنسية.

ومع هذا فإن نظرية هيلمسلف نظرية بارعة في عمومها، وشمولها، ومداها. ولكن هذه النظرية لم تطبق حتى الآن تطبيقاً كاملاً على لغة من

---

(١) Philosophy of Grrammar

(٢) H. Pedersen: Linguistic Science In The Nineteenth Century. English translation by J. Spargo. Cambridge, U.S. A., Mass., 1931.

(٣) Louis Hjelmslev

(٤) H. Uldall

اللغات، ولو اللغة الدانيماريكة، لغة صاحبها. وربما كان هذا مما يوحي بأنه من الخير أن تعد هذه النظرية نوعاً من «الرياضيات» الخالصة[1].

٥ ـ في أمريكا:

في السنوات الأخيرة قام اللغويون الأمريكيون ببحوث نظرية كثيرة.

وقدموا للعلماء مادة اللغات الهندية الأمريكية التي تختلف في بعض الأحوال عن لغات العالم القديمة.

ولهم نظرية في البنية اللغوية تتفق مع آراء الأوربيين في مسائل هامة.

وأشهر اللغويين الأمريكيين في القرن العشرين ليونارد بلومفيلد (١٨٨٧ ـ ١٩٤٩)، وإدوارد سابير (١٨٨٤ ـ ١٩٣٩).

١ ـ وكتاب «اللغة» لبلومفيلد هو عمدة الأمريكيين.

وبلومفيلد كما ذكرنا من أصحاب نظرية السلوك والسلوكيون ينكرون أو يكادون ينكرون وجود أي عملية ذهنية فأراد أن يتخلص من المعنى قدر الإمكان؛ فعنده أن معنى أي صورة من الصور اللغوية هو الحالة التي ينطق فيها المتلكم بهذه الصورة والأثر الذي يحدثه في السامع.

فبلومفيلد يبدأ من الصور اللغوية لا من معاني الصور، وقد كون على أساس مقاييس صورية خالصة نظاماً كاملاً من الوحدات اللغوية الصغرى (= الفونيمات)، ومن تصرفاتها، ومن الصلات العامة بينها ومن الصور النحوية والنظم وأنواع الجمل.

(١) J.R. Firth: Applications of General Linguistics (Transactions of The Philological Socity, 1957) p. 2.

(٢) Linguistic structure

ولكن هذا المنهج لا يصلح عندما يطبق على التطور التاريخي.

٢ ـ أما اللغوي الثاني من لغويي أمريكا في القرن العشرين فهو إدوارد سابير. ولم يكن سابير سلوكياً.

ولقد اقترح سابير تصنيفاً للنظم اللغوية على أساس البنية اللغوية.

ويرى سابير أن النظم اللغوية يمكن النظر إليها من ناحيتين: من حيث درجة تركيب[١] الكلمات أو درجة استكمالها لهيئتها، وثانياً من حيث «الارتباط الآلي»[٢] الذي تتحد فيه عناصر الكلمات.

ولقد أبرز سابير الصفة الاجتماعية للغة دون أن يهوّن من أهمية العامل الفردي.

٦ ـ مسائل نحاها علم اللغة الحديث من مجال بحثه:

أبعد المحدثون من مجال بحثهم ـ ولو مؤقتاً على الأقل ـ مسائل رأوا أنها لا تتفق مع طبيعة «العلم» التي اتصفت بها الدراسات اللغوية.

١ ـ ومن ذلك التصنيفات العامة للغات. نعم إن ثمة عيوباً في النتائج التي وصل إليها القدماء في هذا الصدد، ولكن هل هذا يدعو إلى اطراحها كلية؟ الملاحظ أن المحدثين أخذوا ينفرون من «التعميمات»، وينفقون جهدهم في استقصاء مسائل جزئية، وكاد التعميم عندهم يصبح شراً من الشرور كما قال يسبرسن[٣]. وعنده أنه لا يجوز التسليم بهذا. فمن طبيعة العلم أن يستهدف تعميمات أعرض وأعرض، ومعادلات أشمل وأشمل حتى

---

(١) Synthesis

(٢) Mechanical Cohesion

(٣) Language, p. 98.

يصل آخر الأمر إلى «توحيد المعرفة» الذي تحدث عنه هربرت سينسر[1].

٢ ـ ومن المسائل العامة التي يميل المحدثون إلى تنحيتها البحث في نشأة اللغة، فالكلام فيها عندهم ضرب من الميتافيزيقا (كما يقول فندريس في كتابه اللغة).

٣ ـ وقد أهمل اللغويون كذلك المشكلات المتعلقة بتقويم[2] اللغة إنهم يرفضون البحث في «تفضيل» صيغة على صيغة، أو كلمة على كلمة، أو البحث في «صحة» الكلام[3].

٤ ـ أما التفكير في إنشاء «لغة عالمية»[4]، هذا التفكير الذي ساد في وقت من الأوقات، فهو عند المحدثين ضرب من الرؤى والخيالات، أصحابه حالمون ومثاليون.

٧ ـ وضع علم اللغة في أحدث صوره

١ ـ لم تصبح الدراسة التاريخية السمة الغالبة على الدراسة اللغوية. فالمحدثون يهتمون اهتماماً كبيراً بدراسة اللغة بطريقة وصفية ولكنهم لم يهملوا الجانب التاريخي.

وإذا كان القرن التاسع عشر هو قرن دراسة اللغات الهندو أوربية، واللغات الرومانية فقد أخذ بعض العلماء من بعد يهتمون باللغات السامية.

٢ ـ ومن السمات التي تميز علم اللغة في صورته الحديثة أنه تخلص،

---

(١) Herbert Spencer

(٢) Valuation

(٣) Jespersen: Language, p. 99.

(٤) International Language

عند أكثر اللغويين، من الاعتماد على الفلسفة والمنطق.

٣ ـ والدراسة اللغوية، لا سيما دراسة المعنى، متأثرة الآن بالدراسات الاجتماعية.

٤ ـ تأثر علم اللغة الحديث بالدراسات النفسية، ولكنه تخلص من سيطرتها على مناهجه، وأخذ ينتفع بحقائق من الدراسات النفسية في تفسير بعض الظواهر اللغوية.

٥ ـ أدرك غالبية المحدثين من علماء اللغة أن النظرية التي يقدمها علم اللغة نظرية تطبق في وصف لغات معينة وليست نظرية للعموميات في الوصف اللغوي. إنهم يدركون أن هذه النظرية ينبغي أن تكون مرشداً للتحليل الوصفي للغات، وأن تقدم الأصول الضرورية «للتركيب»[٣].

ويدرك اللغويون أن عليهم أن يتهيأوا لصنع الإطار التركيبي الأساسي لإقامة قناطر بين مختلف اللغات والثقافات[١].

٦ ـ كما يدرك اللغويون المحدثون أن ثمة نظريات لغوية عامة كثيرة، وأنها ليست جميعاً سواء في صلاحيتها للتطبيق العملي، ويدركون أن هذا سبب رئيسي في أن يحتفظوا في أذهانهم بوجهي علم اللغة ألا وهما: علم اللغة العام، «وعلم اللغة التطبيقي»[٢].

---

(١) J. R. Firth: Applications...; p. 6.

(٢) Applied Linguistics

أنظر J. R. Firth: Applications...; p. 6

مَعجَـــمُ المصطَلحَاتْ

(A)

Abstrat	مجرد
Abstraction	تجريد
Accent	نبر
Acoustic	سمعي (ما يتعلـق بالصـوت من حيث انتقـال موجاتـه في الهـواء إلـى أذن السامع، وأثره السمعي)
Acoustic Phonetics: Acoustics	دراسة الموجات الصوتية اللغوية، السمعيات
Acquired	مكتسب
Act of Speech (See Speech)	
Action	فعل، عمل
Mode of Action	طريقة من العمل
OReflex Action	فعل (عمل) انعكاسي
Social Action	عمل (فعل) اجتماعي
Voluntary Action	عمل (فعل) إرادي
Activity	نشاط
Human Activity	نشاط إنساني
Adam's Apple	تفاحة آدم

Adjective	صفة
Address	خطاب
Affix	إضافة (ج . إضافات)
	[تضاف إلى الكلمة في أي موضع منها]
Affricate	(صوت) انفجاري احتكاكي
Affricative Consonant	صوت صامت انفجاري احتكاكي
Affrication	انفجار احتكاكي
Alphabet	أبجدية ، ألف باء
The Alphabet of the International	ألف باء الجمعية الصوتية الدولية
Phonetic Association	(= الجمعية الدولية للأصوات اللغوية)
Alphabetic Notation	الخط الألف بائي
Phonetic Alphabet	الألف باء (= الأبجدية) الصوتية
Alveolar	لثوى
Blade Aleolar (see: Blade)	
Palato Alveolar (see: Palate)	
Alveoli	لثة ، مقدم الحنك
Analogists	قياسيون ، أهل (= أصحاب)
Analogy	القياس
Linguistic Analogy	القياس اللغوي
Analogic	قياسيّ
Analogic Change	تغير قياسيّ
Analysis	تحليل
Analytic	تحليلي
Anatonmy	علم التشريح

مشذذون ، أهل (= أصحاب) التشذيد	Anomalists
الأنثروبولوجيا (علم الأجناس البشرية)	Anthropology
الأنثروبولوجيا الاجتماعية	Social Anthropology
	Anti Individualist (see: Individual)
الأفازيا (الحبسة = العقلة)	Aphasia
استعداد ، ميل	Aptitude
نطق	Articulation
هيئة النطق (طريقته : كيفيته)	Manner of Articulation
تقسيم الصوامت حسب طريقة النطق موضع النطق	
تصنيف الصوامت حسب موضع النطق	Place of Articulation
موضع النطق	Point of Articulation
(عضو) ناطق (ج : نواطق)	Articulator
	Artificial Palate (see: Palate)
(صوت) انفجاري مهموس نَفَسِيّ	Aspirate (see: Aspirated Plosive)
نفَس	Aspiration
شدة النفس	Intensity of Aspiration
مماثلة (صوتية)	Assimilation
لاصقة ، ج . لواصق (أنظر الخلاف في ترجمتها إلى العربية	Augment
أوتوماتي	Automatic
استقلال علم اللغة	Autonomy of Linguistics

(B)

بأبأه	Babbling (Cowing; Crowing)
سلوك	Behaviour
سلوك جماعي	Choric Behaviour
سلوك إنساني	Human Behaviour

Linguistic Behaviour — سلوك لغوي

Speech Behaviour — سلوك كلامي (لغوي)

Behaviourism — المذهب السلوكي

Behaviouristic School — المدرسة السلوكية

Biology — البيولوجيا (علم الأحياء)

General Biology — البيولوجيا العام، علم الحياة العام

Biological — بيولوجي

Blade-Alveolar

Blade of The Tongue (See: Tongue)

Breath — تنفس ـ نفس

Broad Transcription (see: Transcription)

Broad Romic (see: Romic)

(C)

Capital Letter — حرف مكبّر

Category — فصيلة قسم (المنطق، مقولة)

Cavity — فراغ، تجويف

Oral Cavity — فراغ الفم، تجويف الفم

Chest-Note (see: Note)

Chroneme — كرونيم (مدة استمرار الصوت متخذة للتمييز بين المعاني)؛ فونيم كمّي

Click — صوت المصمصة

Classification of Sounds — تصنيف الأصوات

Clinical — كلينيكي (عيادي)

Colloquial — الكلام العامي (اللغة العامية)، الكلام الدارج (اللغة الدارجة)

Communion	تَشارك
Conscious	واع
Consiousness	وعي
Closure	حبس (الهواء)
Common Language	لغة عامة
Communication	توصيل
Comparatist	(لغوي) مقارن
Comparative	مقارن
Comparative Grammar	النحو المقارن
Comparative Linguistics	الدراسة اللغوية المقارنة
Comparative Method	المنهج المقارن
Comparative study	الدراسة اللغوية المقارنة
Comparative Philology	فقه اللغة المقارن
Concept	تصور
Linguistic Concept	تصور لغوي
Consonant	(صوت) صامت، ج: صامتة أو «صوامت» (انظر الخلاف في ترجمتها إلى العربية)
Context	سياق
Context of Situation	سياق الحال
Continuant	(صوت) متماد
Frictionless Continuants	الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية
Conventional	اصطلاحي (تواضعي)
Conventional Fixation	تثبيت اصطلاحي
Constructive Features	الخصائص (= السمات) التكوينية

Convex	محدَّب
Cooing (see: Babbling)	بأبأة
Copulative Verb	فعل رابط (ج . أفعال روابط)
Cord (Chord)	وتر
Vocal Cords (Chords)	الوتران الصوتيان ؛ الحبال الصوتية
Correspondence	تقابل
Regular Correspondences	التقابلات (المقابلات) المطردة
Crawing (see: Babbling)	بأبأة
Crawling	حبو
Crescendo (Rising)	صاعد، طالع
Culture	ثقافة
Cultural	ثقافي

(D)

Deaf-Mute	أصم أبكم (ج : صم بكم)
Decrescendo (Falling)	هابط، نازل
Dental	سني
Descriptive	وصفي
Descriptive Grammar	النحو الوصفي
Descriptive Linguistics	الدراسة اللغوية الوصفية
Descriptive Method	المنهج الوصفي
Desinence	خاتمة، ج . خواتيم أو (خاتمات) انظر الخلاف في ترجمتها إلى العربية
Desire	رغبة

Development	نمو، تطور
Diacritical Marks	العلامات الكتابية المميزة (المخصصة)
Diacronic (Diachronistic)	حركي، متحرك
Diagraph	رمز كتابي مكوّن من حرفين
Dialect	لهجة
Dialect Area	منطقة اللهجة (= مجال اللهجة)
Dialect Atlas	أطلس اللهجات
Dialect Geography	جغرافية اللهجات
Dialect Splitting	تقسم لغة في لهجات
Class-Dialect	لهجة طائفية ؛ لهجة طبقية
Diphthong	(صوت) صائب مركب
Dissimilation	مخالفة (صوتية)
Dynamic	تطوري

(E)

Ejective	(صوت) قذفي
Emotion	انفعال
Emotional	انفعالي
Endocrine Organs	الغدد الصم (الغدد المفرزة للهرمونات)
Epiglottis	الغلصمة
Ethnology	اتنولوجيا
Ethnological	اتنولوجي
Etymology	اشتقاق
Exclamation	تعجب
Exhalation	زفير؛ إخراج النفس
Explosive (See: Stop; Plosive)	صوت انفجاري

تجربة	Experience
الدراسة الصوتية التجريبية(= الدراسة التجريبية للأصوات اللغوية	Experimental Phonetics
تعبير	Expression
التعبير بملامح الوجه	Facial Expression
التعبير اليدوي	Hand Expression
حدث	Event
حدث عملي (ج. أحداث عملية)	Practical Event

(F)

عائلة	family
عائلة لغوية	Language Family
عائلة لغوية فرعية	Language Sub-Family
(صوت) مستل؛ مستلب؛ مفرد	Flapped
شكل؛ صيغة	Form
شكل منجوم (= شكل ذو نجمة، شكل مرقوم بنجمة) كلمة منجومة	Starred Form
شكلي (صوري)	Formal
عنصر شكلي	Formal Element
البنية الشكلية	Formal Structure
صيغة	Formation
صيغة شاذة غريبة	Freak Formation
مكوّن	Formative
مكوّن احتكاكي	Fricative
صوت احتكاكي	Fricative

Fricative Consonant	(صوت) صامت احتكاكي
Friction	احتكاك
Frictionless Continuants (see: Continuants)	
Front of The Tongue (see: Tongue)	
Function	وظيفة
Human Function	وضيفة إنسانية
Social Function	وظيفة اجتماعية
Functional	وظيفي
Fuctional Phonetics (see: Phonology)	علم الأصوات اللغوية الوظيفي
Functional System	نظام وظيفي
Functional Unit	وحدة وظيفية

(G)

Gender	الجنس (من الناحية اللغوية)
Genetics	علم الوراثة
Gesture	إشارة
Glide	معبر، مزلق
Vowel-Glide	(صوت) صائت انزلاقي
Glidding-Sound	صوت انزلاقي
Glottis	الفتحة الكائنة بين الوترين الصوتيين بالحنجرة
Glottal	حنجري (نسبة إلى الفتحة الكائنة بين الوترين الصوتيين في الحنجرة)
Glottal Catch	همزة القطع
Glottal Plosive Consonant	
Glottal Stop	(صامت انفجاري حنجري)

Grammatical Analysis	تحليل نحوي
Grammatical Categories	فصائل (أقسام نحوية)
Grammatical Form	شكل نحوي
Grammatical System	نظام نحوي
Grimm's Law	قانون جريم
Gums (انظر: Alveoli)	لثة (انظر
Guttural	(صوت) حلقي

(H)

Hard-Palate (see: Palate)	
Hereditary	موروث (وراثي)
Historical	تاريخي
Historical Linguistics	الدراسة اللغوية التاريخية تعريفها
Historiography	التأريخ للظواهر المختلفة (في الدراسات المختلفة)
Homophone (Homonym)	مشترك لفظي

كلمة من كلمتين، أو أكثر، بينهما أو بينها «جناس تام» أي متفقتين أو متفقة؛ لفظاً مختلفتين، أو مختلفة، معنى

Human	إنساني
Human Behaviour	السلوك الإنساني
Human Phenomenon (pl. Phenomena)	ظاهرة إنسانية (ج. ظواهر)
Human Voice	الصوت الإنساني (= الحس)

(I)

Idea	فكرة

Image	صورة
Imparting	توصيل (نقل)
Impersonal	غير شخصي
Incomplete Plosive Consonant	(صوت) صامت انفجاري ناقص
Individual	فرد
Individualist	من أنصار النزعة الفردية (متفرد)
Anti-Individualist	ضد النزعة الفردية
Infix	حشو
Inflectional	تغييري
Inscription	نقش
Instinct	غريزة
Instinctive	غريزي
Instinctive Activity	نشاط غريزي
Institution	نظام (من النظم الاجتماعية)
Human Institution	نظام إنساني
Instrumental Phonetics (see: Phonetics)	
Integration (Integrity)	تكامل
Integrative Method	المنهج التكاملي
Intellectual	عقلي (ذهني)
Interdental	(صوت) ما بين الأسنان
Interjections	صرخات انفعالية
Intensity	شدة
Interational Language	لغة عالمية
Intonation	تنغيم

Intonational Forms	الدور المورفولوجي للتنغيم، الصـور التنغيمية
Introversive	استبطاني
Invariable	غير متغير، غير متصرف، ثابت

(K)

Kymograph	كيموجراف
Kymography	الكيموجرافيا هامش

(L)

Labial	شفوي
Labio-Dental	(صوت) شفوي - سني
Bi-Labial	شفتانـي
Language	لغة، اللغة
Language Disorders	اضطرابات كلامية
Agglutinative Languages	لغات لصقية(١)
Analytic Languages	لغات تحليلية(٢)
Common Language	لغة عامة، لغة مشتركة
Dead Language	لغة ميتة

(١) هذا من تصنيف اللغات من الناحية المورفولوجية. ومن اللغات اللصـقية اللغـة التركية. والمظنون أن «الأشكال المقيدة أو المحددة» bound-forms (أنظر شرحهـا في التعليق علـى (Isolating Languages) في اللغات اللصقية يلي أحدها الآخر ليس غير.

(٢) من تصنيف اللغات من الناحية المورفولوجية، تقسم اللغات إلى «تحليلية» و «تركيبية»: التحليلية كاللغة الصينية الحديثة حيث كل كلمة من كلماتها «مورفيم» أحادي المقطع، أو «كلمة مركبـة» Compound Word، أو عبارة في كلمة. وخير مثال للغات التركيبية Synthtic لغة الإسكيمو. (انظر بلومفيلد Language ص ٢٠٧).

لغة مستبعدة ؛ لغة مهملة ، لغة منسية(١)	Extinct Language
لغات عازلة (= فاصلة)(٢)	Isolating Languages
لغات تركيبية فائقة(٣)	Polysynthetic Languages
اللغة الوالدة ، اللغة الأم	Parent Language
لغات تركيبية* (مثل لغة الإسكيمو)	Synthetic Languages
حنجري	Laryngal
مجهر الحنجرة	Laryngoscope
حنجرة	Larynx
صوت منحرف	Lateral
انفجار ، أو انطلاق ، منحرف	Lateral Plosion (Lateral Release)
انطلاق ؛ أو انفجار ، منحرف	Lateral Release (Lateral Plosion)
طول	Length
(تنغيم) مستو	Level (Intonation)
قاموسي ، معجمي	Lexical
معنى قاموسي	Lexical Meaning
قاموسي ، معجم	Lexicon

---

(١) ومن هذا اللغات الأصلية للمهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية الذين يتخذون الإنجليزية لغة لهم ، ويصبحون عاجزين عن الكلام بلغاتهم الأصلية بوضوح وطلاقة ولو أنهم قد يتكلمون الإنجليزية ، في الوقت نفسه ، بصورة غير صحيحة .

(٢) هذا من تصنيف اللغات من الناحية المورفولوجية ، ومن هذه اللغات الصينية . واللغات العازلة هي تلك التي لا تستعمل «الأشكال المقيدة أو المحددة» bounds forms وذلك مثل ly في كلمة Clearly وما إليها . وهي تدخل على الكلمة فتعطيها شكلا خاصا ومعنى خاصاً ، ولكنها لا توجد في نفس اللغة مستقلة بمعنى مستقل .

(٣) هذا من تصنيف اللغات من الناحية المورفولوجية .

* من تصنيف اللغات من الناحية المورفولوجية . انظر تعليقنا على Analytic Languages .

Liugua	لسان ؛ لغة
Lingual	لساني ، لغوي
Bi-Lingual	ذو لغتين ، متكلم بلغتين
Uni-Lingual	أحادي اللسان (= متكلم بلغة واحدة)
Linguistic	لغوي
Linguistic Science	علم اللغة
Linguistic Sound	صوت لغوي
Linguistic Structure	بنية لغوية
Linguistic Substitute Reaction	رد فعل بدلي لغوي
Linguistics	علم اللغة
(= General Linguistics)	علم اللغة العام
Lip	شفة

(M)

Mark	علامة كتابية
Diacritical Marks	علامات كتابية مميزة (مخصصة)
Meaning	معنى
Expansion of Meaning	تعميم المعنى ، تغير المعني نحو التعميم
Change In Meaning	تغير المعنى
Study of Meaning	دراسة المعنى
Narrowing (Restriction) of Meaning	تخصيص المعنى ، تغير المعنى نحو التخصيص
Mechanical	آلي
Mechanical Cohesion	ارتباط آلي

Mechanism	آلية
Mechanism of Sign	آلية العلامة
Mechanism of Utterance (see: Utterance)	آلية النطق
Meliorative Change	تغير متسام (في المعنى)
Melody	لحن
Mentalist	عقلي
Metaphor	مجاز
Metaphoric	مجازي
Metaphoric Extension	اتساع مجازي
Method	منهج
Momementary	آني
Morpheme	مورفيم

(انظر الخلاف في ترجمته إلى العربية) تعريفه وأقسامه، تعريف بلوخ وتراج.

Morphology	المورفولوجيا
Mouth	فم
Roof of The Mouth	سقف الفم
Palate	أنظر
Musical Note (see: Note)	نغمة موسيقية
Mute	صوت مغلق
Mutual	متبادل
Mutual Relations	علاقات متبادلة

(N)

Narrow Romic (see: Romic)

Narrow Transcrition (see: Transcription)

Nasal	صوت أنفي ، أغنّ
Nasal Plasion	انفجار، أو انطلاق ، أنفي
Nasal Relaese	انطلاق ، أو انفجار ، أنفي
Negation	نفي
Nervous Sytem	الجهاز العصبي
Neuro-Semantics	الدلالة العصبية
Neuro-SemanticsReactions	رد فعلي دلالي - عصبي
Neurology	علـم الأعصاب
Neutral	محايد، (لا مذكر ولا مؤنث)
Non-Instinctive	غير غريزي
Normative	تقعيدي
Notation	خط، كتابة
Romic Notation (see: Tomic)	الخط الرومي
Note	نغمة (موسيقية)
Chest-Note (Musical-Note)	نغمة موسيقية
Nursery Stage	مرحلة المهد

(O)

Object	موضوع (شيء)
Objective	موضوعي
Onomatopeia	تقليد الأصوات الطبيعية
Onomatopeia Words	كلمات مقلدة للأصوات الطبيعية
Opening	انفتاح ، فتح
Degree of Openening	درجة انفتاح الأعضاء

(= مقدار البعد بين الأعضاء المشتركة في النطق	
عضوي	Organic
الأثر الصوتي (= الرسم) الذي يسجله الأوسيلوغراف	Oscillogram
أوسيلوغراف	Oscillograph

(P)

حنكي - وسيط	Palatal
الحنك الصناعي	Palate
الحنك، سقف الحنك، الحنك الأعلى	Artificial Palate
الحنك الصلب، وسط الحنك	Hard Palate
(الحنك الليّن. أقصى الحنك)	Soft Palate (see(velum)
لثوي - حنكي	Palato-Alveolar
رسم الحنك	Palatogram
البلاتوجرافيا (طريقة الأحناك الصناعية)	Palatography
الباثولوجيا (دراسة تشخيص المرض وعلاجه	Pathology
باثولوجي	Phathological
تغير انحطاطي، تغير خافض (في المعنى)	Pejorative Change
شخص	Person
شخصية	Personality
حلقي	Pharyngal
الفراغ الحلقي، التجويف الحلقي	Pharynx
ظاهرة (ج. ظواهر	Phenomenon (pl. Phenomena)
فقه اللغة	Philiology

Phisiology	الفسيولوجيا (= علم وظائف الأعضاء)
Phisiological	فسيولوجي
Phoneme	فونيم
Supra-Segmental Phoneme	فونيم مقطعي (= جزئي) أعلى
Phonemics (see: Phonology)	الفونيميا
Phonetic Alphabet (see: Alphabet)	
Phonetic	صوتي (لغوي)
Phonetic Equation	معادلة صوتية (لغوية)
Phonetic Habit	عادة صوتية لغوية
Phonetic Law	قانون صوتي (لغوي)
Phonetic Transcription (see: Transcription)	
Phonetician	عالم الأصوات اللغوية
Phonetics	علم الأصوات اللغوية (= الصوتيات)
Experimental Phonetics	الدراسة الصوتية التجريبية (للأصوات اللغوية)
Functional Phonetics (see: Phonology)	علم الأصوات اللغوية الوظيفي
Instrumental Phonetics	الدراسة الصوتية الآلية (الدراسية الآلية للأصوات اللغوية)
Physical Phonetics	الدراسة الفيزيائية (= الفيزيقية)
Physiological Phonetics	الدراسة الفسيولوجية للأصوات اللغوية (الدراسة الصوتية الفسيولوجية)
Phonological Analysis	(التحليل الفونولجي للأصوات اللغوية)
Phonology	الفونولوجيا، علم الأصوات اللغوية

الوظيفي، التعريف به

الفيزياء (= الفيزيقا = علم الطبيعة)	Physics
درجة الصوت	Pitch
(صوت) انفجاري	Plosive
(صوت) انفجاري مهموس نفَسي	Aspirated Plosive
	(see: Aspirate)
(صوت) انفجاري مهموس غير نفَسي	Unaspirated Plosive
سابقة (ج. سوابق)	Prefix
وضعي	Positivist
متكلم بأكثر من لغتين	Polyglott
معرفة عدد من اللغات (أكثر من لغتين)	Polyglottism
بروز، جهارة	Prominence
الصورة الأصلية (الأم)	Prototype
علم النفس	Psychology
علم النفس العام	General Psychology
نفْسي	Psychic
نفسي (= سيكولوجي)	Psychological

q)

طبيعة (الصوت)	Quality (Sound)
كمية أو مدة استمرار الصوت	Quantity

R)

رد فعل	Reaction

Reconstruction	إعادة إنشاء ، إعادة بناء
Reduplication	تضعيف
Reed	لسان (آلة موسيقية)
Reflexive	انعكاسي
Regular	مطرد (القواعد)
Regular Correspondences	التقابلات (المقابلات) المطردة
Relation	صلة القرابة (علاقة)
Release	انطلاق (الهواء) : انفراج (الأعضاء)
Resonance Chamber	فراغ رنان
Response	استجابة
Rhythm	إيقاع
Rhythmic (Rhythmical)	إيقاعي
Rite	طقس (ج طقوس)
Rolled	(صوت) مكرر [مثل الراء العربية]
Romic Notation	الخط الرومي
Broad Romic	الخط الرومي الواسع أو العريض
Narrow Romic	الخط الرومي الضيق أو المفصل
Roof of The Mouth (see: Mouth)	
Root	الأصل ، الأرومه
Root of The Tongue (see: Tongue)	أصل اللسان

(S)

Section	قطعة (من سلسلة كلامية
Semanteme	وحدة دلالية

دلالي	Semantic
فصائل دلالية	Semantic Categories
تطور دلالي	Semantic Development
تمرينات دلالية	Semantic Exercises
مستوى دلالي	Semantic Meaning
تحول دلالي	Semantic Shift
دراسة دلالية	Semantic Study
علم الدلالة	Semantics
أنظر	Sememe
السميولوجيا (= علم العلامات)	Semiology
علامة	Sign
نظام من العلامات	System of Signs
تحول ـ تغير	Shift
تحول لغوي*	Shift of Language
اجتماعي	Social
ظاهرة اجتماعية	Social Fact
علم النفس الاجتماعي	Social Psychology
مجتمع	Society
علم الاجتماع	Sociology
علم الاجتماع العام	General Sociology
الحنك اللين ـ أقصى الحنك	Soft Palate
انظر	Velum

* الانتقال من اللغة الأصلية إلى لغة أخرى مع العجز عن الكلام بالأصلية بطلاقة شأن بعض المهاجرين في الولايات المتحدة الأمريكية .

Sonority	الوضوح في السمع
Sound	صوت
Sound - imitative Words	كلمات مقلدة للأصوات الطبيعية
Sound - Trach	أثر صوتي
Type of Sound	نوع صوتي
Speech	الكلام
Speech - Chain	سلسلة كلامية
Speech Defects	عيوب كلامية
Speech Diseases	أمراض الكلام
Speech Disorders	اضطرابات الكلام
Speech Event	حدث كلامي
Speech Function	وظيفة لغوية
Speech Organs	أعضاء الكلام
Speech Processes	عمليات الكلام
Speech - Sound	صوت كلامي
Act of Speech	حدث كلامي
Elements of Speech	عناصر الكلام
Parts of Speech	أقسام الكلام
Visible Speech	الكلام المنظور
Spirant	صوت ضيق
Static	ثابت، حال الثبات
Stimulus (Pl. Stimuli)	مثير، منبه
Stop	حبس ـ وقف
(see: Explosive; Plosive)	٢ ـ صوت آني؛ انفجاري

ارتكاز	Stress
ارتكاز ثانوي ـ ارتكاز وسيط	Secondary Stress
ارتكاز جملة	Sentence-Stress
ارتكاز قوي	Strong Stress
مقاطع قوية الارتكاز؛ مقاطع ارتكازية؛ مقاطع مرتكزة	Strong Stressed Syllables
ارتكاز ضعيف	Weak Stress
مقاطع ضعيفة الارتكاز مقاطع غير ارتكازية؛ مقاطع غير مرتكزة	Weak Stressed Syllables
ارتكاز كلمة	Word-Stress
بنية	Structure
بنية شكلية	Formal Structure
بنية سفلى	Infrastructure
بنية لغوية	Linguistic Structure
بنية اجتماعية	Social Structure
بنية صوتية	Sound Structure
بنية عليا	Superstructure
المعنى الخاص بالبنية	Structural Meaning
البنية المقطعية (= التركيب المقطعي)	Syllabic Structure
دراسة (علم) الأسلوب	Stylistics
مص أنظر «أصوات المصمصة (Clichs)	Suction
لاحقة (ج. لواحق)	Suffix
الفونيم المقطعي (= الجزئي) الأعلى	Supra-Segmental Phoreme

Syllable	مقطع ؛ ج: مقاطع
Syllabic	مقطعي
Symbol	رمز
Symbollic	رمزي
Non-Symbolic	غير رمزي
Symbols Of Symbols	رموز الرموز
Syntactic Syntactical; (see: Syntax)	نَظْمي
Syntactical Categories	الأقسام (= الفصائل) النظمية
Syntax	وظيفة نظمية
Synchronic (Synchronistics)	مستقر، حال الاستقرار
Synthesis	تركيب
Synthetic	تركيبي
System	نظام
Fuctional System	نظام وظيفي
Starred Form (see: Form)	شكل منجوم

(T)

Taboo	الكلام الحرام؛ الموضوع الحرام
Talking	التكلم، التحدث
Talking to one's Self	تحديث الإنسان نفسه؛ المونولوج
Teeth	الأسنان
Teeth Ridge (Alveoli)	مقدم الحنك (اللثة)
Upper Teeth	الأسنان العليا
Tense	زمن الفعل
Thought	فِكر

Tone	نغمة
Toneme	تونيم؛ التنغيم متخذاً وسيلة للتمييز بين المعاني؛ فونيم نغمي
Tongue	اللسان
Back of the Tongue	أقصى اللسان، مؤخر اللسان
Blade of the Tongue	طرف اللسان
Frontd of the Tongue	وسط اللسان
Root of the Tongue	أصل اللسان
Tip (Point) Of the Tongue	نهاية اللسان (ذلق اللسان، ذولق اللسان)
Transcription	كتابة، خط
Broad Transcription	كتابة صوتية واسعة، «أو عريضة» (كتابة صوتية مبنية على أساس «حرف واحد لفونيم واحد»)
Narrow Transcription	كتابة صوتية ضيقة (= تفصيلية) (كتابة صوتية تمثل برموز خاصة الأعضاء الفرعية للفونيمات)
Phonetic Transcription	الكتابة الصوتية
Transitory Sound	صوت انتقالي، مَعبرة مزلق (أنظر Glide)
Transmission	نقل

(U)

Unaspirated Plosive	صوت انفجاري مهموس غير نفسي
Unit	وحدة

Functional Unit	وحدة وظيفية
Unrounded	(صوت) مكسور؛ غير مضموم
Utterance	نطق
Mechanism of Utterance	آلية النطق
Unvoiced	صوت مقلل الجهر، غير مجهور
Uvula	اللهاة
Uvular	لهوي

(V)

Valuation	تقويم (تقييم)
Variable (Inflected)	متغير، متصرف
Velarization	إطباق
Velarized	(صوت) مطبق
velar	حنكي - قصي
Labio-Velar	شفوي حنكي - قصي
Velum	الحنك اللين، أقصى الحنك (أنظر Soft Palate)
Verbal	كلامي، لفظي
Verbal Action	حدث (نص) كلامي)
Non-Verbal Action	حدث غير كلامي
Verbal Image	صورة لفظية
Vibration	تذبذب، ذبذبة
Visible Speech (see: Speech⁰	
Vocal Cords (Chords); see: Cords	الوتران الصوتيان

تبادل الأصوات الصائتة	Vocalic Ablaut
١ ـ جهر،	Voice
٢ ـ الصوت الإنساني (= الحس)	Voice
آلة إثبات الجهر	Voice Indicator
صوت مهموس	Voiceless Sound
صوت مجهور	Voiced Sound
(صوت) صائت، ج. صائتة أو «صوائت» (أنظر الخلاف في ترجمتها إلى العربية	Vowel
تصنيف الصوائت	
(صوت) صائت انزلاقي	Vowel-Glide
(صوت) صائت خلفي	Back Vowel
(صوت) صائت مركزي أو وَسَطي	Central Vowel
(صوت) صائت وسطي (= مركزي) نصف (شبه) مفتوح	Central Half-Open Vowel
(صوت) صائت مركزي ضعيف	Weak Central Vowel
(صوت) صائت ضيق	Close Vowel
(صوت) صائت خلفي ضيق	Back Close Vowel
(صوت) صائت نصف، أو شبه، ضيق	Half-Close Vowel
(صوت) صائت أمامي	Front Vowel
(صوت) صائت أمامي ضيق	Front Close Vowel
(صوت) صائت أمامي نصف، أو شبه، مفتوح	Front Half-Open Vowel
(صوت) صائت طويل	Long-Vowel
(صوت) صائت منفتح، أو مفتوح	Open Vowel

(صوت) صائت خلفي نصفه أو شبه ، مفتوح	Back Open Vowel
(صوت) صائت منفتح أمامي	Front Open Vowel
(صوت) صائت نصف ، أو شبه ، مفتوح	Half-Open Vowel
صوت شبه صائت ، (نصف صائت)	Semi-Vowel
صائت مفرد	Single Vowel
اللاتينية العامية ، اللاتينية المبتذلة	Vulgar Latin

(W)

وشوشة	Whisper
القصبة الهوائية	Wind-Pipe
كلمة	Word
كلمة ملفوظة	Spoken Word
كلمة مكتوبة	Written Word

(X)

التصوير بأشعة إكس	X. Ray Photography

المـــرَاجع

١ - المراجــع الإنجليزيــة

1 — Abbott, Nabia:

The Rise of The North Arabiac Script and Its Kur'anic Development, With Full Description of the Kur'anic Manuscripts in the Oriental Institute.

Chicago, The University of Chicago Press, 1939.

2 — Abercrombie, David:

Waht is A letter?

"Lingua", vol. II, 1. August, pp. 54 — 63, 1949.

3 — AJP:

American Journol of Philolgy.

Baltimore, 1880 —.

4 — Allen, W.S.:

Pjonetics And Comparative Linguistics.

"Archivum Linguisticum, III, 2.

5 — Allen, W.S.:

On The Linguistic Study of Languages. An Inaugural Lecture delivered in The University of Cambridge On 8 March 1957.

Cambridge University Press, 1957.

6 — American Speech:

Baltimore, 1925 —.

7 — Armstrong, Lilas E.:

A Handbook of English Intonation.

W. Heffer & Sons Ltd., Cambridge, Second Edition Reprinted 1949.

8 — Barker, M. L.:

A Handbook of German Intonation.

Cambridge, 1925.

9 — Benveniste, Emile:

Animal Communication And Human Language — Language of The Bees.

Diogenes, Number 1. A quarterly Publication, Unesco.

10 — Bloch, Bernard:

Phonemic Overlapping.

American "Speech", No. 16, pp. 278 — 284, 1941.

11 — Bloch, Bernard:

Outline Of Linguistic Analysis.

Baltimore, Linguistic Society Of America, 1942.

12 — Bloch, Bernard:

A Set of Postulates For Phonemic Anlysis.

"Language", XXIV, pp. 3 — 36, 1948.

13 — Bridgman, P. W.:

The Intelligent Individual And Society.

14 — Bridman, P. W.:

Logic Of Modern Physics.

15 — Bloomfield, Leonard:

Language.

Copyright in U.S.A. 1933. Revised And First Published In Great Britain, 1935; Reprinted Lonon, George Allen And Unwin, 1950.

16 — Bodmer, Fredrick:

The Loom of Language.

New York, Lancelot Hogben, 1944.

17 — Bulletin Of The School of Oriental And African Studie: London, 1917 —.

18 — Buck, Carl Darling:

A Dictionary of Selected Synonyms In The Principal Indo-European Languages: A Contribution To The History of Ideas.

Chicago, University of Chicago Press XIX, 1949.

19 — Carroll, John B.:

The Study of Language: A Survey of Linguistics And Related Disciplines In America.

Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts (U. S.A.) 3rd Printing 1959. (1 st ed. 1953).

20 — Chase, Stuart:

The Tyranny of Words.

New York, Harcourt Brace, 1938.

21 — Coustenobl, Helene N. And Armstrong, Lilas E.: Studies In French Intonation.

W. Heffer & Sons ltd., Cambridge, First Edition, 1934.

22 — Diringer, David:

The Alphabet, A Key To The History of Mankind.

New York, Philosophical Library, 1948.

23 — Driver, G. R.:

Semitic Writing From Pictograph to Alphabet.

London, 1948.

24 — Firth, John Rupert:

Speech.

Benn; 1930.

25 — Firth, J. R.:

The Word' Phoneme.

"Le Maitre Phonetique", No. 46, 1934

26 — Firth, J. R.:

The Technique of Semantics

Transactions of The Philological Society of Great Britain, 1935.

27 — Firth, J. R.:

The Use And Distribution of Certain English Sounds.

"English Studies" XVII, 1 Februry 1935.

28 — Firth, J. R.:

The Tongues of Men.

Watts And Company, London, 1937.

29 — Firth, J. R.:

The Semantics of Linguistic Science.

"Lingua", Volume I, 4 Sept. 1948.

30 — Firth, J.R.:

Sounds And Prcsdoies.

Transactions of The Philogical Society of Great Britain, 1948.

31 — Firth, J.R.:

The Technique of Semantics.

"Lingua", Volume 1, 4. Sept, 1948.

32 — Firth, J.R.:

Word-Palatograms And Articulation.

Bulletin of the School of Oriental And African Studies, (University of London) XII, 3 — 4, 1949.

33 — Firth, J.R.:

Improved Techniques in Palatography.

Bulletin of the School of Oriental & African Studies, XIII, 3, 1956.

34 — Firth, J. R.:

Personality And Language In Society.

The Sociological Review (Journal of the Institute of Sociology, Ledbury, Hereforshire, England) Vol XLII, Section Two, 195.

35 — General Linguistics And Descriptive Grammar.

Transactions of The Philogical Society of Great Britains, 1951.

(Republished In. Firth, J. R.: Papers In Linguistics, pp.

216 — 228).

36 — Firth, J. R.:

Transactions of The Philological Society of Great Britain pp. 83 — 103, 1955.

37 — Firth, J.R.:

(Professor Emeritus of General Linguistics, University of London).

Papers In Linguistics 1934 — 1951.

London, Oxford University Press, New York, Toronto, 1957.

38 — Fries, Charles C.:

The Structure Of English An: Introduction To The Study Of English Sentences.

New York, Hacourt, Brace, 1952.

39 — Gairdner, W. H. T.:

The Phonetics of Arabic. A Phonetic Inquiry And Practical Manual For The Pronunciation of Classical Arabic And of One Colloquial (The Egyptian)

London, 1925.

40 — Gardiner, A H:

The Theory of Speech and Language.

Oxford, Clarendon Press, 1932.

41 — Harrell, Richard S.

The Phonology Of Colloquial Egyptian Arabic. American Council of Learned Societies — Program in Oriental Langages — Publications

Series B — Aids — Number 9.
New York, 1957.
42 — Harris, Zellig:
From Morpheme To Utterance.
"Language", 22, pp. 161 — 183.
Readings in Linguistics, pp. 142 — 153.
43 — Harris, Zellig S.:
Morpheme Alternants In Linguistic Analysis.
"Language", 18, pp. 169 — 180.
(Readings In Linguistics pp. 109 — 115).
44 — Harris, Zellig S.:
Methods In structural Linguistics.
Chicago, University of Chicago Press, 1951.
45 — Hockett, Charles F.:
A System of Descriptive Phonology.
"Language", No. 18, pp. 3 — 21, 1942.
46 — Hocktt, Charles R:
A Manual of Phonology.
International Journal of American Linguistics, XXI, 1955.
47 — Hockett C. F.:
A Course In Modern Linguistics.
New York, 1958.
48 — Hoenigswald, Henry M.:
The Principal Step In Comparative Grammar.

"Lingua" 26, pp. 357 — 364, 1950.

Republished In: Martin. Joos; Readings In Linguistics.pp. 298 — 302.

49 — Hudson — William, T.:

A Short Introduction to The Study of Comparative Grammar (Indo — European).

Cardiff, The University of wales Press Board, 1935.

50 — I J A L:

International Journal of American Linguistics, New York, 1917 —.

51 — International Phonetic Association:

The Principles of The International Phonetic Association

London, 1949.

52 — Iordan, lorgu:

An Introduction To Romance Linguistics, Its Schools And Scholars.

Revised, Translated And in Parts Recast by John Orr, London, Methuen, 1937.

53 — J A O S:

Journal of The American Oriental Society.

New York (now New Haven) 1850 —.

54 — Jspersen, Otto:

Novial Lexike (International Dictionry).

Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, Paris, 1930.

55 — Jespersen, Otto:

The System of Grammar.

56 — Jespersen, Otto:

How to Teach A Foreign Language.

Tranlated from The Danish. Original By Sophia Yhlen Olsen Bertelsen. First Published London 1904, Reprinted... 1908... etc 1947. George Allen & Unwn

57 — Jespersen, Otto:

A Modern English Grammar On Historical Principles. Heidel-berg, 1909 —.

58 — Jespersen, Otto:

growth An Structure of The Language.

Basil Blakwell, Oxford, 1948

59 — Jespersen, Otto:

Essentials Of English Grammar.

First Published, 1933.

Seventh Impression, 1948.

London, George Allen & Unwin Ltd.

60 — Jespersen, Otto:

Progress In Language.

London, 1894.

61 — Jespersen, Otto:

The Philosophy Of Grammar.

London, George Allen and Unwin Ltd., Reprinted 1948 (First

Published in 1924).

62 —Jespersen, Otto:

Mankind, Nation And Individual from a Linguistic Point of Vew.

London, 1946. (Oslo 1925).

63 — Jespersen, Otto:

Language: Its Nature, Development And Origin.

London, George Allen And Ltd., (1 st Published 1922). Reprinted 1947.

64 — Jones, Daniel:

An Outline of English Phonetics.

Sixth Edition, Heffer, Cambridge, 1947.

65 — Jones, Daniel

Chronemes, And Tonemes

Acta L'nguistica.

76 Joos, Dartin:

Acoustic Phonetics.

"Language Monographs" No. 23, 1948.

68 — Joos, Martin:

Editor of:

Readings In Linguistics: The development of Descriptive Linguistics in America Since 1925.

Second Edition, Edited for the Committee on Language Programs.

American Council of Learned Societies, New York, 1954

(Lithographed in the U.S.A.by The Art Litho Company, Baltimore, Maryland).

69 — Korzybski, Alfred:

Science And Sanity; An Introduction To Non - Aristotilian Systems And General Semantics.

Lancaster, Science Press, 1933.

70 — Lee, Irving:

Language Habits In Human Affairs, An Introduction To General Semantics.

New York, Haper, 1941.

71 — Lewis, M.M.:

Language In Society.

London, Nelson, 1947.

72 — Lg:

Language: Journal Of The Linguistic Society of America.

Baltimore. 1925 — .

73 — Mac Carthy, Peter A. D.:

English Pronunciation, A Pratical Handbook for the Foreign Learner.

Third edition, Heffer, Cambridge, 1947.

74 — Malinowski, Bronislaw:

The Problem of Meaning In Primitive Languages.

(Supplement I, pp. 296 — 336 In Ogden And Richards): The Meaning of Meuing, (1 st ed., 1923).

Tenth ed., Routledge and Kegan Paul Ltd., London, 1949.

75 — Malinowski, Bronislaw:

Coral Gardens And Their Magic: A Study of The Methods Of Tilling The Soil And Of Agricultural Rites In The Trobriand Islanders. 2 Vol.

London, George Allen & Unwin, 1935.

76 — Mandelbaum, David G. (Editor):

Selected Writings of Edward Sapir In Language, Culture, And Personality.

Berkeley And Los Angeles, University Of California Press, 1949.

77 — Mitchell, T.F.:

The Active Participle An Arabic Dialect of Cyrenaica.

Bulletin of The School of Oriental and African Studies (University of London), XIV, Part 1. 1952.

78 — Mitchell, T. F.:

An Introduction to Egyptian Colloquial Arabic.

Geoffry Cumberlege, Oxford University Press, London New York, Toronto, Oxford University Press, Amen House, Lonon 1056.

79 — Mitchell, T. F.

The Language of Buying and Selling in Cyrenaica;

A Situational Statement.

Hesperis: Archives Berberes et Bulletin de L'institut des Hautes Etudes Marocaines, Annee 1957.

Paris, 1957.

80 — Mitchell, T. F.

Syntagmatic Relations in Linguistic Analysis.

Transasctions of the Philogical Society of Great Britain, pd. 101 — 118, 1958.

81 — Mitchell, T. F.

Prominence and Syllabication in Arabic.

Bulletin of the School of Oriental and African Studies Vol. XXIII, Par. 2, 1960.

82 — Mitchell, T. F.:

(Reader in Linguistics, School of Oriental and African Studies, University of London).

Colloquial Arabic, The Living Language of Egypt.

(The Teach Yourself Books)

The English Univirsities Press Ltd. London, First Printed 1962.

83 — Modern Philology.

Chicago, 1903 —.

84 — Morris, Charles W.:

Signs, Language, And Behabior.

New York, Prentice Hall, 1946.

85 — Moritz, B.

Arabic Palaeography.

Cairo, 1905.

86 — Nida, Eugene A.:

Morphology: The Descriptive Analysis of Words.

Ann Arbor, University of Michigan Press, 1946.

87 — Ogden, Charles K. And Richards, Ivor:

The Meaning of Meaning.

London, 1923.

Ist ed London 1923. Tenth ed London, Routledge and Kegan Paul Ltd., 1949.

88 — Paget, R.

Human Speech.

London, 1930.

89 — Palmer, F.R.

Linguistics Hierarchy.

"Lingua", VII, pp. 225 — 241, 1958.

90 — Palmer, Harold E.

The Principles of Language Study London 1921.

91 — Palmer, Harold E.

A First Course In English Phonetics Cambridge, 1922.

92 — Palmer, Harold E.

English Intonation

Cambridge, 1922.

93 — Palmer, Harold E.

A Grammar Of Spoken English.

Cambridge, 1924.

94 — Palmer, Harold E.

The Scientific Study And Teaching Of Languages Yonkers-on-

Hudson; World Book Co.

95 — Palmer, Harold E.,; Martin, J.V.; Blandford M. A.:

A Dictionary Of English Pronunciation with American Variants.

Cambridge, 1926.

96 — Paul, Hermann:

Principles Of The History of Language.

Translated from German By H. A. Strong, 2 ed.

New York, Macmillan, 1889.

97 — Pedersen, H.

Linguistic Science In The Nineteenth Century.

English Translation By J. Spargo.

Cambridge, Harvard University Press, U. S. A. 1931.

98 — Pei, Mario

(Prof. In Columbia University).

The Story of Language.

J. B. Lippincott Company, Publishers, Philadelphia.

99 — Pickthall, Mohammed Marmaduke.

The Meaning of The Glorious Koran: An Explanatory Translation.

Published as a "Mentor Book" New York, U.S.A., 1953.

100 — Pike, Kenneth L.

Phonetics, A Critical Analysis of Phonetic Theory and A Technic For the Practical Description of Sounds.

Ann Arbor, London, 1944.

101 — Pikes Kennth L.

The Intonation Of English.

Ann Arbor: University of Michigan Press, 1946.

102 — Pike, Kennth L.

Phonemics, A Technique for Reducing Languages to Writing.

University of Michigan Publications, Linguistics Volume III. Ann Arbor, University Of Michigan Press, 1947 (Second Printing, 1949).

103 — PMLA:

Publications Of The Modern Language Association Of America.

Baltimore (now Menasha, Wis.), 1886 —.

104 — Publications of The English Dialect Society.

London, 1873 — .

105 — Read, Allen Walker:

An Account of The Word "Semantics".

"Word", 4: pp. 78 — 97.

106 — Reiss, Samuel:

The Rise Of Words And Their Meanings.

New York, Philosophical Library, 1950.

107 — Ripman, Walter:

English Phonetics And Specimens of English.

London, 1933.

108 — Robert, Hall A. (Jr.).

The Reconstruction of Proto - Romance.

"Language", 26, pp. 6 — 7, 1950.

Republished In Martin Joos: Readings In Linguistics, pp. 303, 314.

109 — Robins, R. H.

The Objectives Of Formal Grammar.

"Indian Linguistics", Turner Jubilee, Vol. I, pp. 22-30, 1958.

110 — Robins, R. H.

Some Considerations On The Status Of Grammar In Linguistics.

"Archivum Linguisticum", Vol II, Fasc. 2, pp. 91 — 114.

111 — El Saaran, Mahmoud:

A Critical Study of The Phonetic Observations of The Arab Grammarians.

Ph. D. Thesis, London University, S. O.A.S., 1951.

Typescript, (Library of S.O.A.S. Library of The Faculty of Arts, Alexandria University).

112 — Sapir, Edward:

Language, An Introduction To The Study of Speech.

New York, Harcourt, Brace And Company, 1921.

113 — Schlauch, Margaret:

(Professor of English, New York University), The Gift of Tongues.

(Copyright In The U.S.A. First Published in Great Britain 1943).

Third Impression, 1949.

London, George Allen & Unwin Ltd.

114 — Sommerfelt, ALf:

Recent Trends In General Linguistics.

"Diogenes" Number 1, English Edition, A quarterly Publication of The International Council for Philosophy and Humanistic Studies, Unesco.

115 —Sturtevant, Edgar H:

An Introduction To Linguistic Science.

New Haven, Yale University Press (U.S.A.) 1947.

116 —Swadesh, Morris:

The Phonemic Principle.

"Language" No. 10, pp. 117 — 129. 1934.

117 — TAPA:

Transactions Of The American Philological Association.

Hartford, Conn. (now Middletown, Conn.), 1871 —.

118 — The Modern Language Review:

Cambridge, 1906 — .

119 — The Quarterly Journal Of Speech:

Chicago, 1915 —.

120 — Thurman, Arnold:

The Folklore of Capitalism.

121 — Trager, George L. & Smith, Henry Lee.:

Outline Of English Structure.

Norman, Okla, Battenburg Press, 1951.

122 — Troubetzkoy, N. S.

Principes De Phonoilogie.

Traduit de l'allemand Par J. Cantineau.

Librairie C. Klincksieck, Paric, 1949.

123 — Twaddell, Freeman W.

on Defining The Phoneme.

"Language" Monograph No. 16,1935.

124 — Uldall, H.J.

Speech And Writing.

Acta Linguistica.

125 — Ullmann, Stephan:

Words And Their Use.

New York, Philosophical Library, 1951.

126 — Ullmann, Stephan.

The Principles Of Semantics.

Glasgow, Glasgow University Publications, No. 48, 1951.

127 — Varma, Studies In The Phonetics Observations of The Indian Grammarians.

The Royal Asiatic Society; London, 1929. Printed By Billing And Sons Ltd, Guildford And Esher.

128 — Vollers, K.

The System of Arabic Sounds As Based upon Sibaweihi and Ibn Yaish.

Transactions Of the Ninth International Congress of Orientalists, Vol. II, pp. 130 — 154, London, 1893.

129 — Ward, Ida And Westermann.

Practical Phonetics for African Languages.
130 — Ward'Ida C.:
The Phonetics Of English.
Fourth edition reprinted, Heffer, Cambridge, 1948.
131 — Weiss, Albert Paul:
Linguistics And Psychology.
"Language" I, pp. 29 — 57; 1925.
132 — Weiss, Albert Paul:
A Theoretical Basis of Human Behaviour.
Columbus, Ohio, Adams, 1929.
133 — Whatmough, Joshua:
(Professor of Comparative Philology In Harvard University).
Language: A Modern Synthesis.
A Mentor Book Published By The New American Library Of World Literature, Inc., New York. First Printing 1957.
134 — Whitney, William Dwght:
The Atharva-Veda Praticakhya (Translated from Sanskrit).
Journal of the American Oriental Society, Vol. VII, article VIII, pp. 33 — 615, 1862.
135 — Whitney, W. Dwight.
Translations of The Sanskrit: Rik Veda Pratikhya; Atharva-Veda Praticakhya; Taittiriya-Praticakhya:
Journal of American Oriental Studies, 1862 Vol. VII airticle VIII pp. 333 — 615. And 1871 Vol. Ix, pp. 1 — 469.

136 — Whitney. William Dwight:

The Taittiriya - Praticakhya, With Its Commentary, The Tribhasyaraina: Text, translation, And Notes.

Journal of The Oriental American Sociery, Vol. IX, pp. 1 — 469, 1871.

٢ ـ المراجع الفرنسية

1 — Arend, Z. M,(*):

Baudouin de Conrtenay and the Phoneme Idea.

"Le Maitre Phonetique", January, 1934.

2 — BSL:

Bulletin De la Societe De Linguistique De Paris.

Paris, 1869 — .

3 — Breal, Michel:

Essai de Semantique.

3eme edition 1897.

(Tranalated into English by Mrs.

H. Cust Under the title "Semantics", London, 1900).

4eme edition, Paris, 1908.

4 — Brockelman:

Precis de Linguistque Semetique.

Traduit Par W. Marcais & Marcel Cohen.

5 — Brunschvicg, Leon:

Héritage De Mots Héritage D'Idées

(*) هذا المرجع الأنجليزي وضع هنا خطأ.

(Bibliotheque De Philosophie Contemporaine Fondee Par Felix Alcan).

Presses Universitaires De Frances, Paris; 1950.

6 — Burney, Bierre:

L'orthographe (Que-Sais-Je? 685).

Presses Universitaires De France; Paris. 1955.

7 — Cantineau, J.

Le Dialecte Arabe De Palmyre.

Tome I: Grammaire (Memoirs De L:Institut Francai De Damas). Beyrouth, 1934.

8 — Cantineau, J.:

Esquisse d'une Phonologi de l'Arabe Classique.

Bulletin de la Societe Lienguistique de Paris.

9 — Chauchard, Paul:

Le Langage Et La Pensee.

(Que-Sais-Je? 608) Presses Unixersitaires De France Paris, 1956.

10 — Comite International Permanent des Linguistes.:

Bibliographie Linguistiques Des Annees 1939 — 1947; 2 Vol. Utrecht And Brussels, 1949 — 1950.

11 — Dauzat, Albert.

La Geographie Linguistique.

Paris, Ernest Flammarion, Editeur, (Copyright 1922).

12 — Dauzat, Albert.

Les Noms De Persomnes.

Paris, 1925.

13 — Dauzat, Albert.

Les Noms de Lieux: Origine Et Evolution.

Librairie Delgrave, (Copyright 1926. 1937)

14 — Duazat. Albert.

Les Patois

Evolution; Classification Etude.

Paris, 1927.

Dixieme edition Remise Au Pint.

Paris, Librairie Delgrave, 1938.

15 — Dauzat, Albert.

La Vie Du Langage.

Evolutions Des Sons Et Des Mots-Phenomenes Psychologiques-Phenomenes Sociaux - Influences Litteraires.

Quatrieme Edition Librairie Armand Colin, Parix 1929.

16 — Dauzat, Albert:

Les Argots: Caracteres; Evolution; Influence.

Paris. Librairie Delgrave, 1929.

17 — Dauzat; Albert:

Histoire De La Langue Francaise.

Paris, 1930.

18 — Dauzat, Albert:

La Philosophie du Langage.

Nouvelle Edition Revue Et Corrigee.

Ernest Flammarion, Editeur, Pari, 1932.

19 — De Saussure, Ferdinand:

Cours De Linguistique Generale.

Quatrieme edition, Payot, 1949.

20 — Feghali, Michel:

Syntaxe des Parlers Arabes Actuels Du Liban.

(Bibliotheque De L:Ecole Des Langues Orientales Vivantes).

Paris, Imprimerie Nationale - Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1928.

21 — Fouche, Pierre:

Etat Actuel du Phonetisme Francais.

22 — Garde, Edouard:

La Voix

Que-Sais-Je? 627 Presses Universitaires De Paris.

Paris, 1954.

23 — Gillieron, J. Et Roques, M.

Etudes de Geographie Linguistique

Paris, 1912.

24 — Grammont, Maurice.

(Traite de Phonetique.

2eme ed. Paris, 1939.

25 — Guillaume, Gustave:

Temps Et Verbe: Theorie Des Aspects, Des Modes Et Des Temps.

Collection Linguistique Publiee par la Societe D.

Linguistique De Paris-XXVII.

Paris, Librairie Ancienne Honore Champion, Editeur

Edouard Champion, 1929.

26 — Guiraud, Pierre:

La Stylistique

Que-Sais-Je? 646.

Presses Universitaires De Paris, Paris, 1954.

27 — Higounet. Charles:

L'Ecriture.

Que-Sais- Je? 653.

Presses Universitaires De Paris, Paris, 1955.

28 — Hjelmslev, Louis.

Principes de Grammaire Generale.

Copenhagen, 1928.

29 — Jaberg, Karl:

8Professeur A L:Universite De Berne°)

Aspects Geographiques Du Langage (Aspects Geographiques Du Langage (Avec 19 Cartes) Conferences Faites Au College De France, Decembre 1933.

(Societe De Publications Romanes Et Francaises XVIII Paris, Librairie E. Droz, 1936.

30 — Jackobson, Roman:

Theorie Des Affinites Phonologiques Entre Les Langues. PP.

351 — 365, Troubetzkoy: Principes De Phonologie.

31 — Malmberg, Bertil.

La Phonetique

(Que-Sais- je? 637)

Presses Universitaires De France, Paris, 1954.

32 — Marcais,

Le Dialecte Arabe Parle A Tlemcen.

Grammaire, Textes Et Glossaire.

Publication, De L:ecole Des Lettres D:Alger-Bulletin

De Correspondence Africaine, Tome XXVI.

Paris, Ernest Leroux, Editeur, 1902.

33 — Martinet, Andre:

Au Sujet des Fondements de La Theorie Linguistique de Louis Hjelmslev.

Bulletin de la Societe de Linguistique de Paris, 42: 19 — 42 (Fascuile I, No. 124). 1946.

34 — Marouzeau, J.:

Lexique de la Terminologie Linguistique Francais, Allemand, Anglais.

Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1943.

35 — Marouzeau, J.:

Linguistique Ou Science Du Langage.

Paris, Librairie Orientaliste, Paul Geuthner.

36 — Meillet, Antoine.

Les Dialectes Indo - Europeens.

Collection Linguistique Publiee Par La Socite De Linguistique De Paris, 2, 2eme edition, Paris, 1922.

37 — Meillet, Antoine, Et Cohen M;

Les Langues Du monde.

Collection Linguistique Publiee Par La Societe De Linguistique de Paris, 16. Paris, 1924.

38 — Meillet, Antoine.

Le Slave Commu.

Collection de Manuels Publiee par l:Institut d:etudes Slaves, 2, Paris, 1924.

39 — Meillet, Antoine.

La Methode Comparative En Linguistique Historique. Oslo, 1925.

40 — Meillet, Antoine:

Introduction a L'etude Comparative Des Langues Indo-Europeennes.

3eme ed Paris, 1912.

41 — Meillet, Antoine.

Linguistique Historiques Et Linguistique Generale.

Collection Linguistique Publiee par la Societ de linguistique de Paris, VIII.

Paris, Librairie Ancienne Honore Champion, Editeur Edouard Champion, 1948.

42 — Pei, Mario:

Histoire du Langage:

Les Origines du langage — Les Elements Constitutifs du langage — Les Diverses Fonctions Sociales du Langages Les Langues du Monde — La Langue Internationale Traduction du Max Gubler Payot, Paris, 1954.

43 — Perrot, Jean.

La Linguistique

(Que-Sais-Je? 570) 1ere edition, Presses Universitaires De Grance, Paris 1953.

44 — R P:

Revue de Phonetique: Paris, 1911.

45 — Rousselot, p.

Principes de Phonetique Experimentale.

Paris, 1897 — 1909.

46 — Schrijnen, Jos.:

Essai de bibliographie de geographie linguistique generale.

(Comite International Permanent de Linguistes).

Nimegue, 1933.

47 — Vendryes, J.:

Le Langage: Introduction Linguistique A l'Histoire.

Editions Albin Michel, 22 Rue Huyghens, Paris XIVe, Imprimerie Bussiere a Siant-Amard (Cher) France 1/ 9/ 1950.

(1 ere Edition. 1923).

48 — Wartburg, W.V.

Evolution Et Structure de La Langue Francaise.

Troisieme Edition. Revue Et Augmentee.

Editions A. Francke S. A., Berne, 1946.

٣ ـ المراجع العربية

١ ـ **إبراهيم أنيس (دكتور) : الأصوات اللغوية .**

نشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة (سنة الطبع غير مذكورة . الأرجح أنه صدر سنة ١٩٤٧) .

٢ ـ **إبراهيم أنيس (دكتور) : من أسرار اللغة .**

نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة سنة ١٩٥١ .

٣ ـ **إبراهيم أنيس (دكتور) : موسيقى الشعر.**

القاهرة

٤ ـ **إبراهيم أنيس (دكتور) : اللهجات العربية .**

نشر دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ، (سنة الطبع غير مذكورة) . طبعة لجنة البيان العربي طبعة ثانية سنة ١٩٥٢ .

٥ ـ **إبراهيم أنيس (دكتور) : دلالة الألفاظ.**

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ .

٦ ـ **إبراهيم بيومي مدكور (دكتور)، منطق أرسطو والنحو العربي**

بحث ألقي في مؤتمر المجمع اللغوي المصري سنة ١٩٤٨ .

٧ ـ **إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية .**
سلسلة اقرأرقم ٥٣ إبريل سنة ١٩٤٧ دار المعارف مصر .
٨ ـ **إبراهيم مصطفى : إحياء النحو.**
الطبعة الأولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٧ ، طبعة تالية بنفس المطبعة ١٩٥١ .
٩ ـ **إبراهيم مصطفى : أول من وضع النحو**
مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول المجلد العاشر، القسم الثاني ديسمبر ١٩٤٨ .
١٠ ـ **إبراهيم محمد نجا : فقه اللغة العربية**
القاهرة ، دار النيل للطباعة ، ١٩٥٧
١١ ـ **إبراهيم اليازجي : لغة الجرائد .**
القاهرة ، مطبعة المعارف ١٣١٩ هـ .
١٢ ـ **ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد (ولد سنة ٥١٢ هـ وتوفي ٥٧٧ هـ) : أسرار العربية**
ليدن ـ طبع بريل ١٣٠٣ هـ ـ ١٨٨٦م
١٣ ـ **ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين .**
نشر جوتولد فيل Gotthold Weil ، ليدن ١٩١٣ .
وظهرت له طبعة عربية بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، جزءان في مجلد، عني بنشره محمود توفيق الكبتي بشارع جوهر القائد (السكة الجديدة) بمصر الطبعة الأولى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
١٤ ـ **ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد : نزهة الألباء في طبقات الأدباء**

قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي (ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره) مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩.

١٥ ـ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (المتوفي سنة ٨٣٣): **غاية النهاية في طبقات القراء.**

عني بنشره ج. برجشتراسر G. Bergstrasser طبع لأول مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجي بمصر، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، القاهرة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م.

١٦ ـ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: **النشر في القراءات العشر**

أشرف على تصحيحه ومراجعته فضيلة الأستاذ محمد الضباع شيخ عموم المقاريء بالديار المصرية، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة مصطفى محمد بمصر (سنة الطبع غير مذكورة) وثمة طبعة أخرى في دمشق سنة ١٣٤٥ هـ.

١٧ ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**

بتحقيق الأستاذ محمد علي النجار؛ ثلاثة أجزاء في ثلاثة مجلدات طبع دار الكتب المصرية. الجزء الأول ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م، الجزء الثاني ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م، الجزء الثالث ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م.

١٨ ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الاعراب**

بتحقيق لجنة من الأساتذة: مصطفى السقا، محمد الزفزاف، إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين نشر إدارة الثقافة العامة بوزارة المعارف العمومية (إدارة إحياء التراث القديم). ملتزم الطبع والنشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. جزءان الجزء الأول الطبعة الأولى. شهر محرم ١٣٧٤ هـ ـ سبتمبر ١٩٥٤.

١٩ ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان: **المنصف**

شرح ابن جني لكتاب «التصريف» لأبي عثمان المازني النحوي البصري بتحقيق الأستاذين إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين. إدارة الثقافة العامة بوزارة المعارف العمومية (إدارة إحياء التراث القديم). ملتزم الطبع والنشر مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر جزءان. الطبعة الأولى أغسطس ١٩٥٤.

٢٠ ـ **ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون**

وهو الجزء الأول من: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. المكتبة التجارية الكبرى ومطبعتها بمصر.

٢١ ـ **ابن سنان الخفاجي، الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد. سر الفصاحة.**

بتحقيق الأستاذ علي فوده من علماء الأزهر. الطبعة الأولى على نفقة مكتبة الخانجي بمصر المطبعة الرحمانية ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢ م.

٢٢ ـ **ابن سيدة: المخصص**

المطبعة الأميرية، القاهرة.

٢٣ ـ **ابن سيدة: المحكم في اللغة**

المطبعة الأميرية، القاهرة

٢٤ ـ **ابن سينا، أبو علي الحسين: أسباب حدوث الحروف**

نسخة وصححه ووقف على طبعه محب الدين الخطيب (منقول بالفطوغراف عن نسخة المتحف البريطاني رقم ١٦٦٥٩ ومعارض بنسخة الخزانة التيمورية مجموعة رقم ٢٠٠). القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبهما محب الدين الخطيب ١٣٥٢ هـ.

٢٥ ـ **ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (المتوفي ٢٦٥ هـ):**

معجم مقاييس اللغة

بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون . ملتزم الطبع والنشر، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الجزء الأول ١٣٦٦ هـ، الثاني ١٣٦٧ هـ، الثالث هـ، الرابع ١٣٦٩ ٥ . .

٢٦ ـ **ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا :**

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .

٢٧ ـ **ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة**

٢٨ ـ **ابن مضاء القرطبي، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد :**

الرد على النحاة

نشره وحققه الدكتور شوقي ضيف الطبعة الأولى دار الفكر العربي القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م .

٢٩ ـ **ابن النديم، محمد بن إسحاق : الفهرست**

نشر جوستاف فلوجل : Gustav Flugel ليبزج ١٨٧١ .

ومن طبعاته العربية . نشر المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة ١٣٤٨ هـ.

٣٠ ـ **ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري :**

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب

حققه وفصله وضبط غرائبه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ جزءان القاهرة .

٣١ ـ **ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين بن يعيش بن علي :**

شرح المفصل للزمخشري

نشر وتحقيق الأستاذ ج . يان G. J han ليبزج سنة ١٨٨٢ .

وله طبعة مصرية في عشرة أجزاء ، قام على ضبطها وتصحيحها جماعة من علماء الأزهر بأمر مشيخة الجامع الأجزهر ـ عشرة أجزاء ـ إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة .

٣٢ ـ أبو حيان التوحيدي : **المقابسات**
تحقيق وشرح الأستاذ حسن السندوبي القاهرة المطبعة الرحمانية ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٧ م.
٣٣ ـ أبو حيان التوحيدي : **الإمتاع والمؤانسة**
صححه وضبطه وشرح غريبه الأستاذ أحمد أمين، والأستاذ أحمد الزين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الاول ١٩٣٩، والثاني ١٩٤٢.
٣٤ ـ أبو هلال العسكري : **الفروق اللغوية**
٣٥ ـ أحمد أمين : **ضحى الإسلام**
ثلاثة أجزاء في ثلاثة مجلدات، الجزء الثاني في نشأة العلوم في العصر العباسي.
القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦، وطبع طبعات تالية.
٣٦ ـ أحمد أمين : **ظهر الإسلام**
أربعة أجزاء في ٤ مجلدات القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الأول ١٩٤٥
٣٧ ـ أحمد تيمور: **تصحيح لسان العرب**
القاهرة، المطبعة السلفية ١٣٢٣ هـ
٣٨ ـ أحمد تيمور: **أسرار العربية**
القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي ١٩٥٤
٣٩ ـ أحمد تيمور: **السماع والقياس**
القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي ١٩٥٥
٤٠ ـ أحمد رضا العاملي : **مولد اللغة**
بيروت، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٦.

٤١ ـ أحمد عيسى : المحكم في أصول الكلمات العامية
القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٩ م
٤٢ ـ أحمد محمد شاكر : الشرع واللغة
القاهرة، مطبعة المعارف ١٩٤٤ .
٤٣ ـ الأزهري : تهذيب اللغة
Le Monde Oriental; Vol. XIV pp. 1 — 106, 1920.
٤٤ ـ إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية
القاهرة، مطبعة الاعتماد ١٩٢٩ .
٤٥ ـ أمين آل ناصر الدين : دقائق العربية
الطبعة الأولى بيروت محمد سعيد مسعد ١٩٥٣ .
٤٦ ـ أمين الخولي : فن القول
القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٧ .
٤٧ ـ أمين الخولي : محاضرات عن مشكلاتنا اللغوية
القاهرة ـ جامعة الدول العربية ـ معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٨ .
٤٨ ـ أنستاس ماري الكرملي (الأب) :
أغلاط اللغويين الأقدمين .
بغداد، طبعة الأيتام، ١٩٣٣ .
٤٩ ـ إنو ليتمان E. Littmann : بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي
مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، المجلد العاشر، القسم الأول، مايو ١٩٤٨ .
٥٠ ـ أنيس فريحة (دكتور) : محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها
ألقاها الدكتور أنيس فريحة على قسم الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية ١٩٥٥ مطبعة الرسالة القاهرة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

٥١ ـ **أنيس فريحة (دكتور): نحو عربية ميسرة**
بيروت، دار للثقافة ببيروت ١٩٥٥.
٥٢ ـ **الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب القاسم البصري المتوفي سنة ٣٣٨ هـ):**
إعجاز القرآن
شرح وتعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م
٥٣ ـ **تمام حسان (دكتور): مناهج البحث في اللغة**
ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مطبعة الرسالة ١٩٥٥
٥٤ ـ **تمام حسان (دكتور): اللغة في المجتمع**
وهو ترجمة كتاب Language In Society تأليف م. م. لويس M.M. Lewis راجع الترجمة الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس ـ القاهرة. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩
٥٥ ـ **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وسر العربية**
نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م وله طبعة أحدث
٥٦ ـ **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين.**
ثلاثة أجزاء في ثلاثة مجلدات بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون. الطبعة الأولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. الجزء الاول ١٣٦٧ هـ. ١٩٤٨ م الجزء الثاني ١٣٦٧ هـ. ١٩٤٨م، الجزء الثالث ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م.
٥٧ ـ **جان بياجيه: اللغة والفكر عند الطفل.**
ترجمة الأستاذ الدكتور أحمد عزت راجح، ومراجعه الأستاذ أمين

مرسي قنديل ملتزم الطبعة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الاولى ١٩٥٤.

٥٨ ـ جبر ضومط (أستاذ اللغة العربية وآدابها سابقاً في جامعة بيروت الأميركانية):

فلسفة اللغة العربية وتطورها

(مقالات في تاريخ اللغة العربية، ونهضة الأقوام المتكلمين بها، وفلسفة نشوئها وتطورها ووسائل ترقيتها ـ نشرت في مجلتي المقتطف والهلال بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٢٨) طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر، ١٩٢٩.

٥٩ ـ جرجي زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية.

في بيروت سنة ١٨٦٦. طبع طبعة ثانية بها تعديلات وإضافات سنة ١٩٠٤، ثم طبع طبعة ثالثة دون تغيير سنة ١٩٢٣. ومنذ سنوات طبع طبعة جديدة «مراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل» أستاذ اللغات السامية بجامعة القاهرة ـ طبع بمطابع دار الهلال. (سنة الطبع غير مذكورة).

٦٠ ـ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد،

المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم

تحقيق الأستاذ أحمد شاكر، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية.

٦١ ـ جوتلف برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية

القاهرة ١٩٢٩

٦٢ ـ حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

مطبعة الأستانة ١٩٤٧.

٦٣ ـ حسن عون (دكتور)، اللغة والنحو.

الطبعة الأولى مطبعة رويال بالاسكندرية سنة ١٩٥٢.

٦٤ ـ **حسين خضر (مفتش الإلقاء والتمثيل بوزارة المعارف) : علاج الكلام**
سنة الطبع غير مذكورة والأرجح أنها ١٩٥٢ . الناشر مكتبة الصباح بالفجالة م . خلف وولده بمصر.

٦٥ ـ **حفني ناصف : مميزات لغات العرب، وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها، وفائدة علم التاريخ من ذلك**
القاهرة، المطبعة الأميرية ١٣٠٤ هـ.

٦٦ ـ **حمزة فتح الله : المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية**
الجزء الثاني القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٠٨ .

٦٧ ـ **الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم : بيان إعجاز القرآن**
رسالة منشورة ضمن : «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي» . حققها وعلق عليها الأستاذ محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام . نشر دار دار المعارف بمصر (سلسلة «ذخائر العرب» رقم ١٦) سنة الطبع غير مذكورة والأرجح أنها بعد عام ١٩٥٥ .

٦٨ ـ **خليل يحيى نامي (دكتور) :**
نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها .
القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٤٣ .

٦٩ ـ **الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب : مفاتيح العلوم**
نشر ج . فان فلوتن G. Van Vloten ، بريل Brill ، ١٨٩٥ .

٧٠ ـ **الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد : التيسير في القراءات السبع**
نشر أوتو برتسل otto Pretzl ، ليبزج . ط. استنبول ١٩٣٠ .

٧١ ـ **الداني، أبو عمرو وعثمان بن سعيد : المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط.**

نشر أوتو برتسل otto Pretzl ، ليبزج ، طبع استنبول ١٩٣٢ .
٧٢ ـ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الأموي المعروف بابن الصيرفي، المقريء : المحكم في نقط المصاحف
عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الاقليم السوري ١٩٦٠ .
٧٣ ـ رضى الدين الاستراباذي (المتوفي عام ٦٨٨ هـ) : شرح شافية ابن الحاجب
مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (المتوفي عام ١٠٩٣ هـ) حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما الأساتذة محمد نور الحسن، محمد محيى الدين عبد الحميد، محمد الزفزاف. أربعة أجزاء.
٧٤ ـ رفائيل نخلة اليسوعي : غرائب اللغة العربية
«نصوص ودروس» الطبعة الأولى حلب ٥٤ ـ الطبعة الثانية المكملة، ط. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠ .
٧٥ ـ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى : النكت في إعجاز القرآن
رسالة منشورة ضمن. «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني» ـ في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي. حققها وعلق عليها الأستاذ محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام. نشر دار المعارف بمصر. سلسلة «ذخائر العرب» رقم ١٦ . سنة الطبع غير مذكورة والأرجح أنها بعد عام ١٩٥٥ .
٧٦ ـ الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين
بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٤ .
٧٧ ـ السجستاني، ابن أبي داود : كتاب المصاحف

نشره مع دراسات أخرى أرثر جفري Atthur Jeffery ليدن، ١٩٣٧.

٧٨ ـ السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي المتوفي ٦٢٦ هـ:

مفتاح العلوم: وبهامشه إتمام الدراية لقراء النقاية الجامع لأربعة عشر علماً للسيوطي المتوفي ٩١١ هـ.

القاهرة، المطبعة الأدبية ١٣١٧ هـ

٧٩ ـ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرة (أو بن قنبر):

كتاب سيبويه.

نشرها نفيج درنبورج Hartwig Derenbourg باريس ١٨٨١ ـ ١٨٨٩.

ولكتاب سيبويه طبعة مصرية، المطبعة الاميرية، بولاق.

٨٠ ـ السيرافي أبو سعيد: أخبار النحويين البصريين.

تحقيق الأستاذ كرنكو، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٦ م.

٨١ ـ السيوطي: أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن الشافعي (متوفي ٩١١ هـ):

سبب وضع علم العربية

(الرسالة العربية من التحفة البهية والطرفة الشهية) القسطنطينية، مطبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ.

٨٢ ـ السيوطي، أبو بكر جلال الدين: الاقتراح في علم أصول النحو.

طبع حجر مطبعة المجتباني الدهلي ١٣١٢ هـ.

٨٣ ـ السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن الشافعي (متوفي ٩١١ هـ):

بغية الوعاة في طبقاة اللغويين والنحاة.

الطبعة الأولى على نفقة أحمد ناجي الجمال ومحمد أمين الخانجي وأخيه. عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي بقراءته على الشيخ أحمد بن الأمين التنقيطي نزيل القاهرة طبع مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٦ هـ.

٨٤ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن : المزهر في علوم اللغة وأنواعها .
شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه . محمد أحمد المولى بك ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
جزءان في مجلدين . الطبعة الأولى متلزم الطبع والنشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .
٨٥ ـ السيوطي : أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن
الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣١٨ هـ .
٨٦ ـ السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن : الأشتباه والنظائر في النحو
حيدر اباد ١٣١٦ .
٨٧ ـ شادة، أرتور: علم الأصوات . عند سيبويه وعندنا
(محاضرات ألقيت في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية) مقال في مجلة «صحيفة الجامعة المصرية» السنة الثانية ، العدد الخامس ، ص ٣ ـ ٢٦ مايو ١٩٣١ .
٨٨ ـ شادة، أرتور:
رسم لغات أجنبية بالخط العربي وكتابة العربية بحروف أجنبية
مقال في مجلة «صحيفة الجامعة المصرية» التي كان يصدرها مجلس اتحاد الجامعة المصرية السنة الثالثة العدد الرابع ص ٣ ـ ٨ ، ١٩٣٣ المطبعة المتوسطة بالعشماوي بمصر .
٨٩ ـ صالح الشماع : اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة ـ مع مقدمة للدكتور يوسف مراد .
دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٥
٩٠ ـ طوبيا العنيسي (القس) : تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية
٩١ ـ عباس محمود العقاد اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية

القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٠

عبد الجبار الأسد آبادي، القاضي أبو الحسن :

المغنى في أبواب التوحيد والعدل

(أملي سنة ٤٢٥ هـ) . الجزء السادس عشر . إعجاز القرآن . قوم نصه على نسختين خطيتين الأستاذ أمين الخولي بإشراف الدكتور طه حسين . الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الإدارة العامة للثقافة ، سلسلة «تراثنا» . الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م .

٩٣ ـ **عبد الرحمن محمد أيوب (دكتور) : اللغة بين الفرد والمجتمع .**

تعريب لكتاب أوتو يسبرسن . . . Mankind . ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية . مطبعة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٤ .

٩٤ ـ **عبد الرحمن محمد أيوب (دكتور) : دراسات نقدية في النحو العربي**

نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ١٩٥٧ .

٩٥ ـ **عبد العزيز الأهواني (دكتور) : ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة .**

فصلة من مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثالث ١٩٥٧ مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية .

٩٦ ـ **عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) : اللغة العربية أصولها النفسية، وطرق تدريسها . ناحية التحصيل .**

الجزء الأول . الطبعة الثانية منقحة ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر سنة الطبع غير مذكورة .

٩٧ ـ **عبد الفتاح اسماعيل شلبي : في الدراسات القرآنية واللغوية الإمالة في القراءات واللهجات العربية**

(رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم) ملتزم الطبع والنشر مكتبة

نهضة مصر ومطبعتها الفجالة ـ مصر الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م.
٩٨ ـ **عبد الفتاح اسماعيل شلبي (دكتور) : أبو علي الفارسي.**
مطبعة السعادة القاهرة
٩٩ ـ **عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ـ في علم المعاني.**
صحح أصله الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي. وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه ناشره السيد محمد رشيد رضا. مطبعة الموسوعات بباب الخلق بمصر.
١٠٠ ـ **عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة ـ في علم البيان.**
علق حواشيه المرحوم السيد الإمام محمد رشيد رضا. الطبعة الثالثة، ط. عيسى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.
١٠١ ـ **عبد القاهر الجرجاني : الرسالة الشافية**
رسالة منشورة ضمن: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني». في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي. حققها وعلق عليها الأستاذ محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام. نشر دار المعارف بمصر (سلسلة «ذخائر العرب» رقم ١٦) سنة الطبع غير مذكورة والأرجح أنها بعد عام ١٩٥٥.
١٠٢ ـ **عبد الواحد بن علي : مراتب النحويين**
بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة نهضة مصر القاهرة.
١٠٣ ـ **عبد الله العلايلي مقدمة لدرس لغة العرب**
١٠٤ ـ **عبد الوهاب حمودة : القراءات واللهجات**
نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٨ م
١٠٥ ـ **عبده كحيل : اللغة والنشوء**
١٠٦ ـ **علي بن سلطان القاريء : المنح الفكرية على متن الجزرية**

القاهرة ١٣٠٨ هـ.

١٠٧ ـ علي عبد الواحد وافي (دكتور) : فقه اللغة

ظهر سنة ١٩٤١، وطبع للمرة الثانية سنة ١٩٤٤، مطبعة الاعتماد بالقاهرة، وللمرة الثالثة سنة ١٩٥٠ نشر لجنة البيان العربي بالقاهرة، ثم أعادت لجنة البيان العربي نشره عام ١٩٥٦.

١٠٨ ـ علي عبد الواحد وافي (دكتور) : علم اللغة

(صدر لأول مرة سنة ١٩٤١، المطبعة السلفية القاهرة ظهرت طبعته الثانية «مزيدة » سنة ١٩٤٤، نشر مكتبة النهضة المصرية، مطبعة الاعتماد بالقاهرة، وهي الطبعة التي نشير اليها ثم طبع للمرة الثالثة سنة ١٩٥٠؛ نشر لجنة البيان العربي بالقاهرة. وظهرت له طبعة رابعة «مزيدة ومنقحة» عام ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧م. ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة.

١٠٩ ـ علي عبد الواحد وافي (دكتور) : اللغة والمجتمع.

صدر سنة ١٩٤٦ من سلسلة مؤلفات الجمعية الفلسفية التي يشرف على إصدارها الدكتور علي عبد الواحد وافي رئيس الجمعية، والدكتور عثمان أمين سكرتيرها العام؛ ملتزم الطبع والنشر دار إحياء الكتب العربية؛ عيسى البابي وشركاه؛ القاهرة. أعادت نفس الدار طبع الكتاب للمرة الثانية طبعة مزيدة ومنقحة عام ١٩٥١.

١١٠ ـ علي عبد الواحد وافي (دكتور) : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل

الطبعة الأولى دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧.

١١١ ـ علي العناني، ليون محرز؛ محمد عطية الأبراشي :

الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها.

١١٢ ـ على العناني؛ ليون محرز: محمد عطية الأبراشي : المفصَّل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية.

نشر وزارة المعارف المصرية .

١١٣ ـ لويس شيخو: معرض الخطوط العربية

مطبعة اليسوعيين ١٨٨٥ .

١١٤ ـ علي النجدي ناصف، سيبويه إمام النحاة

ط. مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة

١١٥ ـ عمر بن قاسم بن محمد الأنصاري ؛ الإمام أبو حفص المشهور بالنشار (من علماء القرن التاسع الهجري) المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر

ويليه : القول المعتبر في الأوجه التي بين السور للأستاذ علي بن محمد الضباع ، وبهامشهما ، الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي المتوفي س ٤٧٦ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٥٥٤ هـ ١٩٣م .

١١٦ ـ الفارابي ، أبو نصر محمد بن محمد : إحصاء العلوم

نشر أنجيل جونثالز Angel Gonzalez ، بلنسية مدريد ١٩٣٢ .

١١٧ ـ الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد (المتوفي سنة ٢٠٧ هـ) : معاني القرآن

بتحقيق الأستاذين أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار . دار الكتب المصرية ؛ القسم الأدبي ، مطبعة دار الكتب القاهرة الجزء الأول ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م .

١١٨ ـ فندريس، ج : اللغة

ترجمة كاملة لكتاب Le Langage اضطلع بها الأستاذ عبد الحميد الدواخلي والدكتور محمد القصاص . مطبعة لجنة البيان العربي نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ .

١١٩ ـ فؤاد حسنين علي (دكتور) : الهمزة

مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة المجلد الثامن. القسم الأول مايو ١٩٤٦.

١٢٠ - **القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي: الأمالي في لغة العرب**

المطبعة الأميريكة ١٣٢٤ هـ.

١٢١ - **القفطي: إنباه الرواه بأنباء النحاة**

تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ط. دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

١٢٢ - **المازني النحوي البصري، أبو عثمان: كتاب «التصريف» - (أنظر ابن جني «المنصف»)**

١٢٣ - **مجمع فؤاد الأول للغة العربية.**

مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية جزء ١ أكتوبر ١٩٣٤.

١٢٤ - **مجمع فؤاد الأول للغة العربية، مجموعة المصطلحات التي أقرها المجمع في الدورات الست الأولى.**

القاهرة، المطبعة الاميركية ١٩٤٢

١٢٥ - **مجمع فؤاد الأول للغة العربية، تيسير الكتابة العربية - نصوص المذكرات والمناقشات التي دارت حول هذا الموضوع وما اتخذ في ذلك من قرارات، في مؤتمر المجمع سنة ١٩٤٤.**

القاهرة، المطبعة الاميرية ١٩٤٦

١٢٦ - **مجمع اللغة العربية، القاهرة: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع**

القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ١٩٦٠.

١٢٧ - **المجمع العلمي العربي في دمشق: أعمال المجمع العلمي العربي عن سنوات ١٩٢٢، ١٩٢٣، ١٩٢٤.**

دمشق، المطبعة البطريركية الأرثوذكسية ١٩٢٤ م.

١٢٨ ـ محمد أحمد خلف الله (دكتور) : أحمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والأدبية

محاضرات ألقيت على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية سنة ١٩٥٥. جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية. مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٥٥.

١٢٩ ـ محمد الخضري : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك

وبالهامش شرح ابن عقيل. وبأسفل الصلب والهامش تقريرات للشيخ محمد علي بن حسين المالكي. جزءان المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة لصاحبها مصطفى محمد.

١٣٠ ـ محمد خلف الله أحمد : معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها

الجزء الأول. مصر في القرن التاسع عشر نشر «الجمعية المصرية للدراسات التاريخية طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، القاهرة ١٩٦١.

١٣١ ـ محمد رضا الشبيبي : أصول ألفاظ اللهجة العراقية

بحث تاريخي أدبي في أصول ألفاظ هذه اللهجة وفي علم اللهجات ووسائل النهوض باللغة. ويلي ذلك معجم بألفاظ اللهجة الشائعة في العراق. (نشر أولاً في مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد) مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م

١٣٢ ـ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ الخط العربي

القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة ١٩٣٩

١٣٣ ـ محمد العبودي : الأمثال العامية في نجد

القسم الاول يشتمل على ألف مثل مرتبة على الحروف. طبع بدار

إحياء الكتب العربية» عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩.

١٣٤ ـ **محمد علي النجار: لغويات**
من نشر جماعة الأزهر للنشر والترجمة والتأليف، القاهرة دار الكتاب العربي محمد حلمي المنياوى.

١٣٥ ـ **محمد قدري لطفي (دكتور): تعليم اللغة القومية**
ترجمة محمد قدري لطفي. القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر١٩٤٤.
وهو ترجمة مع شيء من التصرف للفصل الخاص بتعليم اللغة الإنجليزية في مجموعة الإرشادات التي تصدرها وزارة المعارف بانجلترا للمدرسين
Board of Education, London: Handbook of Suggestions for Teachers 1937.

١٣٦ ـ **محمد المبارك: خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد**
القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٠

١٣٧ ـ **محمد مكي: نهاية القول المفيد في علم التجويد**
القاهرة ١٣٠٦ هـ.

١٣٨ ـ **محمد مندور (دكتور): منهج البحث في الأدب واللغة**
دار العلم للملايين، بيروت

١٣٩ ـ **محمود أحمد النشوي: نشأة اللغات وحاجة الأمة للمجمع اللغوي**

١٤٠ ـ **محمود السعران (دكتور): اللغة والمجتمع. رأي ومنهج.**
المطبعة الأهلية، بنغازي ليبيا ١٩٥٨ ـ توزيع «منشأة المعارف» الإسكندرية

١٤١ ـ **مرمرجي الدومينيكي (الأب) : المعجميّة العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية.**
١٤٢ ـ **مصطفى جواد (دكتور) : المباحث اللغوية في العراق**
(محاضرات ألقاها الدكتور مصطفى جواد على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية. معهد الدراسات العربية العالية جامعة الدول العربية ـ معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٥.
١٤٣ ـ **مهدي المخزومي (دكتور) : الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ أعماله ومناهجه.**
بغداد، مطبعة الزهراء ١٩٦٠ م.
١٤٤ ـ **النويري، شهاب الدين بن أحمد : نهاية الأرب في فنون الأدب**
ط. دار الكتب المصرية
١٤٥ ـ **يوهان فُك : العربية. دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**
نقله إلى العربية وحققه وفهرس له دكتور عبد الحليم النجار. بتصدير الأستاذ أحمد أمين، وتقديم الدكتور محمد يوسف موسى الناشر؛ مكتبة الخانجي بمصر مطبعة دار الفكر العربي للقاهرة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١ م.

محتويات الكتاب

مقدمة ٥

تمهيد
نحن وعلم اللغة

١ ـ دراسة اللغة علم ١١
أ ـ الدراسة اللغوية علم من العلوم ١١
ب ـ تغير مفهوم «اللغة» منذ أواخر القرن التاسع عشر ١١
١ ـ تنحية موضوعات من مجال البحث اللغوي ١١
٢ ـ توسيع مجال الدراسة اللغوية ١٢
٣ ـ الفرق بين علم اللغة والعلوم الطبيعية ١٢
١ ـ طبيعة القوانين اللغوية لا سيما «القوانين الصوتية» ١٢
٢ ـ قوانين أخرى أصدق وأعم ١٣
٣ ـ التوسع في استعمال لفظ «قانون» لا يحرم الدراسة اللغوية من أنها علمية ١٤
٤ ـ الدراسة اللغوية علمية مع ما بين اللغويين المحدثين من اختلاف ١٤
٤ ـ علم اللغة لا يزال يتطور ١٥
٥ ـ قلة ذيوع علم اللغة في مواطنه ١٥
٦ ـ نتائج علم اللغة لم تدخل برامج تدريس اللغات ١٦

١ ـ استمرار المفهوم القديم القاصر بأن هدف الدراسة اللغوية تمييز صحيح الكلام من خطئه ١٧
٢ ـ ومعرفة عدد كبير من اللغات ١٧
جـ ـ تبسيط علم اللغة ١٩
٢ ـ علم اللغة في الشرق العربي ٢١
أ ـ علم اللغة غريب على جمهور دارسي العربية ٢١
١ ـ علم اللغة هو وجهة النظر الحديثة في فهم اللغة ودراستها ٢١
٢ ـ جمهرة القائمين بالدراسات اللغوية العربية يدورون حول فلسفة لغوية قديمة ٢٢
٣ ـ قصور فهم المتكلمين بالعربية لطبيعة اللغة ووظيفتها وطرق درسها ٢٣
ب ـ المحاولات العربية السابقة للتعريف بعلم اللغة ٢٣
١ ـ جرجي زيدان (هامش ٢٣ ، ٢٤) والأب أنستانس ماري الكرملي (هامش ٢٥) ٢٣
٢ ـ مجمع اللغة العربية ٢٥
٣ ـ العناية بعلم اللغة في الجامعات العربية ٢٦
٣ ـ صعوبات في الطريق ٢٨
أ ـ وضع مصطلح علم اللغة بالعربية ٢٩
الاختلاف في ترجمة المصطلحات الدالة على معان واحدة ٢٩
ترجمة المصطلح الواحد بأكثر من لفظ ٣٤
ترجمة مصطلحين مختلفين بلفظ واحد ٣٤
الدلالة على تصور جديد بمصطلح عربي قديم ٣٤
ب ـ إزالة الأوهام الراسخة ٣٧
١ ـ الوهم الخاص بأقسام الكلام ٣٧

٢ ـ عدم التمييز بين الدراسة الوصفية للغة والدراسة التاريخية لها ـ
الأوهام الناتجة عن «الاعتزاز» بالعربية ٣٩
٣ ـ الخطأ في تصور «العامية» ٤٣
٤ ـ عدم التفريق بين «النحو» و «اللغة» ـ أي «لغة» منظمة بطبعها ـ
الاختلاف في نتيجة الدرس لا يتضمن «تغير» طبيعة اللغة ٤٣

الباب الأول
علم اللغة موضوعه وماهيته

ـ علم اللغة يدرس «اللغة» ٤٩
أ ـ «اللغة» الإنسانية التي يدرسها علم اللغة ٤٩
ب ـ علم اللغة يدرس اللغة «في ذاتها» ٥١
جـ ـ علم اللغة يدرس اللغة «من أجل ذاتها» ٥١
٢ ـ حول البحث في نشأة اللغة ٥٢
الآراء والنظريات القديمة والحديثة في نشأة اللغة ـ اللغة أحادية النشأة
أو ثنائيتها أو متعددتها ٥٢
إرجاء البحث في نشأة اللغة ٥٣
٣ ـ اللغة «كلام» ٥٥
٤ ـ عن طبيعة اللغة ٥٦
«الكلام» وظيفة إنسانية «غير غريزية» و «غير موروثة» ـ الكلام وظيفة
ثقافية مكتسبة ٥٦
أ ـ مقارنة إدوارد سابير «الكلام» بـ «السير» لبيان طبيعة اللغة ٥٧
ب ـ ما في اللغات من «الصرخات الانفعالية» و «الكلمات المقلدة
للأصوات الطبيعية»، واستعمال اللغويين للمصطلح «أعضاء
الكلام» لا تشهد بأن للغة أساساً غريزياً ٥٨

١ ـ الصرخات الانفعالية ليست شاهداً بأن الكلام غريزي ٥٨
٢ ـ الكلمات المقلدة للأصوات الطبيعية لا تثبت أن اللغة نشاط غريزي ٦٠
٣ ـ استعمال المصطلح «أعضاء الكلام» لا دلالة فيه على أن الكلام نشاط غريزي بيولوجي ٦١
٥ ـ اللغة نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية ٦٣
علم اللغة جزء من علم أهم هو علم العلامات (السميولوجيا) ٦٣
أ ـ اللغة نظام من «العلامات» أو «الرموز» الاصطلاحية تشترك في طبيعتها مع نظم اصطلاحية أخرى من العلامات أو الرموز ٦٣
١ ـ من الأنظمة البصرية ٦٤
٢ ـ من الأنظمة السمعية ٦٤
ذيوع هذه الأنظمة في المجتمعات الراقية ٦٤
ب ـ دراسة اللغة مع ما يماثلها من الأنظمة الاصطلاحية جزء من علم السميولوجيا ٦٥
١ ـ عدم نضوج السميولوجيا ٦٥
٢ ـ خلاصة رأي دي سوسير عن السميولوجيا ٦٦
١ ـ السميولوجيا جزء من علم النفس الاجتماعي ٦٦
٢ ـ الصعوبات في قيام السميولوجيا واستقلاله ٦٦
٣ ـ الصفات المشتركة بين اللغة وسائر الأنظمة الاصطلاحية ٦٧
٣ ـ بعد دي سوسير ٦٨
٦ ـ علم اللغة يستعين بعلوم أخرى ٦٩
أ ـ علم اللغة جزء من علم الاجتماع العام ٦٩
ب ـ الاستعانة بعلم الأجناس البشرية وعلم الوراثة والبيولوجيا ٦٩
جـ ـ الاستعانة بالفيزياء، والفسيولوجيا، والتشريح، ودراسات

«اضطرابات الكلام» ٧٠
د ـ الاستعانة بالتاريخ والجغرافيا ٧١
٧ ـ علم اللغة وعلم النفس ٧٢
٨ ـ الفلسفة اللغوية ٧٤
أ ـ فساد إقامة «الفلسفة» اللغوية على أساس منطقي أو عقلي.
ـ أمثلة: ٧٤
١ ـ الصلة بين النحو والمنطق ليست طبيعية ولا لازمة كما رأى قدماء اليونان ٧٤
٢ ـ لا توافق بين علامة الجمع وبين فكرة التعدد ٧٤
٣ ـ لا تطابق بين «الجنس» في اللغة و «الجنس» في الواقع ٧٥
٤ ـ أمثلة عربية تبين ألا تطابق بين اللغة والواقع ٧٥
٥ ـ اختلاف اللغات في تقسيم الأسماء على أساس الجنس ٧٥
٦ ـ بنية اليونانية تبرز الأشكال العامة للتفكير الإنساني في رأي قدماء اليونان ٧٦
ب ـ الفلسفة اللغوية الصحيحة ٧٦
١ ـ مستمدة من طبيعة «اللغة» ٧٧
٢ ـ القيام بسلسلة من التجريدات على مستويات مختلفة ٧٧
٣ ـ لكل من المسائل اللغوية العامة اعتباراته ٧٨
٤ ـ التمييز بين الدراسة الوصفية للغة، والدراسة التاريخية لها ٧٨
٥ ـ وظيفة اللغة ليست «التوصيل» ـ اللغة وظيفة اجتماعية ٧٩
٩ ـ علم اللغة انعكاسي أو استيطاني ٨١
أ ـ علم اللغة يدرس اللغة باللغة ٨١
ب ـ الدراسة اللغوية مشروطة باللغة التي تؤدي بها ٨٢

الباب الثاني

علم الأصوات اللغوية

١ ـ لمحة تاريخية ٨٧

أ ـ الآراء الصوتية التي تتضمنها صور الكتابة القديمة ٨٧

ب ـ الآراء الصوتية المأثورة عن اليونان والرومان والهنود والعرب... ٨٧

١ ـ تصنيف الأصوات إلى مهموسة ومجهورة ٨٨

٢ ـ تصنيف الأصوات إلى صامتة وصائتة ٨٩

٣ ـ تصنيف الأصوات حسب موضع النطق ٩٠

٤ ـ تصنيف الأصوات حسب طريقة النطق ٩١

جـ ـ مسائل أخرى عن آراء الهنود الصوتية ٩٢

د ـ مصادر الآراء الصوتية عند العرب ٩٣

١ ـ الكتابة و اصلاحاتها ٩٣

٢ ـ مقدمة كتاب العين ٩٣

٣ ـ تصنيف سيبويه للأصوات العربية ووصفه لها ٩٤

٤ ـ احتمال أخذ العرب أصول تصنيف الأصوات ووصفها عن الهنود ٩٤

٥ ـ الأسس الصوتية في أصول النحو العربي ٩٥

٦ ـ الأسس الصوتية في العروض ٩٥

٧ ـ الأسس الصوتية في علم الصرف ٩٥

٨ ـ المعلومات الصوتية في كتب اللغة ٩٥

٩ ـ المعلومات الصوتية في كتب القراءات ٩٦

١٠ ـ تأثير النحو العربي بما فيه من الوصف الصوتي في النحو العبري ٩٦

هـ ـ جهود الغربيين منذ القرن السابع عشر ٩٦

٢ ـ علم الأصوات اللغوية في صورته الحاضرة ٩٨
أ ـ موضوع هذا العلم هو «الصوت الإنساني الحي» ٩٨
١ ـ جهاز النطق الإنساني ٩٨
٢ ـ دراسة الصوت الإنساني ٩٩
٣ ـ استعانة هذا العلم بسواه؛ ووسائله ١٠١
٤ ـ رءوس موضوعات علم الأصوات اللغوية ١٠١
٣ ـ الدراسة الصوتية الآلية ١٠٣
أ ـ دقة وسائل علم الأصوات اللغوية في العصر الحاضر ١٠٣
ب ـ الوسائل الآلية لعلم الأصوات اللغوية ١٠٣
١ ـ مجهر الحنجرة ١٠٤
٢ ـ آلة تسوند بيرجيت لإثبات الجهر ١٠٥
٣ ـ آلة شبندلر وهوير لتوضيح بعض خواص الأصوات الصائتة ١٠٦
٤ ـ «البلاتوجرافيا» أو «طريقة الأحناك الصناعية» ١٠٧
٥ ـ الكيموجراف ١٠٨
٦ ـ الأوسيلوجراف ١٠٩
٧ ـ التصوير بأشعة إكس ١١٠
٨ ـ التصوير السينمائي الناطق ١١٠
٩ ـ آلات تسجيل الأصوات ١١١
١٠ ـ تكبير الحفائر الموجودة بأسطوانات الجراموفون ١١١
١١ ـ أسطوانات الدراسات الصوتية ١١١
١٢ ـ نماذج وخرائط أعضاء النطق ١١٢
٤ ـ الكتابة الصوتية ١١٣
أ ـ حاجة علم الأصوات اللغوية إلى «أبجدية صوتية» تخصص حرفاً واحداً لكل «فونيم» ١١٣

ب ـ قصور الأبجديات المألوفة ١١٥
جـ ـ محاولات وضع نظام من الرموز الكتابية الدقيقة ١١٧
١ ـ «الكلام المنظور» لـ «بل» ١١٨
٢ ـ «الخط الألف بائي» لـ «يسبرسن» ١١٨
٣ ـ ألف باء «لبسيوس»؛ ألف باء «بريمـر»؛ ألف باء «الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية» ١١٩
٤ ـ ألف باء الجمعية الصوتية الدولية ١٢٠
٥ ـ حاجتنا إلى علم الأصوات اللغوية ١٢٣
أ ـ هذا العلم حجر الأساس في أي دراسة لغوية ١٢٣
ب ـ قيمة هذا العلم ١٢٣
١ ـ دراسة أية لغة مبنية على الوصف الصوتي ١٢٤
٢ ـ الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى ١٢٤
٣ ـ الدراسة الصوتية أساسية للدراسة اللغوية التاريخية والدراسة اللغوية المقارنة ١٢٥
٤ ـ معاونة علم الأصوات في وضع الأبجديات وإصلاحها ١٢٦
٥ ـ حاجة واضعي المعاجم إلى الثقافة الصوتية ١٢٦
٦ ـ معاونة علم الأصوات اللغوية في إجادة نطق اللغة الأصـلية، وفي تعلم نطق اللغات الأجنبية ١٢٧
٦ ـ من أسباب تخلف دراساتنا اللغوية ١٣٠
٧ ـ النطـق ١٣٠
أ ـ أعضاء النطق ١٣١
١ ـ معرفة أعضاء النطق تكويناً ووظيفة أساسية لوصف الأصـوات وتصنيفها ١٣١
٢ ـ أعضاء النطق الرئيسية ١٣٣

١ ـ الحنك وأقسامه ١٣٣
٢ ـ الفراغ الحلقي ١٣٥
٣ ـ الحنجرة ١٣٥
٤ ـ الغلصمة ١٣٥
٥ ـ الوتران الصوتيان ١٣٥
١ ـ وضعهما حالة التنفس ١٣٦
٢ ـ وضعهما عند إصدار نغمة موسيقية ١٣٧
٣ ـ وضعهما حالة الوشوشة ١٣٨
٤ ـ وضعهما عند تكوين همزة القطع ١٣٨
٦ ـ اللسان وأقسامه ١٣٨
٧ ـ الشفتان ١٣٩
٨ ـ الأسنان ١٤٠
ب ـ آلية النطق ١٤٠
١ ـ العمود الهوائي المحدث الكلامي : مصدره ومنتهاه واتجاهه ١٤٠
٨ ـ الصوت الكلامي ١٤٣
أ ـ القدرة على وصف جميع الأصوات الكلامية لازمة لعالم الأصوات اللغوية ١٤٣
ب ـ طبيعة الصوت الكلامي ١٤٤
١ ـ مواضع الفصل بين الأصوات الكلامية المتتابعة ١٤٤
٢ ـ رأي دانيال جونز ١٤٥
٩ ـ تصنيف الأصوات ١٤٨
أ ـ تقسيم الأصوات إلى صوائت وصوامت ١٤٨
١ ـ أساس هذا التقسيم ١٤٨
٢ ـ خطأ تعريف اليونان للصوت الصامت ١٥٠

٣ ـ الاعتبارات السمعية في هذا التقسيم ١٥٠
من صفات نطق الصوامت المهموسة ١٥١
ب ـ تقسيم الصوامت حسب طريقة النطق ١٥٢
١ ـ الصوامت الانفجارية ١٥٣
١ ـ وصف تكوين الأصوات العربية الانفجارية ١٥٤
١ ـ الباء. ٢ ـ التاء ١٥٤
٣ ـ الدال. ٤ ـ الطاء. ٥ ـ الضاد. ٦ ـ الكاف ١٥٥
٧ ـ القاف ١٥٦
٨ ـ همزة القطع ١٥٧
٢ ـ نظرية الأصوات الانفجارية ١٥٧
١ ـ طبيعة الانفجارية قبل الانفجار وبعده ١٥٧
٢ ـ عوامل تمايز الانفجارية بعضها من بعض ١٥٨
١ ـ موضع وقف الهواء ١٥٨
٢ ـ تذبذب الوترين الصوتيين أو عدم تذبذبهما ١٥٨
٣ ـ تقليل الجهر ١٥٨
٤ ـ قوة إخراج النفس في حالة الانفجارية المهموسة ١٥٩
٥ ـ الصوت المجهور الذي يتبع الانفجارية المجهورة ـ
«حروف القلقة» في العربية ١٦٠
٦ ـ نوع الانفجار (أو الانطلاق) ١٦٣
أ ـ الانطلاق أو الانفجار المنحرف ١٦٣
ب ـ الانطلاق أو الانفجار الأنفي ١٦٣
٣ ـ الصوامت الانفجارية الناقصة ١٦٤
٢ ـ الصوامت الانفجارية الاحتكاكية ١٦٦
١ ـ الانفجار الاحتكاكي ودرجاته ١٦٦

٢ ـ تمثيل الانفجارية الاحتكاكية في الكتابة ١٦٧
٣ ـ الصوامت الغناء ١٦٨
١ ـ الميم ١٦٨
٢ ـ النون ١٦٩
٤ ـ الصوامت المنحرفة ١٦٩
١ ـ اللام العربي ـ المفخم والمرفق ١٦٩
٢ ـ اللام الإنجليزي ـ المفخم والمرقق ١٧٠
٥ ـ الصوامت المكررة ١٧٠
١ ـ الراء العربي ١٧١
٢ ـ الراء الفرنسي ١٧١
٦ ـ الصوامت المستلة ، أو المستلبة ، أو المفردة ١٧١
٧ ـ الصوامت الاحتكاكية ١٧٢
١ ـ تكوينها ١٧٢
٢ ـ الصوامت الاحتكاكية العربية ١٧٢
١ ـ الفاء ١٧٣
٢ ـ الثاء ١٧٣
٣ ـ الذال ١٧٤
٤ ـ الظاء ١٧٤
٥ ـ السين ١٧٥
٦ ـ الزاي ١٧٥
٧ ـ الصاد ١٧٥
٨ ـ الشين ١٧٦
٩ ـ الخاء ١٧٧
١٠ ـ الغين ١٧٧

١١ ـ الحاء ١٧٨
١٢ ـ العين ١٧٨
١٣ ـ الهاء ١٧٨
٨ ـ الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية ١٧٩
٩ ـ أشباه الصوائت ١٧٩
تكوينها ١٧٩
١ ـ الواو ١٨٠
٢ ـ الياء ١٨٠
جـ ـ تصنيف الصوامت حسب موضع النطق ١٨١
١ ـ تحديد موضع النطق ١٨١
٢ ـ مواضع نطق الأنواع الرئيسية للأصوات الأساسية في لغات العالم ١٨٢
د ـ تصنيف الصوائت ١٨٣
١ ـ شكل الممر الهوائي فوق الحنجرة ١٨٣
٢ ـ أثر شكل الشفتين ١٨٤
٣ ـ الصوائت العربية الأساسية ١٨٤
هـ ـ الصوائت المركبة ١٨٥
١ ـ طبيعة الصائت المركب ١٨٥
٢ ـ عدد الصوائت المركبة ١٨٦
٣ ـ الصائت المركب الهابط والصائت المركب الصاعد ١٨٦
١٠ ـ عن الأصوات في «الكلام» ١٨٧
مقدمة: الصوت يكتسب خصائص جديدة في الكلمة وفي الجملة وفي الجمل المتتابعة ١٨٧
أ ـ «البروز» أو «الجهارة» ١٨٨

ب ـ الارتكاز ١٨٩
١ ـ تعريف الارتكاز ١٨٩
٢ ـ درجات الارتكاز الرئيسية ١٨٩
١ ـ الارتكاز القوي ١٩٠
٢ ـ الارتكاز الضعيف ١٩٠
٣ ـ الارتكاز الثانوي ١٩٠
٣ ـ تمثيل درجات الارتكاز في الكتابة ١٩١
٤ ـ ارتكاز الكلمة وارتكاز الجملة ١٩١
٥ ـ تغيير موضع الارتكاز في الكلمة يغير معناها في بعض اللغات.. ١٩١
جـ ـ التقييــم ١٩٢
١١ ـ الفونولوجيا أو علم الأصوات اللغوية الوظيفي ١٩٤
١ ـ الوحدة الصوتية، أو «الفونيم» وأفرادها ١٩٤
٢ ـ تعدد نظريات الفونيم ١٩٦
٣ ـ أمثلة عربية على الفونيم وأفراده ١٩٦
٤ ـ اختلاف أزواج الأصوات المتقابلة (الفونيمات) عدداً ونوعاً.. ١٩٧
٥ ـ التنغيم وتفريقه وحده بين المعاني (التونيم) ١٩٨
٦ ـ كمية الصوت وتفريقها وحدها بين المعاني (الكرونيم) ١٩٨
٧ ـ التحليل الوظيفي للأصوات والكلمات مكمل للتحليل الفيزيائي والفسيولوجي لها ١٩٩

الباب الثالث

النحو

١ ـ نحن نفكر بجمل ٢٠٥
١ ـ لكل لغة طرقها في «نظم» الكلام ٢٠٥
٢ ـ العادات العقلية الخاصة بنظم الكلام ٢٠٥

٣ ـ العملية التحليلية والعملية التركيبية في التعبير عن المعاني........ ٢٠٦
ـ دراسة النحو تحت «المورفولوجيا» و «النظم»........................ ٢٠٧
ـ «المورفيم» وحدة الدراسة المورفولوجية: الخلاف في تصوره ٢٠٧
٢ ـ من التحليل الفونولوجي إلى التحليل النحوي........................ ٢٠٩
١ ـ كلا التحليلين «شكلي»؛ والتحليل الفونولوجي يسبق النحو...... ٢٠٩
٢ ـ الخلاف بين نوعي التحليل........................ ٢١٠
٣ ـ علاقة كل من الفصائل النحوية والفصائل الفونولوجية بالمادة الصوتية النطوق: موقف كلا التحليلين من اللغات الميتة........ ٢١٠
٤ ـ أسس «البنية» النحوية التي لا تفسرها القواعد الفونولوجية...... ٢١١
٥ ـ القيود الخاصة بأشكال الكلمات وبترتيبها في جمل: تقسيم الكلمات إلى «متغيرة» و «غير متغيرة»........................ ٢١٢
٦ ـ لا لجوء إلى «المعنى» في تقدير الأسس النحوية........................ ٢١٣
٧ ـ دلالة المورفيمات والكلمات من الناحية النحوية........................ ٢١٤
٣ ـ النحو الوصفي........................ ٢١٦
أ ـ المورفولوجيا........................ ٢١٦
١ ـ المورفولوجيا هي النظر في «المورفيمات»........................ ٢١٦
١ ـ العنصر «المورفيمي» في مثال عربي........................ ٢١٧
٢ ـ العنصر «المورفيمي» في مثال فرنسي........................ ٢١٨
٣ ـ تعبير المورفيمات عن العلاقات بين عناصر العبارة............ ٢١٨
٢ ـ أقسام المورفيم........................ ٢١٨
١ ـ المورفيم عنصر صوتي: صوت واحد، أو مقطع، أو أكثر من مقطع، أو كلمة مستقلة........................ ٢١٩
٢ ـ المورفيم يتكون من طبيعة العناصر الصوتية المعبرة عن «المعنى»، أو من ترتيبها........................ ٢٢٢

١ ـ تبادل الأصوات الصائتة ٢٢٢
٢ ـ من المقابلة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول في العربية ٢٢٣
٣ ـ من المقابلة بين اسم الفاعل واسم المفعول في العربية ٢٢٤
٤ ـ من المقابلة بين المفرد والجمع في الإنجليزية ٢٢٤
٥ ـ التنغيم ٢٢٥
٦ ـ الارتكاز ٢٢٥
٧ ـ «الوقف» و «الصمت» ٢٢٥
٣ ـ موضع الكلمة في الجملة : مثال من اللاتينية ٢٢٥
ب ـ «النظم» أو «التنظيم» ٢٢٦
جـ ـ منهج المورفولوجيا ومنهج النظم ٢٢٧
مقارنتها بالطرق التقليدية ٢٢٧
خصائص المنهجين الحديثين ٢٣٠
د ـ الفصائل ، أو «الأقسام» النحوية ٢٣٢
١ ـ تعريفها وأنواعها ٢٣٠
٢ ـ «الجنس» ٢٣٤
١ ـ الجنس اللغوي لا يطابق الجنس في الواقع ٢٣٤
٢ ـ الجنس كالأصوات والمعاني خاضع للتغير ٢٣٥
٣ ـ أمثلة على اختلاف اللغات في التمييز بين الأسماء من حيث الجنس ٢٣٥
١ ـ في العربية ٢٣٥
٢ ـ في الفرنسية ٢٣٦
٣ ـ في بعض اللغات الأمريكية والإفريقية ٢٣٦
هـ ـ عن أصول النحو الوصفي ٢٣٧

١ ـ معاني «الأشكال النحوية» ٢٣٧
١ ـ المعاني النحوية والمعاني القاموسية ٢٣٧
٢ ـ اختلاف معنى الفصيلة النحوية باختلاف اللغات ٢٣٨
٣ ـ النظام الداخلي للعلاقات بين العناصر الشكلية ٢٣٨
٢ ـ وصايا للواصف النحوي ٢٣٨
٤ ـ النحو المقارن ٢٤١
أ ـ الدراسة اللغوية الوصفية ٢٤١
ب ـ الدراسة اللغوية التاريخية ٢٤٣
جـ ـ الدراسة اللغوية ٢٤٥
١ ـ الحاجة إلى المنهج المقارن ٢٤٥
٢ ـ موضوع المنهج المقارن ٢٤٦
٣ ـ طريقة «المقارنة اللغوية» ٢٤٦
٤ ـ «الصور الأصلية» لمجموعات اللغات التي وصل إليها المنهج المقارن ٢٥٠
٥ ـ «اللغة الأصلية» ٢٥٢
٦ ـ صلة القرابة اللغوية ٢٥٢
١ ـ طبيعتها ومداها ٢٥٢
٢ ـ تغيرات المفردات قد تبعد من لغة في الظاهر ٢٥٣
٧ ـ القوانين الصوتية ٢٥٤
٨ ـ تقويم النصوص اللغوية المشكوك فيها ٢٥٥
٩ ـ حالات قصور المنهج المقارن ٢٥٦

الباب الرابع
علم الدلالة أو دراسة المعنى

١ ـ قمة الدراسات اللغوية ٢٦١

١ ـ دراسة المعنى يشارك فيها لغويون وغير لغويين ـ الخلط والإساءة في فهم مشكلة المعنى ... ٢٦١
٢ ـ دراسة المعنى وصفياً وتاريخياً ... ٢٦٢
٢ ـ قصور المعنى «القاموسي» ... ٢٦٣
١ ـ العناصر غير اللغوية ذات الشأن في تحديد المعنى ـ توضيح «الكلام الحي» لا سيما لغة المسرح لهذه العناصر ... ٢٦٣
٢ ـ إعادة تصور العناصر غير اللغوية عند دراسة النصوص القديمة.. ٢٦٥
٣ ـ صعوبة تحديد المعنى والخلاف عليه ... ٢٦٥
١ ـ معنى كلمة «أول» في قوله تعالى: ﴿إن أول بيت..﴾ ... ٢٦٦
٢ ـ معنى «أم» و «ابن» في بيت لرشيد الخوري ... ٢٦٦
٣ ـ معنى «الحب» في أبيات لرابعة العدوية ... ٢٦٧
٤ ـ معنى «ذوو الآكال» في شعر الأعشى ... ٢٦٧
٥ ـ استعمال كلمات وعبارات دون فهم «معناها» ... ٢٦٨
٦ ـ الخلافات على المعنى في مجالات السياسة والفقه والقضاء... الخ ... ٢٦٩
٧ ـ الخلاف على تفسير نصوص الكتب المقدسة والآثار الكبيرة. ٢٦٩
٨ ـ الترجمة وكشفها عن مشكلة المعنى. ترجمة لفظ الجلالة إلى الإنجليزية ... ٢٦٩
٤ ـ كيفية مواجهة الاختلاف على المعاني ـ قدرة الألفاظ على الإيحاء والإثارة من أصول الفن الشعري ... ٢٧٠
٣ ـ تحصيل المعنى ... ٢٧٢
١ ـ تحصيل الطفل لمعاني المحسوسات ... ٢٧٢
٢ ـ تحصيل الطفل لمعاني الاستعمالات المجازية ... ٢٧٣
٣ ـ المجاز يوسع معاني الكلمات ويغيرها ـ أمثلة من ١ : ٩ ... ٢٧٣

٤ ـ توصيل الكلام، أو، المضمون المنطقي والمضمون النفسي ٢٧٧
١ ـ لكل كلمة مضمون منطقي ومضمون أو ارتباط نفسي ـ صدور كل متكلم عن تجاربه ـ تشابه ظروف توصيل الكلام ٢٧٧
٢ ـ فروق استعمال الكلمات الراجعة إلى «نوع» الكلام ٢٧٨
٥ ـ تغير المعنى ٢٨٠
١ ـ مقدمة ـ أنواع التغير الدلالي : ٢٨٠
١ ـ التغير الانحطاطي أو الخافض أمثلة من ١ إلى ٤ .... ٢٨٠
٢ ـ التغير المتسامي ٢٨٢
٣ ـ التغير نحو التخصيص ، أو «تخصيص المعنى» ٢٨٣
٤ ـ التغير نحو التعميم ، أو «تعميم المعنى» ٢٨٤
٥ ـ التحول نحو المعاني المضادة ٢٨٦
٢ ـ التغير الدلالي والاستعمال المنحوي ٢٨٦
١ ـ اتساع معنى كلمة do الإنجليزية لتأدية عمل طبقة بأسرها ٢٨٧
٢ ـ اتساع معنى كلمة more الإنجليزية ٢٨٧
٣ ـ الأشكال النحوية للنفي في الفرنسية وما تتضمنه من تغير ٢٨٧
٣ ـ التغير الدلالي والتاريخ الثقافي ، كشف مظاهر من التغير الدلالي على الماضي الثقافي لجماعة المتكلمين ٢٨٨
٦ ـ مناهج دراسة المعنى ٢٩١
أ ـ نشأة علم الدلالة : موشيل بريبل : دراسة تغير المعنى ٢٩١
ب ـ دراسة تغير المعنى بعد بريبل ٢٩٢
جـ ـ كتابات غير اللغويين ٢٩٣
١ ـ أوجدن وريتشاردز. معنى المعنى ٢٩٣
٢ ـ بردجان . «منطق الفيزياء الحديثة» ٢٩٤
٣ ـ نورمان أرولد «فولكلور الرأسمالية» ٢٩٥

٤ ـ ألفرد كورتسبسكي «العلم وسلامة الطفل» ٢٩٦
٥ ـ ستيوارت تشيرز «طغوي الألفاظ» ٢٩٧
٦ ـ س . ا . هايا كول ٢٩٨
٧ ـ إرفنج ج . ل ٢٩٨

د ـ من نظريات اللغويين في علم الدلالة ٣٠٠
١ ـ المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية :
نظرية دي سوسير ٣٠٠
١ ـ تأثير دي سوسير ٣٠٠
٢ ـ تأثر دي سوسير بنظرية دوركيم الاجتماعية ٣٠١
٣ ـ ثالوث دي سوسير المتكامل ٣٠١
١ ـ Le Langage «اللغة» ٣٠١
٢ ـ La Langue «اللغة المعينة» ٣٠١
٣ ـ La Parole «الكلام» ٢٩٢
٤ ـ المعنى عند دي سوسير ٣٠٣
٥ ـ تمييز دي سوسير لدراسة المعنى وصفياً من دراسته تاريخياً ٣٠٤

٥ ـ المدرسة السلوكية الأمريكية : بلومفيلد ٣٠٤
١ ـ تأثر بلومفيلد بسلوكية «بول فايس» ـ تعريف المعنى عن
طريق أحداث عملية ٣٠٤
٢ ـ مثال بلومفيلد . «جاك ، وجيل ، والتفاحة» ٣٠٥

٣ ـ المدرسة الاجتماعية الإنجليزية : ج . ر . فيرث ٣٠٩
١ ـ التأثر بـ «مالينوفسكي» الأنثروبولوجي ٣٠٩
٢ ـ «سياق الحال» عند مالينوفسكي وعند فيرث ٣١٠
خلاصة : المعنى عند فيرث ٣١٢

الباب الخامس

تاريخ الدراسات اللغوية

١ ـ العصور القديمة ٣١٧

أ ـ قبل عصر النحاة ٣١٧

١ ـ قدم النظر في اللغة : الأساطير الدينية ٣١٧

٢ ـ اختراع الكتابة وإصلاحها نوع من النظر في اللغة ٣١٧

ب ـ الهنود ٣١٨

جـ ـ اليونان ٣١٩

١ ـ نظرة ميتافيزيقية ـ النحو يطابق المنطق عند الرواقيين ـ المشذذون ٣١٩

٢ ـ قصة هيرودوت عن نشأة اللغة ٣٢٠

٣ ـ مناقشة أفلاطون لأصل الكلمات في محاورته «كراتيلوس» ٣٢٠

٤ ـ نحو اليونانية ونحاتها ٣٢١

٥ ـ النحو اليوناني تقعيدي وتعليمي ٣٢١

٦ ـ ملاحظات لغوية عن بعض الصور القديمة من اليونانية ، وبلغة كبار الأدباء الأثينيين من القرن الرابع ٣٢٢

٧ ـ مدرسة الإسكندرية القديمة وأثرها ٣٢٢

د ـ الرومان : تلامذة اليونان ـ أشهر نحاتهم ٣٢٣

٢ ـ العصور الوسطى وعصر النهضة ٣٢٤

أ ـ العصور الوسطى في الغرب ٣٢٤

ب ـ العصور الوسطى في الشرق : العرب ٣٢٤

١ ـ نشأة الدراسات اللغوية خدمة للقرآن الكريم ٣٢٤

٢ ـ محاولات الكشف عن قواعد الكلام العربي نثره ونظمه ـ أبو الأسود ، الخليل ، سيبويه ٣٢٥

٣ ـ كتاب سيبويه ـ تعدد مذاهب النحو ـ ألفية ابن مالك: شروحها وحواشيها ـ النحو والمنطق ٣٢٥
٤ ـ العناية بـ «مفردات» الكلام العربي ٣٢٦
٥ ـ البحث في الفصاحة والبلاغة ـ البلاغة والمنطق ٣٢٧
٦ ـ النقد والكشف عن أسرار جمال العبارة ٣٢٧
٧ ـ تصورات لغوية عامة ـ الأصوليون ومشكلة المعنى ٣٢٨
٨ ـ تأريخ الدراسات اللغوية ٣٢٨
٩ ـ أثر الدراسات العربية في النحو العبري ٣٢٨
جـ ـ عصر النهضة وما يليه ٣٢٨
١ ـ اتساع أفق الدراسات اللغوية ٣٢٨
٢ ـ زيادة الاهتمام بأسلوب أداء اليونان والرومان ٣٢٩
٣ ـ دراسة لغات غير اليونانية واللاتينية (بعض اللغات السامية) ٣٢٩
٤ ـ العناية؛ الكلمات الدرافيدية (لغات جنوب الهند) في القرنين السادس عصر والسابع عشر من ١ ـ ٤ ..... ٣٢٩
٥ ـ العناية باللغات السنسكريتية (شمال الهند) في القرنين السابع عشر والثامن عشر ٣٣٠
٣ ـ القرنان الثامن عشر والتاسع عشر ٣٣١
أ ـ القرن الثامن عشر ٣٣١
١ ـ ابتداع فردريك أوجست ولف للنقد المقارن للعصور القديمة ٣٣١
٢ ـ كشف سير وليام جونز للغة السنسكريتية سنة ١٧٨٦ وأثره ٣٣١
ب ـ القرن التاسع عشر دراسة اللغات والهند وأوروبية واللغات الرومانية ٣٣٣
١ ـ دين الدراسات في هذا القرن لما سبقها ٣٣٣
٢ ـ ظهور علم اللغة الحديث في صورة «نحو تاريخي مقارن» ٣٣٤

٣ ـ التصورات العامة التي أثرت في لغويي ذلك العصر ـ نظرية داروين ٣٣٥
٤ ـ فضل الألمان في دراسات التاريخ اللغوي والمقارنة اللغوية، والتغير اللغوي ٣٣٥
١ ـ فرانز بوب: الفونولوجيا التاريخية ٣٣٥
٢ ـ جاكوب جريم: النحو المقارن ٣٣٦
٣ ـ أوجست فردريك بوت: النحو الهندو أوروبي المقارن ٣٣٦
٤ ـ راسك، شليشر، ماكس موللر ٣٣٦
٥ ـ أثر المدرسة الألمانية: اصطناع مناهج أدق ٣٣٧
٦ ـ تأسيس الجمعية اللغوية الباريسية سنة ١٨٦٦ .... ٣٣٧
٧ ـ وليم دويت هويتني الأمريكي: «اللغة ودراسة اللغة» ـ «حياة اللغة ونموها» ترجمة دراسات لغوية من السنسكريتية ٣٣٧
٨ ـ هرمان بول: أصول التاريخ اللغوي ٣٣٨
٩ ـ المسائل اللغوية العامة ٣٣٨
١ ـ ولهلم فون همبولت: اختلافات الكلام الإنساني ٣٣٩
٢ ـ هيمان ستينثال: أصول اللغة ـ الأنواع الرئيسية للبنية اللغوية ٣٣٩
١٠ ـ أهم كتابات القرن ١٩ في علم اللغة ٣٣٩
١ ـ فون درجابلنتس: علم اللغة ٣٤٠
٢ ـ ولهلم فنت. بيان العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية ٣٤٠
١١ ـ من أعلام الإنجليز: هنري سويت: العناية باللغة الحية، وبالدراسة اللغوية الوصفية ٣٤٠
٤ ـ القرن العشرون ٣٤٠

١ ـ التخلص من طغيان نظرية داروني ـ جبيرون. علم اللغة الجغرافي، اعتبار اللغة بنية ـ دور اللغة في المجتمع ٣٤١
٢ ـ محاضرات فرديناند دي سوسير. التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية ٣٤١
التمييز بين «اللغة» و «الكلام» ـ اللغة ظاهرة اجتماعية ٣٤١
اللغة نظام من العلامات التحكمية ٣٤٢
اقتراح دي سوسير علم «السميولوجيا» (علم العلامات) ٤٥٢
دي سوسير وتأثره بإميل دوركيم ٣٤٢
٣ ـ جماعة براغ: تروبتسكوي وجاكوبون: ٣٤٤
ظهور «الفونولوجيا» ـ التمييز بينه وبين «الفونيتيك» ٣٤٤
٤ ـ جماعة كوبنهاجن الدانماركية: ٣٤٤
١ ـ بيرسن ٣٤٤
٢ ـ بدرسن ٣٤٤
٣ ـ هيلمسلف ونظريته الدلالية ٣٤٥
٥ ـ الدراسات اللغوية في أمريكا ٣٤٦
١ ـ ليونارد بلومفيلد: تأثره بالسلوكية؛ كتابه «اللغة» وأثره ٣٤٦
٢ ـ إدوارد سابير وأشهر آرائه ٣٤٦
٦ ـ أشهر المسائل التي نحاها علم اللغة من مجال بحثه ٣٤٧
١ ـ التصنيفات العامة للغات ٣٤٧
٢ ـ نشأة اللغة ٣٤٨
٣ ـ «تقويم» اللغة ٣٤٨
٤ ـ إنشاء «لغة عالمية» ٣٤٨
٧ ـ علم اللغة في أحدث صوره ٣٤٨
معجم المصطلحات ٣٥١

المراجع ٣٧٩
١ ـ المراجع الإنجليزية ٣٨١
٢ ـ المراجع الفرنسية ٤٠٣
٣ ـ المراجع العربية ٤١٣
فهرس الموضوعات ٤٣٥

١ ـ ولكن لا بد من «فلسفة» عامة تقوم عليها دراسة اللغة، ونقصد بالفلسفة هنا مجموعة من المباديء أو الأصول أو الأسس. ومن الخطأ أن ندرس اللغة مستعينين بفلسفة «خارجية»، أي فلسفة مستمدة من غير موضوع الدراسة وهو «اللغة»، أي من الخطأ أن نستعين بفلسفة مفروضة على الموضوع من خارج، أو فلسفة تحقق غرضاً آخر غير درس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، أو فلسفة قاصرة لا تصلح إلا لبعض جوانب الدراسة. إن هذه «الفلسفة» ينبغي أن تقوم على أساس فهم ماهية اللغة: ما اللغة؟ فيم تستعمل؟ كيف تستعمل؟ لم تستعمل؟ متى تستعمل؟ إلى آخر ما يكشف لنا عن حقيقة اللغة. أي أن هذه «الفلسفة» ينبغي أن تستقي عناصرها من طبيعة الأدوار التي تقوم بها في الحياة الإنسانية.

٢ ـ إن الباحث اللغوي الحديث يضطر إلى القيام بسلسلة من «التجريدات[١]» على مستويات مختلفة، حتى يسلم وصفه وتحليله وتصح نتائجه. لا بدّ لعلم اللغة من أن تكون الطرق العامة التي يضعها لدراسة اللغة مرنة كل المرونة، فضلاً عن وجوب كونها دقيقة كل الدقة، حتى يتأتى استعمالها عند درس اللغات جميعها. ولقد أنفق علماء اللغة جهوداً متوالية حتى توصلوا إلى جملة من الطرق والوسائل التي يصدق عليها هذا الوصف، ولا يزال اللغويون حتى الآن يوجهون عناية كبيرة إلى تحسين هذه الطرق والوسائل وإلى تدقيقها وتبسيطها وإلى الإضافة إليها.

ما نوع التجريدات التي يقوم بها علم اللغة في سبيل دراسته؟ ما أسسها وما ميدانها وما مداها؟

من المسلم به أنه لا بد لعلم اللغة، كما أنه لا بد لأي علم، من أن

(١) Abstractions

يفرد، أو «يعزل» أو يجرد» شيئاً ما ليدرسه. وما هية اللغة توجب أن يكون ثمة أكثر من مستوى للدراسة. فاللغة من حيث كونها أصواتاً يدرسها علم الأصوات اللغوية، وله وسائله الخاصة به. وتكوين الأصوات في مقاطع وكلمات وجمل على أصوات معينة يدرس تحت اسم المورفولوجيا[1] و«النظم»[2]. أي تحت اسم «النحو».

ودراسة اللغة من حيث إنها كلمات تدل على معان، موضوعها علم الدلالة[3]. ولعلم الدلالة منهجه ووسائله فهو يعتمد على دراسة الصوت، وعلى الدراسة النحوية، ولكنه يدخل في اعتباره عناصر غير لغوية كشخصية المتكلم وشخصية السامعين، وكالحاضرين، وظروف الكلام.. الخ وثمة منهج لدراسة المعنى من الناحية الوصفية، ومنهج لدراسة المعنى من الناحية التطورية (أنظر الفصل الخاص بعلم الدلالة).

٣ ـ أما المسائل العامة، مثل علاقة اللغة بالفكر، واللغة من حيث نشأتها وتطورها، وانقسام اللغة إلى لهجات، وانبثاق «لغة عامة» عن لهجة أو عن مجموعة من اللهجات، فلكل منها اعتباراتها الخاصة التي ينبغي أن تراعى.

٤ ـ ومن أهم ما تعني به الدراسة اللغوية الحديثة التمييز بين دراسة لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها، أي دراستها دراسة «وصفية»[4] أو

---

(١) Morphology

(٢) Syntax

(٣) Semantics

(٤) Descriptive

«حال استقرارها»[١] أو «ثباتها»[٢] وبين دراستها من الناحية «التاريخية»[٣]، أو «التطورية»[٤]، أو «الحركية»[٥].

٥ ـ ولقد بينت في كتابي (اللغة والمجتمع: رأي ومنهج)[٦] أن النظرية «الكلاسيكية» في اللغة تقوم على أساس «منطقي» أو «رياضي» أو «نفسي» أو «آلي» تؤدي إلى إعتبار اللغة «مرآة» ينعكس عليها الفكر، أو أداة عاكسة للفكر، أو «مستودعا» للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه، إلى أشباه هذا». أي أن وظيفة اللغة عند أصحاب هذه النظرية هي «التفاهم» أو «توصيل الفكر» أو «التعبير عن الفكر»، ولكن هذه النظرية لا تمكن من تحليل جميع أشكال «السلوك الكلامي»[٧] فليس ثمة، «توصيل» للفكر في أنواع كثيرة من «الوظائف الكلامية»[٨] «كالمونولوج» ولا توصيل للفكر في استعمال اللغة في «السلوك الجماعي»[٩] كالصلاة والدعاء، وفي استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية كلغة

---

(١) Synchronistic (synchronic)

(٢) Static

(٣) Historical

(٤) Dynamic

(٥) Diachronistics (Diacronic).

أنظر في ترجمة هذه المصطلحات الستة ص ١٥ ـ ١٦ من كتابنا «اللغة والمجتمع رأي ومنهج» وبخاصة هامش ص ١٦.

(٦) ارجع إلى البابين الأول والثاني وهما (وظيفة اللغة) و(دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة).

(٧) Speech Behaviour

(٨) Speech Functions

(٩) Choric Behaviour

التحيات، وفي التلذذ بالأصوات واللعب بها. وذكرت أن الأصح والأدق أن ننظر إلى اللغة على أنها «وظيفة اجتماعية»[١]، على أنها طريقة من العمل[٢]، ثم بيّنت بشيء من التفصيل طرق دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة.

---

(١) Social Function.

(٢) Mode of Action

- ٩ -

علم اللغة انعكاسي[١] أو استبطاني[٢]

أ ـ إن علم اللغة يجابه صعوبة لا يواجهها سواه، فهـو يدرس اللغـة باللغة، أي مستعملاً اللغة في تقرير دراسته. فمادة دراسته هي نفسها المادة التي يستعملها للتعبير عنها ولتقريرها.

إن العالم اللغوي يستعمل اللغة عن اللغة، والكلمات عن الكلمات. ولما كان الباحث اللغوي عندما يقيم حقائقه مقيداً باللغة التي يصطنعها، فمن هنا كانت الدعوى الدائبة بين المحدثين من علماء اللغة إلى إعادة النظر في «لغتهم»، أي في المصطلحات التي يستعملونها. ومن أبرز الداعين إلى هذا أستاذي المرحوم ج. ر. فيرث[٣] فقد كان دائم التنبيه في محاضراته ومقالاته وكتبه إلى وجوب تطبيق «الوسيلة الدلالية»[٤] أي «وسيلة علـم الدلالـة»[٤] تاريخياً ووصفياً على «اللغة المستعملة عن اللغة». فكان يدعو إلى فحص كلمات أساسية مثل Phonology, phoneme language, speech, consonant,

---

(١) Reflexive

(٢) Introversive

(٣) J.R. Firth

(٤) The Thechnique of Semantics.

vowel, phonetics . . . الخ[1] .

كما كان دائم التحذير من الوقوع في الوهم الشائع ، ألا وهو اعتقاد أن هذا المصطلح أو ذاك له دلالة واحدة عند جميع الكتاب على اختلاف عصورهم ، أو حتى عند الكاتب الواحد في جميع ما يكتب ، أو أن هذا المصطلح يطابق تمام المطابقة ما يترجم به عادة في لغة أخرى من اللغات .

ب ـ ليس في الدراسة اللغوية تطابق تام حقيقي في المصطلحات ؛ فالعلم ، أي علم ، مشروط باللغة التي يؤدي بها فـ General Linguistics في الإنجليزية لا تطابق La Linguistique Générale في الفرنسية ، ولا Linguistics تطابق La Linguistiqie وليست Phonetics في الإنجليزية ليست La phonetique الفرنسية ؛ وكلمة Son الفرنسية ليست Sound الإنجليزية في كل حال ؛ و Semantics غير La Semantique وهكذا .

ليست مصطلحات علم اللغة مصطلحات عالمية . فلا بد من التنبه في كل حال إلى المقصود بالمصطلح في السياق الذي يقع فيه وعند الكاتب الذي يستعمله إن كلمة مثل Semantique أول نشأتها ، كانت تدل على دراسة التغير في معاني المفردات ، أي على دراسة المعاني من الناحية التاريخية ، ونكن مدلولها الآن يختلف عن هذا . وكذلك الحال في كلمة مثل Phoneme ، مدلولها القديم غير مدلولها المعاصر عند معظم الكتاب .

إن علم اللغة الذي يؤدي باللغة الإنجليزية مثلاً مقصود به العالم الذي يستعمله في جماعة تتكلم اللغة الإنجليزية . وهكذا فعلم اللغة في البلاد العربية يجب أن يؤدي بالعربية عن العربية ، وعن غيرها من اللغات كالإنجليزية أو الألمانية ، أو العبرية .

---

(١) انظر مثلاً : J.R. Firth: The Semantics of linguistic Science Lingua. Volume 1; 4 sept. 1948).

الباب الثاني

عِلمُ الأصُواتِ اللغويـَـة

عندما أنطق بهذه الكلمات، «علم الأصوات اللغوية»، فأنا أقوم بجهود عضلية كثيرة؛ ثم تنتقل هذه «الأصوات» في الهواء إلى أذن السامع، أو آذان السامعين، وبعد أن تتلقاها طبلة أذن السامع، يقوم السامع بجهود «عقلية»، أو «نفسية»، لفهم «معاني» هذه الكلمات، ثم من الممكن، لو أتيح للسامع أن يتكلم، أن يصبح «المتكلم».

هذا «الصوت الانساني» وحده هو موضوع علم الأصوات اللغوية

- ١ -
لمحــة تاريخيــة

شغل اللغويون من قديم بالنظر في الأصوات اللغوية، ولكن ما أوصلهم إليه نظرهم لا يبلغ من الدقة والضبط والإتقان ما وصل إليه المحدثون في أوروبا وأمريكا وروسيا. ونقدم فيما يلي عرضاً عاماً للمحاولات القديمة التي تضمنت ملاحظات عن أصوات بعض اللغات:

أ ـ وإن أقدم ما أثر من ذلك كان لعلماء مجهولين، فأقدم صور الكتابة (أو الخط) يتضمن كل منها إدراكاً لأصوات لغة من اللغات، إذ تحاول أن تمثلها بعلامات كتابية منظورة.

ب ـ وقد أثر عن اليونان وعن تلامذتهم الرومان وعن الهنود، وعن العرب ملاحظات صوتية كثيرة.

والمادة الصوتية المأثورة عن اليونان نجدها في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون، وفي الشعر والخطابة لأرسطو، ونجد أكثرها في كتابات نحوييهم مثل ديونيزيوس ثراكس[١]، وديونيزيس هاليكارناسوس[٢].

---

(١) Dionysius Thrax

(٢) Dionysius of Halicarnassus

أما الرومان، وهم مقلدون في هذا الميدان كما قلدوا اليونان في أكثر المسائل الفكرية والثقافية، فنجد جانباً كبيراً من المادة الصوتية المأثورة عنهم في كتابات نحوييهم مثل بريسكيان[1]، وترنتيانوس[2]، وماوروس فيكتورينوس[3].

ويلاحظ على الآراء الصوتية لقدماء اليونان والرومان أنها تقوم في جملتها على ملاحظات الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، وهي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذي أدركوا الأسس «الفسيولوجية» في تكوين الأصوات المختلفة.

١ - لم يفطن اليونان إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين وهما «الأصوات المهموسة»[4] و «الأصوات المجهورة»[5] كما فطن إلى ذلك الهنود والعرب. معروف أن من الأصوات ما يكون الوتران الصوتيان في نطقه متباعدين بحيث إن الهواء الخارج من الرئتين لا يتذبذب، أو يتذبذب تذبذباً ضئيلاً، فلا يحدث نغمة موسيقية، وذلك كالتاء والثاء والسين، هذا القسم سماه العرب «مهموساً».

بينما يحدث في نطق أصوات أخرى أن يتقارب الوتران الصوتيان بحيث يذبذبهما في الهواء الخارج من الرئتين محدثاً بذلك نغمة موسيقية، وذلك كالدال والذال والزاي، هذا القسم الثاني سماه العرب «مجهوراً».

---

(١) Priscian

(٢) Terentianus

(٣) Maurus Victorinus.

(٤) Voiceless sounds

(٥) Voiced sounds

إن الذي صنعه اليونان هو أنهم صنفوا جانباً من أصوات اللغة اليونانية ، وهو الأصوات «المغلقة»[١] ، على أساس «شدة النَّفَس»[٢] وهكذا أصبحت الأصوات التي يصدق عليها أنها «مهموسة» مقابلة في تصنيفهم للأصوات «الانفجارية النفسية»[٣] بدلاً من أن تكون مقابلة لما يصدق عليها أنها «مجهورة» ، واعتبروا الأصوات التي نسميها «مجهورة» متوسطة بين «المهموسة» وبين «الانفجارية النفسية» .

٢ ـ أما تصنيف الأصوات إلى «صامتة»[٤] وإلى «صائتة»[٥] فقد أدركه كل من اليونان والرومان والهنود والعرب . نمثل للصامتة أو «للصوامت» بكل الأصوات العربية فيما عدا «الحركات» و«حروف المد واللين» . أما الحركات وحروف المد واللين (كألف «ما» وواو «ذو» وياء «في») فنحن نسميها «صائتة» أو «صوائت» . وقد أطلق كل من اليونان والهنود أسماً خاصاً على كل من هاتين الطبقتين ؛ فاليونان قد سموا ما نعرفه بالصامتة sùmphéna، وسموا ما نعرفه بالصائتة phōnēénta. أما العرب فهم ، وإن أدركوا أساس هذا التقسيم ، إلا أنهم لم يطلقوا على كل قسم اسماً يعرف به .

ويلاحظ أن اليونان والهنود جميعاً قد عرفوا «الصامت» بأنه الصوت الذي لا يتأتى نطقه دون «صائت» ، أي أنه ، «غير مستقل» ، بل معتمد على

---

(١) Mutes
ويطلق هذا المصطلح على طبقة «الصوامت الانفجارية» Plosives لا سيما المهموس منها (مثل k-p-t) كما تطلق على مجهورها (g-b-d) .

(٢) Intensity of aspiration

(٣) Aspirates

(٤) Consonants

(٥) Vowels

غيره . وعرفوا «الصائت» بأنه الصوت الذي يمكن نطقه وحده فهو مستقل ، وهذا التعريف ، وإن كان صادقاً على أصوات اللغة اليونانية ، وعلى أصوات اللغة السنسكريتية ، إلا أنه لا يصلح أساساً عاماً تصنف بمقتضاه أصوات اللغات جميعاً ، ففي بعض اللغات كلمات مكونة من صامت واحد ، أو صامتين ، أو من صامت وذلك مثل (f) في التشيكوسلوفاكية فهي كلمة ، مثل (tz) في الصينية ، ومثل (krk) في اللغة الكرواتية .

٣ ـ وقد صنف كل من اليونان والرومان والهنود والعرب أصوات لغتهم حسب «موضع النطق»[١] أو حسب «المخارج» إذا استعملنا المصطلح العربي القديم . ولكن تصنيف اليونان وتصنيف الرومان يقومان على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات ، لا على أسس فسيولوجية كالتصنيفين الهندي والعربي . فالتصنيفان اليوناني والرومان تنقصهما الدقة الواجبة في هذا المجال ، أما التصنيفان الهندي والعربي فيقومان على فحص وظائف أعضاء النطق ، وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت ، وعلى درجة اتصالها . . الخ .

وثمة تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب «المخارج» وبين تصنيف العرب لأصوات العربية على هذا الأساس ، ومعروف أن التصنيف الهندي أقدم كثيراً من التصنيف العربي . ومن مظاهر التشابه أن الهنود يرتبون الأصوات ابتداء من أقصاها في الحلق إلى الشفتين ثم يذكرون الأصوات الأنفية ، وهذا الترتيب هو الذي نجده عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وعند سيبويه ، وهو الذي سار عليه المؤلفون العرب من بعد .

---

(١) Place of articulation

٤ ـ وقد أثر عن كل من اليونان والرومان والهنود والعرب تصنيف لأصوات لغتهم حسب «طريقة النطق»[1] على خلاف بينها في التفصيلات وفي الأسس التي يقوم عليها كل منها.

١ ـ فاليونان قسموا ما نسميه بالصوامت إلى «أشباه صائتة»[2]. وإلى «مغلقة»[3]. وقد اعتبروا «أشباه الصائتة» متوسطة بين «الصوائت» و «المغلقة»، على أساس أن «اشباه الصائتة»، وإن لم تكوّن «مقطعا»[4] دون الاستعانة بصائت، إلا أنها على الأقل يمكن أن تنطق وحدها.

٢ ـ أما الهنود فهم يقسمون «الصوامت» إلى مغلقة» و«أشباه صائتة» و«ضيقة»[5]. وقد أقاموا هذا التقسيم على أساس صوتي هو درجة تقارب أعضاء النطق عند نطق أصوات كل قسم من هذه الأقسام.

٣ ـ أما تصنيف العرب لأصوات العربية حسب ما نسميه الآن «طريقة النطق» فهو ذلك التصنيف الذي يرجع إلى سيبويه، والذي توضع الأصوات العربية على أساسه في ثلاث طبقات هي «الشديدة» و«الرخوة» و«ما بين الشديدة والرخوة». و«الشديدة» في هذا التصنيف هي الهمزة والقاف،

---

(١) Manner of articulation

(٢) Hēmiphōna

ويقابل هذا الاصطلاح بالانجليزية Semi-Vowels .

(٣) Aphona

ويقابل هذا الاصطلاح بالانجليزية Mutes .

(٤) Syllables

(٥) Spirants

هذا المصطلح ترجمة تقريبية للمصطلح السنسكريتي الذي أطلقه نحاة الهند على مجموعة الصوامت التي تعرف الآن «بالاحتكاكية» fricatives كالفاء، والسين، والزاي (f, s, z)، وقد يدخل فيه جماعة «أشباه الصوائت» (مثل w - y).

والكـاف، والجـيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء. والرخوة هي الهاء، والحاء والغين، والخاء، والشين، والصـاد والضـاد، والـزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. أما «مـا بين الشـديدة والرخـوة» فتضـم الهمزة، واللام، والميم، والراء، والواو، والألف (كألف «ما»).

جـ ـ ذكرنا في صدد الحديث عن الآراء الصوتية المأثورة عن اليونان والرومان شيئاً مما أثر عن الهنود والعرب.

ويجدر بنا أن نضيف إلى ما ذكرنا عن الهنود أموراً أخرى. الحق أن الآراء الصوتية المأثورة عن الهنود، وأن النحـو الهنـدي عامـة، قد أفـادا الدراسة اللغوية الحديثة أيما فائدة. ومعرفتنا بالسنسكريتية لا تعـدو القـرن الثامن عشر الميلادي عندما كشف عنها سير وليم جونز[1] الإنجليزي. كان الكشف عن السنسكريتية حدثاً خطير الشأن في تطور الدراسات اللغوية من وجوه كثيرة. فهذا الكشف كان عاملاً هاماً في إدراك العلاقـة بين اللغـات الهندية والإيرانية من ناحية وبين بعض اللغات الأوروبية كاليونانية واللاتينية وما تفرع عنها من ناحية أخرى؛ وهكذا تطورت فكرة «العائلات اللغـوية» تطوراً كبيراً. ولما كشفت السنسكريتية اطلع العلماء الغـربيون علـى آثـار نحوية وصوتية لنحاة الهند تبلغ غاية من الدقـة في وصف الأصـوات بوجـه خاص. فاهتمام الهنود بكتبهم المقدسة قد دفعهم إلى وصف لغتهم وصفـاً دقيقاً لا سيما من الناحية الصوتية.

والنحو الهندي يختلف عن النحو اليوناني في أنه لم يبن على أسس من المنطق فهو قد حاول أن يدرس اللغة السنسكريتية دراسة وصفية في ذاتهـا ومن أجل ذاتها، ومن هنا كان توفيقه الكبير.

---

(١) William Jones

ومن كتابات الهنود الصوتية:

Rik. Veda Praticakhya ـفـ Atharva — Veda Praticakya Taittiriya ـفـ — Praticakhya.

وقد ترجم هذه الدراسات إلى الإنجليزية اللغوي الأمريكي و. د. هويتني[1] ونشرها في مجلة الجمعية الأمريكية للدراسات الشرقية[2] وقد قام الأستاذ الهندي سيد شوار فارما بدراسة قيمة للآراء الصوتية لنحاة الهند القدماء نشرت بالانجليزية سنة ١٩٢٩ بعنوان:

(دراسات نقدية في الملاحظات الصوتية للنحاة الهنود)[3].

د ـ أما العرب فقد أوردنا شيئاً من آرائهم الصوتية فيما سبق من كلام.

١ ـ ونكتفي هنا بأن نقول إن كثيراً من ملاحظاتهم الصوتية تستمد من مصادر مختلفة: تستمد من المحاولات التي قاموا بها لوضع الكتابة العربية، وللإصلاحات الكثيرة التي أدخلوها عليها، وذلك كالإصلاح المنسوب إلى أبي الأسود الدؤلي والخاص بوضع نقط تمثل الحركات القصيرة والتنوين، وكان ذلك قبل وضع «النحو» العربي، وكالإصلاحات التي تلت هذا والتي أضافت إلى الكتابة العربية علامات لخصائص صوتية أخرى.

٢ ـ وفي مقدمة كتاب «العين» للخليل بن أحمد، على خلاف في نسبته

---

(١) W. D. Whitney

(٢) Journal of American Oriental Studies, 1862 Vol VII article VIIIpp. 333 — 615 — And 1871 Vol. IX, pp. 1 — 469.

(٣) Siddeshwar Varma: Critical Studies In The Phonehetic Observations of The Indian Grammarians; The Royal Asiatic Society, London, 1929 (Printed By Billing And sons Ltd, Guildford And Esher).

إليه، وإن كنا نرجح أن المقدمة من وضعه أو من إيحائه، تصنيف للأصوات العربية حسب موضع النطق. أحس الخليل أنه لا بد، كي يضع معجماً جامعاً لمفردات اللغة العربية، أن يرتب مواده على أساس معين. وقد اختار ترتيب المواد على أساس «الحروف» التي تتكون منها، واختار أن ترتب «الحروف» على أساس مخارجها، فبدأ من أقصاها في الحلق متقدماً إلى الشفتين. ومن المعروف أنه سمي معجمه «بالعين» لأنه كان يرى أن العين هو أقصى الأصوات مخرجاً في الحلق، وهذا الرأي خاطيء بطبيعة الحال، فهمزة القطع أقصى مخرجاً من العين، وقد أدرك هذا تلميذه سيبويه.

٣ ـ وأياً ما كان فإن التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه لأصوات العربية حسب «المخارج». ولم يقتصر سيبويه على هذا بل صنف الأصوات على أسس أخرى ـ كما ذكرنا ـ وأشار إلى الكثير من الخصائص الصوتية المختلفة.

أورد سيبويه تصنيفه للأصوات العربية ووصفه لها في باب الإدغام، ومن الغريب أن سيبويه، وهو من تلامذة الخليل، لم يشر في كتابه إلى تصنيف الخليل، وهذا أمر يدعو إلى التساؤل. إن تصنيف سيبويه ووصفه للأصوات العربية دقيقان كل الدقة بالنسبة إلى عصره، وقد تناقلتهما التآليف العربية من بعده، وهما يذكراننا ـ كما يذكرنا تصنيف الخليل ـ بكثير مما ورد في كتب الهند.

٤ ـ هل أخذ العرب أصول تصنيف الأصوات ووصفها عن الهنود أو هل تأثروا بهم في ذلك، لا سيما وأن ذلك قد ظهر عند العرب دفعة واحدة، وظهر عند سيبويه «كاملاً»؟ ثم إن دوائر البحور الشعرية التي وضعها الخليل صاحب «علم العروض» نجد شبيهاً لها عند الهنود من قبل. إن أخذ العرب عن الهنود في الميادين الصوتية واللغوية عامة أو تأثرهم بهم أمر محتمل

نظراً، ولكنا لا نملك من الأدلة ما يدعونا إلى القطع بأن أخذاً أو تأثراً قد حدث في هذا المجال أو ذاك.

٥ ـ ولا شك في أن كثيراً من «أصول» النحو العربي تقوم على أسس صوتية وذلك كالتصور الخاص بـ«الحرف»، و«الحرف المتحرك» و«الحرف الساكن»، وكمعاملة «حروف المد واللين» معاملة «السواكن» ـ مع التسليم بأنها من الطبقة التي ندعوها حديثاً «الصوائت»، وليست من تلك التي نطلق عليها «الصوامت» ـ وكالعلاقة التي تصورها النحاة بين «الحرف» و«الحركة»، وبينه وبين «السكون»... الخ وكتفسير كثير من الآثار «الإعرابية» التي تطرأ على بعض الكلمات.. الخ.

٦ ـ أما العروض كما وضعه الخليل فهو يمدنا بمعلومات صوتية هامة عن تصور «المقطعية» العربية، فالخليل لم يقم نظامه العروضي على أساس الحرف ـ متحركاً أو ساكناً ـ ليس غير (وإن كان الحرف المتحرك في العربية يكون «مقطعاً») بل لجأ إلى نظام من «الأسباب» و«الأوتاد» و«الفواصل» اعتبرها العناصر التي تشترك في تكوين «التفاعيل». ولا يسمح هذا المجال بالإفاضة في بيان جوهر تصورات الخليل.

٧ ـ وفي ما يعرف بـ«علم الصرف» معلومات صوتية؛ فقد حاول الصرفيون ـ محاولاتهم الأولى ماثلة في كتابة سيبويه ـ أن يصفوا ما يطرأ على بنية الكلمة العربية المعربة من تغيرات: إما في تصرفاتها المختلفة (من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، وتصغير، ومبالغة، ونسب، وماض ومضارع وأمر. الخ)، وإما عند وقوعها في درج الكلام في سياقات صوتية معينة (كالإدغام، والوصل) إلى غير ذلك من الباحث الصرفية.

٨ ـ وفي كتب «اللغة» وفي مقدمات معظم المعاجم العربية معلومات

عن أصوات اللغة العربية وإن يكن أكثرها تردداً لكلام الخليل أو لكلام سيبويه أو لكلامهما معاً.

٩ ـ وقد أسهم علماء «القراءات القرآنية» في إضافة تفصيلات صوتية إلى ما أثر عن الخليل وسيبويه. فهم قد سعوا إلى وصف «تلاوة» القرآن الكريم حسب القراءات المختلفة فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية ووضعوا رموزاً كتابية تمثل هذه الخصائص[١].

١٠ ـ وقد قدّر للنحو العربي، بما فيه الوصف الصوتي، أن يتأثر به جماعة من نحاة العبريين، وأن يتخذوه أساساً لوصف اللغة العبرية ومن هؤلاء ابن حيوج.

هـ ـ ننتقل الآن إلى التعريف بمحاولات التقدم بعلم الأصوات اللغوية التي حدثت في عصر تال، والتي كان لها أثرها في إيصال هذا العلم إلى ما هو عليه الآن.

منذ القرن السابع عشر أخذت الدراسة اللغوية في أوروبا في النهوض، ومن أهم فروع هذه الدراسة التي تقدمت في القرن الثامن عشر هذا الفرع الذي يسمى بعلم الأصوات اللغوية، فازدياد معرفة اللغويين بالتقدم الذي أصابه علم الطبيعة، وعلم وظائف الأعضاء وازدياد اتصالهم بلغات مختلفة، واشتغالهم بوصفها وبالمقارنة بين أنظمتها الصوتية، كل

---

(١) أتيح لي أن أدرس الآراء الصوتية لنحاة العربية دراسة مفصلة فقد كان هذا موضوع رسالتي التي نلت بها درجة الدكتوراه من جامعة لندن، وهذا البحث تحت الطبع على نفقة جامعة الإسكندرية وعنوان:

A Critical Study of The Phonetic

Observations of The Arab Grammarians.

أولئك وغيره كان عاملاً من عوامل تقدم الدراسة الصوتية، وإعطائها درجة أكبر من الدقة والضبط.

ومما يساعد على أن تستقل الملاحظة الصوتية فتصبح علماً أن المشتغلين بها أخذوا يطبقون عليها منهج الدراسة العلمية، واتضح أنه من الممكن أن توصف الأصوات اللغوية - أو بعضها - وتحلل بالاستعانة بوسائل آلية. وكان من أوائل من اهتموا بهذه الناحية الآلية روسلو[١]، وجاستون باري[٢] الفرنسيان وغيرهما.

وبعد هؤلاء نجد من أعلام الصوتيات اللغوية في انجلترا هنري سويت[٣]، ثم والتر ربمان[٤]، وفي الوقت الحاضر نجد دانيال جونز[٥]، وبيتر ماكارثي[٦]، والدكتورة ايدا وارد[٧]، والاستاذ فيرث[٨].

ونجد في فرنسا موريس جرامون[٩]؛ وفي أمريكان كنث ل. بايك[١٠]، وستير تفانت[١١].

---

(١) P. Rousselot: Prinipes de phonetique experimentale, Paris, 1897 — 1909.

(٢) Gaston Paris

(٣) Henry Sweet.

(٤) Walter Ripman

(٥) Daniel Jones

(٦) Peter Mac Carthy

(٧) Ida Ward

(٨) J.R. Firth

(٩) Maurice Grammont

(١٠) Kenneth L. Pike

(١١) Sturtevant

- ٢ -

علم الأصوات اللغوية في صورته الحاضرة

بعد هذا العرض التاريخي السريع الموجز نأخذ في التعريف بعلم الأصوات اللغوية في صورته الحاضرة.

أ ـ ذكرنا في مطلع هذا الفصل أن موضوع علم الأصوات اللغوية هو «الصوت الإنساني الحي»، هذا الصوت الإنساني الذي هو نموذج متكامل من نماذج السلوك الاجتماعي.

١ ـ هذا الصوت يصدر عن «جهاز النطق الإنساني»(١)، وجهاز النطق الإنساني يشبه آلة موسيقية، أو هو أكمل آلة موسيقية من حيث المرونة، ومن حيث الإمكانيات أعني من حيث القدرة على إخراج أنواع من الأصوات لا حدّ لها. وإذا كُنّا نسمي جانباً من أعضاء الإنسان بجهاز النطق الإنساني فهذه تسمية من وجهة نظر علماء الأصوات اللغوية. وإلا فإن الفم، والأنف، واللسان، والحلق، والرئتين، وسائر الأعضاء التي تشترك في تكوين أصوات اللغة، تؤدي وظائف ربما كانت أهم من ذلك لحياة الإنسان، فهي ضرورية بالنسبة للتنفس، وضرورية بالنسبة للأكل، فمن الناحية البيولوجية ليس لدى الإنسان «جهاز نطق».

---

(١) Organ of speech.

إن الإنسان استغل بعض أعضائه الموجودة لتأدية أغراض أصلية معينة كي يؤدي بها غرضاً آخر اجتماعياً مستحدثاً هو «الكلام» (انظر ص ٦٤ ـ ٦٥). و «الكلام، لا يتحقق أصلاً إلا بوجود شخصين على الأقل: متكلم وسامع. و «الكلام» عبارة عن سلسلة متصلة من الأصوات، اصطلح الناس على اعتبارها، أو على اعتبار مجموعات منها، رموزاً لمعان خاصة.

٢ ـ وإن دراسة ما يسمى بـ «الحدث الكلامي»(١)، دون الإشارة إلى معناه، هو موضوع علم الأصوات اللغوية. وإن دراسة الصوت الإنساني الحي أمر على جانب كبير من الصعوبة، فنحن مضطرون لكي نصفه إلى أن نحلله إلى ما يسمى بـ «عناصر الكلام»(٢)، فنحن إذن نقوم بعملية «تجريد». إن تحليل «السلسلة الكلامية» إلى عناصر خاصة أمر تظهر صعوبته لو طلب إلينا أن نصف أصوات لغة لا نفهمها. إذا استمعنا مثلاً إلى متكلم بلغة نيجيريا ـ ونحن نجهل لغته ـ وطلب منا أن نصف أصوات هذه اللغة وأن نصنفها فسنجد مشقة في معرفة الحدود بين صوت وآخر في السلسلة الكلامية، بل سنجد مشقة في تحديد أوائل الكلمات وخواتمها.

ولما كان «الصوت اللغوي»(٣) يصدر عن جهاز النطق الإنساني فهو يختلف عن سائر الأصوات التي تحدث عن أسباب أو أدوات أخرى. قد يحدث الصوت في العالم الطبيعي نتيجة لقرع جسم بجسم، أو احتكاك جسم بآخر، أو نفخ في جسم خاص أو لغير ذلك. ومعروف أن دراسة «الصوت»(٤) عامة موضوعه علم الطبيعة، أما الصوت اللغوي فهو، كما ذكرنا، موضوع علم الأصوات اللغوية.

---

(١) Speech event.

(٢) Elements Of Speech

(٣) Linguistic Sound

(٤) Sound

هذا الصوت الذي يحدثه جهاز النطق الإنساني ينتقل في الهواء، ثم تتلقاه أذن السامع؛ فمن واجب علم الأصوات اللغوية إذن أن يدرس ثلاث مسائل رئيسية: أولاها حركات المتكلم التي تحدث الصوت، أو إحداث المتكلم للصوت، وهذا الفرع يسمى الدراسة الصوتية الفسيولوجية(١) وثانيها انتقال الصوت في الهواء، أو الموجات الصوتية؛ وهذه الدراسة تعرف بالدراسة الصوتية الفيزيقية(٢)، أو بدراسة الموجات الصوتية اللغوية(٣).

أما ثالث المسائل الرئيسية التي على علم الأصوات اللغوية أن يدرسها فهو استقبال أذن السامع للصوت، أو الدور الذي تقوم به طبلة أذن السامع لاستقبال الصوت.

وقد وجه علماء الأصوات اللغوية أكبر عنايتهم إلى دراسة المسألة الأولى، ألا وهي: إحداث المتكلم للأصوات، وبذلوا جهوداً في دراسة المسألة الثانية ـ وهي انتقال الأصوات في الهواء ـ أما المسألة الثالثة، وهي تلقي أذن السامع للأصوات، فلا تزال تنتظر الإفاضة في البحث.

فعلم الأصوات اللغوية إذن يقنع من العمل الضخم ألا وهو دراسة «الكلام»، بدراسة الصوت الحي للإنسان وهو يؤدي نشاطه اللغوي، بجانب جد ضئيل هو تحليل السلسلة الكلامية إلى العناصر التي يمكن تجريدها، ثم وصف الطريقة التي يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر، وبيان كيفية إنتقالها في الهواء، وذكر خصائصها المميزة لها، ثم تصنيفها على أسس معينة. ومن هنا كان هذا العلم ذا أهمية جوهرية بالنسبة لسائر فروع علم

---

(١) Physiological Phonetics

(٢) Physical Phonetics

(٣) Acoustic Phonetics

اللغة، إنه حجر الأساس بالنسبة لأي دراسة لغوية أخرى كالنحو، أو النحو المقارن، أو دراسة المعنى[1].

٣ ـ هذا العلم يستعين في بعض جوانب دراسته بمعلومات يستمدها من علوم أخرى، كما إنه يستخدم وسائل خاصة به. فهو في وصف جهاز النطق الإنساني يعول على علم التشريح، ولكنه يكتفي من ذلك بالقدر الذي يراه صالحاً للوفاء بأغراضه؛ فالتفصيلات الكثيرة في وصف الأعضاء يستغني عنها هذا العلم عندما تكون غير ذات دلالة بالنسبة إليه. هذا الوصف لجهاز النطق الإنساني من أول ما يبدأ به هذا العلم لأنه يبين لنا إمكانيات كل عضو، وما ينتج عن العلاقات والارتباطات المختلفة بن الأعضاء المختلفة.

وقد ذكرنا أن دراسة انتقال الأصوات في الهواء تعتمد اعتماداً كبيراً على علم الطبيعة (الفيزيقا، الفيزياء).

ومن الوسائل الهامة التي يلجأ إليها علم الأصوات اللغوية ما يعرف «بالدراسة الصوتية التجريبية»[2] أو «الآلية»[3] وما يعرف بـ «الكتابة الصوتية»[4].

٤ ـ ونرى قبل أن نتحدث عن هاتين الوسيلتين أن نعرض رءوس الموضوعات التي يتناولها علم الأصوات اللغوية. أكثر المختصرات الحديثة في هذا العلم تبدأ بمقدمة في تعريف «الكلام»، وفي بيان الفرق بين «الكلمة

---

(١) أنظر في هذه الفقرة: Firth: Tongues of Men, PP. 31 - 32.

(٢) Experimental phonetics.

(٣) Intsrumental Phonetics.

(٤) Phonetic Transcription.

الملفوظة»[1] و«الكلمة المكتوبة»[2] وقد تتحدث عن «الكتابة الصوتية» وعن الدراسة «الصوتية التجريبية». ثم تأخذ في وصف جهاز النطق الإنساني، وبعدها تنتقل إلى «تصنيف الأصوات»[3] إلى «مهموسة» و«مجهورة»، ثم تدرس الأصوات حسب «طريقة النطق»، ثم حسب «موضع النطق». ثم تنتقل إلى تصنيفها إلى «صائتة» و«صامتة»، ثم تأخذ في التفصيل في دراسة الأصوات الصائتة ثم في دراسة الصامتة. ثم تشرع بعد ذلك في التعرض لما يعرف بخصائص الأصوات، فثمة خصائص أخرى غير ما تتميز به الأصوات من أنها مهموسة أو مجهورة أو . . . الخ، خصائص تلحق بالصوت نتيجة ارتباطه مع غيره في الكلمة وفي الكلام. ومن ذلك دراسة «الارتكاز»[4]، ودراسة طبيعة الصوت وما يتصف به من «درجة» و«شدة» ودراسة «نغمة» الكلمة والكلام (انظر التعريف بشيء من هذه المسائل في أواخر هذا الفصل). ومن المعروف أنه في ثنايا ذلك كله يلجأ المؤلف إلى تمثيل الصوت أو النطق في الكتابة برموز صوتية خاصة. وقد يلحق ببعض المختصرات قوائم لمفردات يصعب نطقها، ولبعض أسماء الأعلام، ولبعض الكلمات الأجنبية المتداولة في اللغة موضوع الدرس، كل ذلك يكتب بالأبجدية العادية ويمثل بالرموز الصوتية التي تصور النطق الصحيح.

---

(١) Spoken Word

(٢) Written Word

(٣) Classification of Sounds

(٤) Stress

- ٣ -

الدراسة الصوتية الآلية

أ ـ ذكرنا أننا في العصر الحاضر ندرك الأصوات خيراً من إدراك اليونان والرومان والهنود والعرب لها. ومرجع ذلك إلى جملة أسباب منها أن معلوماتنا عن أعضاء النطق تشريحاً وعملاً، وعن علم الطبيعة تفوق ما كان يعرفه الأقدمون من ذلك، ومنها أننا نقارن أصوات لغات كثيرة مختلفة، ولا شك في أن خير وسيلة لتحديد خواص موضوع ما، هي ـ كما يقول موريس جرامون[1] ـ أن نقارنه بموضوعات مماثلة ليس لها خواصه نفسها، أو تتصف بها هي نفسها ولكن بدرجة مختلفة. ومن أخص هذه الأسباب وأهمها أننا ـ حتى لو صح أن آذاننا لا تحسن السماع إحسان القدماء له ـ أننا نملك من وسائل الملاحظة والفحص والإبانة، ومن وسائل تسجيل ثمار الدراسة ما لم يكونوا يملكون. ولا يزال علماء الأصوات اللغوية، عاكفين على التحسين من وسائلهم، وعلى الإضافة إليها.

ب ـ ونأخذ الآن في التعريف بالوسائل الآلية التي يلجأ إليها علم الأصوات اللغوية. والبحث في هذه الوسائل الآلية وطرق استخدامها موضوعه «الدراسة الصوتية التجريبية»، أو «الدراسة الصوتية الآلية» كما يؤثر بعض العلماء أن يسموا هذا الفرع من فروع علم الأصوات اللغوية نحن

(١) Maurice Crammont: Traité de Phonétique; P. 34; 2 eme ed; Paris, 1939.

نستطيع الآن أن نلاحظ كل عضو من أعضاء النطق وهو يؤدي وظيفته عن طريق المجاهر، أو عن طريق التصوير بأشعة إكس، أو بغير هاتين الطريقتين، ونستطيع أن نحدد تحديداً مضبوطاً موضع كل عضو من الأعضاء التي تشترك في إحداث صوت ما عن طريق ما يسمى بـ «الحنك الصناعي»[1]، وعن طريق التصوير بأشعة إكس[2]، كذلك، كما أننا نستطيع أن نسجل الصوت تسجيلاً آلياً، وأن نفسر هذا التسجيل من الناحية الصوتية تفسيراً يزيد من معلوماتنا عن هذا الصوت.

١ - من أبسط هذه الوسائل الآلية مرآة صغيرة مثبت بها يد طويلة، هذه المرآة تسمى «مجهر الحنجرة»[3]. يوضع مجهر الحنجرة بصورة خاصة داخل الفم، ويضغط على أقصى الحنك الأعلى، ويكيف وضعه بحيث ينعكس ضوء قوي على داخل الحلق فيظهر في المرآة داخل الحنجرة. هذا المجهر يمكن من رؤية الوترين الصوتيين في حالة أخراج «النفس»[4] - أي عندما يكونان متباعدين، وهذا الوضع هو الذي يتخذه الوتران الصوتيان عند نطق الأصوات «المهموسة» كالسين - ويمكن من رؤيتهما حال تذبذبهما تذبذبا منغما، أي عندما يتقاربان بدرجة تسمح للهواء المار بينهما أن ينغم، وهذا هو وضعهما عند نطق الأصوات «المجهورة» كالزاي.

وهكذا ندرك أن الفارق بين السين والزاي هو أن الأول «مهموس» والثاني «مجهور».

---

(١) Arificial Palate

(٢) X. Ray Photography.

(٣) Laryngoscope

لمجهر الحنجرة صور كثيرة؛ وهو في أبسط صوره مرآه صغيرة مستديرة قطرها حوالي ثلاثة أرباع بوصة، مثبت بها يد طويلة؛ والتقاء اليد بالمرآة يكون زاوية قدرها ١٢٠ درجة.

(٤) Breath.

ومن الواضح أن هذا المجهر يعوق النطق الطبيعي وأن فائدته مقصورة على وجوه من الملاحظة جد محدودة.

٢ ـ وثمة آلة أخرى لإثبات «الجهر» تعرف بآلة تسوندبيرجيت[١]. هذه الآلة صفحة معدنية مثبت بأحد طرفيها مقبض، وفوق طرف الصفحة المعدنية البعيد عن المقبض كرة معدنية. فإذا وضع المختبر الصفحة المعدنية على أحد جانبي الحنجرة ـ بحيث تكون الكرة المعدنية إلى الخارج ـ ثم نطق بصوت مجهور مثل الباء وأتبعه بنطق مهموس هذا الصوت وهو الـ (P) أو بنطق أي مهموس، وجد أن الكرة المعدنية في حالة نطق المجهور تتحرك على الصفحة المعدنية حركات سريعة بينما لا تتحرك في حالة نطق المهموس.

وقد ظهر أن هذه الآلة وأمثالها صالحة كل الصلاحية في حالة «الصوامت المجهورة»[٢] وفي حالة «الصوائت الضيقة»[٣]، ولكنها لا تستجيب دائماً استجابة جيدة في حالة «الصوائت المنفتحة»[٤] وخاصة «الصوائت المنفتحة الأمامية»[٥] مثل (a).

وأياً ما كان فمن المستطاع إدراك الجهر بطريقة بسيطة هي وضع الإصبع على «تفاحة آدم»[٦] فنحس بشيء من الذبذبة إذا نطقنا المجهور مثل (V)، ولا نحس بشيء من ذلك إذا نطقنا المهموس مثل (F).

---

(١) Zund - Burguet's Voice Indicator

(٢) Voiced Consonants

(٣) Close Vowels

(٤) Open Vowels

(٥) Front Open Vowels

(٦) Adam's Apple

٣ ـ ومن الآلات الأخرى ـ وأكثر استعمالها للتوضيح والتدريس لا للدراسة ـ آلة شيندلر وهوير[١]، نسبة إلى صانعيها الألمانيين وهما من جوتنجن Gottingen . وهذه الآلة مفيدة لتوضيح بعض خواص الأصوات «الصائتة». فالصفات المميزة للصوائت تعتمد على شكل الممر المفتوح فوق الحنجرة، هذا الممر الذي يكون فراغاً رناناً يغير نوع الصوت الحادث عن ذبذبة الوترين الصوتيين.

هذه الآلة تتكون من فراغ رنان أسطواني الشكل، وهذا الفراغ الرنان مفتوح من أحد طرفيه، وهو مجهز بكابس [٢] له مقبض يخرج من الفراغ الرنان الأسطواني. وكلا الكابس والمقبض مجوف. الكابس لسان يشبه لسان مبسم المزمار، فإذا نفخ في المقبض من طرفه الخارجي فإنه يحدث عن «اللسان» [٣] صوت موسيقي ذو درجة [٤] خاصة. ونوع هذا الصوت يتوقف على طول جزء «الفراغ الرنان» [٥] الواقع خلف الكابس مباشرة؛ فبتغيير وضع الكابس نحصل على أصوات ذات أنواع متمايزة. وقد لوحظ أن بعض الأصوات الناتجة عن استعمال هذه الآلة تشبه إلى حد كبير بعض الصوائت المشهورة.

وواضح أنه يمكن اتخاذ الناي والمزمار للوفاء بالغرض الذي تؤديه هذه الآلة. فمعروف أن المزمار العادي، تختلف الأصوات أو «النغمات» الصادرة عنه لجملة أسباب منها اختلاف وضع الأصابع على الثقوب، وذلك

---

(١) Spindler & Hoyer

(٢) Piston

(٣) Reed

(٤) Pitch

(٥) Resonance chambre.

لأن الأوضاع المختلفة للأصابع على الثقوب تكبر أو تصغر من حجم الفراغ الرنان . فإذا نفخنا في المزمار وكان الفراغ الرنان كبيراً نتج صوت ذو طبيعة مخالفة لطبيعة الصوت الحادث لو نفخنا بنفس القوة وكان حجم الفراغ الرنان أكبر أو أصغر.

هذه الآلات التي تحدثنا عنها آلات أولية ، وهي أصلح للتدريس والبيان لا للبحث والدراسة .

٤ ـ ولكن من أهم ما يعتمد عليه علم الأصوات في الدرس ، وما قد يكمل ملاحظة الأذن والعين ، ما يعرف «بالبلاتوجرافيا» أي طريقة «الأحناك الصناعية»[١] .

في قدرة أي طبيب أسنان أن يصنع «أحناكاً صناعية»[٢] ، معدنية أو مطاطية وينبغي أن يكون الحنك الصناعي رقيقاً جداً ، وأن يطابق فم الشخص الذي سيقوم بالاختبار كل المطابقة حتى يلزم مكانه بنفسه عند الاستعمال ، كما ينبغي أن يزود بقطع بارزة في مقدمته حتى تسهل إزالته من الفم ويستحسن أن يصنع الحنك من مادة سوداء اللون ، وإلا وجب تسويد صفحته السفلى ، أي المقابلة لظاهر اللسان بصبغ أسود.

وعند إستخدام «الحنك الصناعي» يضع المختبر على صفحته التي ستقابل ظاهر اللسان مادة جيرية (كالطباشير) مسحوقة سحقاً تاماً ، ثم يدخله في فمه . فإذا نطق المختبر صوتاً من الأصوات التي يلتقي فيها اللسان بموضع ما في سقف الحنك ، كالشين والكاف ، فسنجد أن اللسان يزيل المادة الجيرية في موضع الالتقاء . يُخرج المختبر «الحنك الصناعي» بعناية ، ثم

---

(١) Palatography.

(٢) Artificial Palates

يفحص الآثار التي تركها اللسان عليه. ويستطيع كذلك أن يصور هذه الآثار فوتوغرافياً، أو أن ينسخها على رسوم تخطيطية للحنك الصناعي، وله كذلك أن يضع الحنك الصناعي بعد إجراء الاختبار داخل إناء زجاجي مضاء، بحيث تظهر صورته على خارجه، وينسخه على ورق، ويحتفظ به لدراسته ومقارنته بغيره. وهذا الرسم، الذي يبين الموضع أو المواضع التي يلتقي فيها اللسان بالحنك الأعلى عند نطق بعض الأصوات، يعرف بـ «رسم الحنك»(١).

ولكن من الملاحظ أن هذه الطريقة، طريقة الأحناك الصناعية، لا يتأتى استخدامها عند نطق جميع الأصوات، فثمة أصوات تتكون في همزة كهمزة القطع، وهناك أصوات حلقية كالعين والحاء، وهي أصوات لا يكون للسان في تكوينها أثر يذكر.

فوسيلة الأحناك الصناعية، ولو أنها وسيلة صالحة وهامة، إلا أن استخدامها مقصور على بعض الأصوات. ثم إنه من الواجب اختيار أصوات معينة أو كلمات خاصة عند استخدام هذه الوسيلة، وإلا لما أمكن أن تؤدي وظيفتها على وجه مرض. فأنا لو حاولت أن أنطق كلمة يلتقي فيها اللسان بالحنك الأعلى في أكثر من موضع وكانت هذه المواضع متداخلة لاختلطت الآثار التي يتركها اللسان على الحنك الصناعي. إذن يجب أن تختار الكلمة بحيث لا يلتقي بالحنك فيها إلا صوت واحد، أو صوتان يلتقي اللسان عند نطقهما بموضعين متباعدين من الحنك.

٥ ـ ومن الوسائل الآلية الهامة التي يصطنعها علم الأصوات اللغوية ما يعرف بـ «الكيموجراف»(٢). وللكيموجراف صور كثيرة وأحدث صورة

---

(١) Palatgram

(٢) Kymograph

وأدقها تختلف كثيراً عن أول ما عرف منه، ولا يزال العلماء يدخلـون عليه تحسينات وتبسيطات حتى يكون أسهل استعمالاً وأكثر إنتاجاً. وأبسط تعريف به أن نقول إنه اسطوانة تتحرك بدرجة منتظمة وهنـاك سن تدور حول هذه الإسطوانة، فإذا نطق المتكلم من مكان معين تحركت السن حركات معينة تبعاً لطبيعة ما ينطق به. وهذه السن تسجل أثـر النطـق في خطـوط بعضهـا متموج، وبعضها كثير الذبـذات وهـكذا. هذه الخطـوط تنقـل، وتصـور، وتحلل من الناحية الصوتية. فالغرض من الكميوجراف إذن أن تعطي آثاراً مدونة تمثل حركات أعضاء النطق المختلفة، والمجهود الذي تبذله، والدور الذي تؤديه، وتمثل شيئاً من صفات بعض الأصوات. ومن الملاحظ أن ما نسميه بالأصوات المجهـورة كالسين تظهـر ممثلـة في الكيموجراف بصـورة ذبذبات سريعة، أما المهموسة كالخاء: فتظهر بصـورة خطـوط غير شديدة التذبذب.

٦ ـ ومن الأجهزة الحديثة التي يستعين بهـا علـم الأصـوات اللغـوية «الأوسويلوجراف»[١]. والأوسيلوجراف يعطـي آثـاراً كتـابية تمثـل السلسلـة الكلامية التي يراد اختبارها. ومما هو جدير بالذكر، أن الآثار الممثلة لأي سلسلة كلامية تكاد تتكون من عدد كبير من عناصر صغيرة لا يتطابق إثنان منها قط كل التطابق، أي أنهـا شاهـد على أنه من النادر أن نجد «قطعاً»[٢] من سلسلة كلامية تظل فيها طبيعة الصوت، وشدته ودرجته على شكل واحد مدة واضحـة، وذلك لأنـه من النـادر أن نجـد نوع الصـوت الـذي يمثلـه الأوسيلوجـراف بموجـات متتـالية ذات شكل واحـد. ولـذلك فإن نقطـة الانفصال بين صوت وبين الذي يليه في السلسلة الكلامية، لا تطابق أي تغيّر

---

(١) Oscillograph

(٢) Sections

فجائي في نموذج الآثار التي يعطيها الأوسيلوجراف، إذ إن هذه النقطة تكون أي نقطة في مرحلة الانتقال بين الصوتين تُختار على أسس لغوية[1].

٧ ـ ذكرنا أن بعض الأصوات لا يتأتى فحص موضع نقطة بطريقة الأحناك الصناعية. وثمة طريقة أخرى تظهر لنا ما يدور في جهاز النطق الإنساني عند نطق أصوات كالحاء والعين وهما حلقيان. فبالاستعانة بالتصوير بأشعة إكس، نستطيع أن نرى شكل الفراغ الحلقي عند نطق هذين الصوتين وما إليهما. كما أن التصوير بأشعة إكس يستعان به لتصوير مواضع اللسان عند نطق الصوائت خاصة، ويتأتى ذلك بوضع شريط معدني رقيق على ظاهر اللسان. وأياً ما كان فإن هذه الطريقة يعتورها شيء من القصور إذ لا بد أن يصور المتكلم من زاوية خاصة، ولا يميل العلماء إلى تصديق دلالتها إلا إذا أيدتها وسائل أخرى.

٨ ـ وما دمنا بصدد الحديث عن التصوير بأشعة إكس فلننتقل إلى بيان وجه الاستعانة بالتصوير السينمائي الناطق.

عند كلامنا عن الأوسيلوجراف ذكرنا أن تقسيم علماء اللغة للسلسلة الكلامية إلى «عناصر» بقصد الدراسة تقسيم لا يؤيده الواقع الفسيولوجي: فإذا صورنا شخصاً ينطق كلمة ما تصويراً سينمائياً ناطقاً فإن هذا «المشهد» لا يبدو في «سلبية» أو صورة» واحدة بل في عشرات من الصور تصور بالترتيب وبالتفصيل الحركات والأوضاع المختلفة التي تقوم بها أعضاء النطق وغيرها من الأعضاء الإنسانية لنطق هذه الكلمة. هذه الصور تدرس لمعرفة دلالتها الصوتية وسنجد أنه ليس من السهل أن نعثر على «صورة» تمثل أن المتكلم هنا قد فرغ من نطق صوت، وأخذ في نطق الذي يليه، بل سنتبين أن أعضاء

(١) Daniel Jones: The Phoneme pp. 1 — 2

النطق تكون أحياناً متهيئة لنطق الصوت التالي قبل أن تفرغ من نطق الصوت السابق.

٩ ـ من البديهي أن تستعين الدراسة الصوتية اللغوية بآلات تسجيل الأصوات حتى يتيسر تسجيل نتائج الدراسة والاحتفاظ بها والاستعانة بها في المقارنة وعند التدريس، كما أنه يستعان بها على تسجيل نماذج من الكلام المختلف في البيئات المختلفة. ولا شك أنه لو حفظت تسجيلات علمية دقيقة للغة من اللغات تمثل أنظمتها الصوتية ونطقها مدى قرنين مثلاً لكان من اليسير على علماء المستقبل أن يستنتجوا ما يكون قد أصاب بعد الأصوات، أو بعض الخصائص الصوتية من تطورات.

١٠ ـ ومن المحاولات التي تقوم بها الدراسة الصوتية الآلية الآن تكبير الحفائر التي تكون على أسطوانات الجراموفون بآلة خاصة. وذلك لأنه لما كانت الحفائر الموجودة على أسطوانة ما تسجيلاً لنطق أصوات معينة، ولما كانت هي نفسها تخرج نفس هذه الأصوات فإن دراستها ذات أهمية كبرى لعلم الأصوات اللغوية. ولكن علماء الأصوات اللغوية لم ينجحوا إلى الآن في تفسير دلالات أمثال هذه الحفائر من الناحية الصوتية تفسيراً مرضياً.

١١ ـ وأي «معمل» لدراسة الأصوات اللغوية نجده مزوداً بمكتبة من «الأسطوانات» التي سُجل عليها خلاصات دراسات صوتية معينة، ودراسات خاصة بأصوات لغات ولهجات كثيرة متنوعة، وأسطوانات مسجل عليها قراءات لنصوص مختارة، نصوص من الأدب الكلاسيكي، ونصوص من اللهجة العامية... الخ. والعادة أن يكون لكل أسطوانة «دليل» مدون فيه بالحروف الصوتية النص المسجل على الأسطوانة. وإن إطالة الاستماع إلى هذه الأسطوانات ضرورية لتكوين الأذن المرهفة وهي عنصر أساسي من عناصر الثقافة الصوتية، كما أنه يمكن استخدام بعضها في تعليم الناشئة نطق اللغات الأجنبية.

١٢ ـ ولا يخلو أي «معمل» لدراسة الأصوات اللغوية من عدد كبير من النماذج والخرائط، فنجد نموذجاً لأعضاء النطق مجتمعة، وأكثر من نموذج للحنجرة في أكثر من وضع من الأوضاع التي تتخذها عند نطق الأصوات المختلفة، ونموذجاً للأذن . . . . الخ. كما نجد خرائط تمثل أعضاء النطق عند إحداث بعض الأصوات. وهذه النماذج والخرائط ذات فائدة كبرى في تدريس علم الأصوات اللغوية.

بعد هذا التعريف بما يستخدمة علم الأصوات اللغوية من آلات وأجهزة وما إليها، سواء للبحث أو للتدريس، يجدر بنا أن نذكر أن الأذن السليمة المرهفة المدربة هي المعتمد الأساسي لدارسي الأصوات[1].

والآن ننتقل إلى الحديث عن وسيلة ضرورية من وسائل هذا العلم، وهي الكتابة الصوتية».

---

(١) رجعنا في التعريف بالدراسة الصوتية الآلية إلى ما ورد عنها في المراجع الآتية خاصة:

— D. Jones: English Phonetics

— D Jones: The Phoneme

— J. R. Firth: The Tongues of Men, Watts & Co., London.

— J. R. Firth: Word- Palatograms and Articulation. Bulletin of the School of Oriental & African Studies, XII, 3 & 4, 1948.

Published in "Papers In Linguistics 1934 — 1951, by J. R. Firth. Oxford University Press, 1957 pp. 148 — 155.

— J. R. Firth Firth (With H. J. Adam): Improved Techniques in Palatography. Bulletin of the School of Oriental & African Studies, XIII, 3, 1950.

(Also Published in "Papers In Linguistics, By J. R. Firth, pp. 173 — 176).

— Leonard Bloomfield: Language, pp. 75 — 76.

— Bertil Mallmberg: La Phonetique pp.103 — 107 (Que - sais - je? 637. Presses Universitaires De france, Paris, 1954).

— Maurice Grammont: Traité de Phonétique.

- ٤ -

الكتابة الصوتية[1]

يصطنع علم الأصوات اللغوية وسائل مختلفة لتحقيق غاياته منها استعانته ببعض الآلات، وقد عرضنا لهذا الجانب، ومنها استعانته بنظام خاص من الرموز الكتابية.

أ ـ لما كان علم الأصوات اللغوية هو العلم الذي يحلل ويسجل الأصوات وغيرها من عناصر الكلام، واستعمالها وتوزعها في الكلام المتصل، فقد وجد أنه لا بد له، كي يسجل الأصوات الكلامية تسجيلاً كتابياً لا غموض فيه، من استعمال ما يسمى في الاصطلاح «ألف باء صوتية» أو «أبجدية صوتية»[2]. هذه الألف باء الصوتية عبارة عن مجموعة اصطلاحية من الرموز الكتابية تكون نظاماً صالحاً لتسجيل أصوات لغة من اللغات تسجيلاً دقيقاً، ويسمى تسجيل الكلام بهذه «الرموز» كتابة صوتية؛ والمبدأ العام الذي يراعى في الألف باء الصوتية هو تخصيص حرف واحد (ونريد «بالحرف» هنا الرمز الكتابي) ليس غير لكل «فونيم»[3]، من فونيمات اللغة موضع الدرس. ولن نحاول الآن التفصيل في تعريف «الفونيم» فالكلام في

---

(١) Phonetic Transcription

(٢) Phonetic Alphabet

(٣) Phoneme

هذا طويل متشعب، ولعلماء اللغة والأصوات اللغوية نظريات متعددة في تحديد المقصود به، وحسبنا هنا أن نقول إنه يلاحظ في دراسة أي لغة من اللغات أن مجموعة من الأصوات المتمايزة ينبغي اعتبارها كما لو كانت صوتاً واحداً من وجهة نظر الكتابة، والنحو، والدلالة. ومثال ذلك أن صوت السين في كلمة «سلا» مختلف عن صوت السين في كلمة «سطا» وأن «الفتحة» التالية للباء في كلمة «بطر» مختلفة عن صوت الفتحة التالية لصوت الباء في كلمة «برد»، ومع ذلك فقد وجد، على أسس لغوية، أن الصوتين الأولين في المثالين الأولين «صوت» أو «فونيم» واحد، كما وجد أن من الملائم للأهداف اللغوية العملية اعتبار فتحتي «برد» و«بطر» كما لو كانتا صوتاً واحداً. وإذا استمعنا إلى الكلمات الإنجليزية — (Cool — Call — Keeps) لاحظنا أن مخرج صوت الكاف في الكلمة الأولى أمامي بالنسبة لصوت الكاف في الكلمتين الأخريين، أي أن كلا من هذه الكافات من الناحية الصوتية الخالصة صوت متميز، ولكنها جميعاً تعامل كما لو كانت صوتاً واحداً. أمثال هذه الأصوات يسميها الأستاذ دانيال جونز[1] عائلة صوتية واحدة، تتكون من صوت أساسي إلى جوار أصوات متصلة به، ويطلق لفظ «الفونيم» على مثل هذه العائلة الصوتية، ويعدّ الأصوات التي تتكون منها «أفرادَ» هذه العائلة. أي أنه ليس كل «صوت» مسموع في لغة من اللغات «فونيما» من فونيمات هذه اللغة. ومما يقرب هذا إلى الأذهان أن صوت الصاد مسموع في الإنجليزية في مثل Sun (بمعنى شمس) وSon (بمعنى ابن) ولكنه لا يعد من فونيمات هذه اللغة، وذلك لأنه لا يستخدم في الإنجليزية للتفريق بين المعاني، أي أنه لا يوجد في الإنجليزية كلمتان لكل منهما معنى مستقل، وتطابق أصوات إحداهما أصوات الأخرى

(١) انظر كتابيه السابقين.

إلا أنه يقابل السين في إحداهما الصاد في الثانية ، كما نجد في العربية «سَبْر» مقابلة «صَبْر» ؛ ولذلك فالصاد في العربية فونيم ، والسين فونيم . أما صوت الصاد المسموع في الإنجليزية فهو فرع من الفونيم المعروف بالسين . فلا تحتاج الكتابة الصوتية الممثلة للإنجليزية إلى رمز الصاد بينما تحتاج إليه الكتابة الصوتية الممثلة للعربية .

قلنا إن المبدأ العام في الكتابة الصوتية العملية هو الاكتفاء باستعمال رموز لتمثيل «الفونيمات» ؛ وهذا يتضمن عدم استعمال رموز لتمثيل الأفراد الثانوية للفونيمات . والواقع أن هذه الأخيرة تحددها في معظم اللغات مباديء بسيطة يسهل تقريرها منذ البدء ، وتقبل على أنها مسلمات في قراءة النصوص الصوتية . والكتابة الصوتية التي تكون مبنية على «حرف واحد لفونيم واحد» تسمى كتابة صوتية واسعة ، أو عريضة[1] ، أما تلك التي تزيد رموزاً خاصة للأعضاء الفرعية للفونيمات فتسمى «كتابة صوتية ضيقة»[2] ، ويجدر بنا أن نذكر أن «الألف باء الصوتية» لا هي علم الأصوات اللغوية ، ولا هي تعلم الأصوات اللغوية ، إنها وسيلة لم يجد علم الأصوات اللغوية غنى عن استعمالها ، فبدونها يكون وصف الاستعمالات الكلامية ، وتسجيلها بصورة دقيقة ، أمراً عسيراً ، قليل الجدوى قابلاً لخطأ التأويل .

ب ـ وقد يسأل جماعة . لم لم تتخذ الأبجدية العادية وسيلة لتمثيل الأصوات اللغوية .

الواقع أنه ما من أبجدية من الأبجديات المعروفة تفي بتسجيل الأصوات حق الوفاء ، فجلها فيه نقائص وعيوب لا تمكنه من تأدية هذه

(١) Broad Transcription

(٢) Narrow Transcription.

الغاية. نعم إن المبدأ الذي تقوم عليه الألف باء الصوتية، أي مبدأ «رمز واحد لكل فونيم واحد»، أساس من الأسس التي قام عليها كثير من الأبجديات التقليدية، ولكن هذه لا تحققه تحقيقاً ينهض بأغراض الدراسة اللغوية. نعم إنها تختلف فيما بينها في درجة تمثيلها الصادق للأصوات، فالكتابة الإسبانية والكتابة البولندية والبوهيمية والفنلدنية خير حظاً من كثير من الكتابات التقليدية، حيث شكلها، أو راجعها، علماء أدركوا النظام الفونيمي للغتهم، ولكنها جميعاً قاصرة، على الرغم من ذلك، عن أن تكون وسيلة عالم الأصوات اللغوية.

وإذا نظرنا إلى الكتابة العربية ـ وهي في هذه الناحية أحسن حظاً من كثير من الكتابات ـ وجدناها مثلاً تستعمل حرفاً واحداً هو الواو (و) دلالة على الفونيم الأول في كلمة «وعي» ـ وهو يندرج تحت طبقة الصوامت[1] ـ، وللدلالة على فونيم، مخالف كل المخالفة، وهو «الصوت الصائت الطويل»[2] في كلمة مثل «يقول». كذلك حرف الياء (ي) يمثل الفونيم الأول في كلمة مثل «يسمع»، ويمثل الفونيم الأخير ـ وهو صوت صائت طويل ـ في كلمة مثل «القاضي».

وإذا انتقلنا إلى الكتابة الإنجليزية وجدنا أنها أبعد من أن تكون كتابة صوتية، إذ أنها لا تعطي القارىء فكرة دقيقة عن «الترتيب الصوتي»، تلك الفكرة التي يحتاج إليها دارس اللغة الإنجليزية المنطوقة.

ولما كانت الإنجليزية تستعمل في كتابتها الحروف اللاتينية، ولما كانت لغات أخرى تستعمل في كتابتها نفس الحروف، فإن الفرنسي مثلاً

---

(١) Consonants.

(٢) Long-Vowel

عندما يأخذ في نطق الإنجليزية فهو ينسب إلى الحروف القيم التي تعود أن ينسبها إليها في لغته، أي أنه ينسب إليها قيماً غير تلك التي ينسبها إليها أصحاب اللغة، وذلك مثل (a) في gate و(i) في (Find) . و(u) في Tune . نعم إنه من السهل على الأجنبي أن يتعلم هذه القيم الإنجليزية في هذه الكلمات، ولكن الصعوبة تنشأ من أن هذه الحروف لا تنسب إليها نفس القيم في كل كلمة إنجليزية، أو فرنسية تستعمل فيها: فالقيمة المنسوبة لـ (a) في Gate غير تلك المنسوبة إليها في كل من fat, any, fall, father, watch .

وينتج عن عدم الاطراد هذا، أن الأجنبي، الذي يعتمد إعتماداً كلياً على الكتابة العادية، يكون في حالات لا حصر لها عاجزاً عن أن يعرف الأصوات التي عليه أن ينطقها، ويخطيء باستمرار نطق الكلمات. ويمكن تجنب مثل هذه الأخطاء في النطق باستعمال «الكتابة الصوتية». ثم إن عدد الحروف التي تتكون منها أي أبجدية من الأبجديات التقليدية لا يكفي لتمثيل الأصوات المستعملة في اللغات المختلفة.

ولكن ينبغي أن نقرر أن الكتابات الصوتية لا فائدة من ورائها لأولئك الذين لم يتعلموا تكوين الأصوات التي تمثلها «الحروف الصوتية»[1]. وإن الناشيء إذا تمكن من تكوين الأصوات المفردة تكويناً بالغ الدقة، فإنه يكون مؤهلاً لأن يأخذ في تعلم أصوات متتابعة.

حـ ـ وقد بذلت محاولات كثيرة لوضع نظام من الرموز الكتابية الدقيقة الصالحة لتقرير نتائج الدراسة الصوتية وملاحظاتها، فهذه النتائج والملاحظات لا بد أن توضع بصورة مكتوبة، كي يمكن الرجوع إليها،

---

(١) Phonetic Letters

والمناقشة فيها؛ أو بعبارة أخرى، كي تصبح هذه الدراسة والملاحظات «علماً» أو جزءاً من علم.

وبعض هذه النظم التي اقترحت تبتعد ابتعاداً كلياً عن العادات التقليدية في الكتابة:

١ ـ ومن أشهر هذه النظم «الكلام المنظور»[١] الذي وضعه «بـل»[٢] والسبب الرئيسي في شهرة هذه الطريقة هو أن هنري سويت[٣] (١٨٤٥ ـ ١٩١٢) قد استعملها. ورموز هذه الألف باء الصوتية عبارة عن «رسوم تخطيطية» مبسطة واصطلاحية لأعضاء الكلام عند نطق الفونيمات المختلفة، ذلك أن «بل» رمز لكل فونيم برسم تخطيطي لبعض أعضاء النطق الأساسية في تكوين هذا الفونيم. ولكن هذه الطريقة لم يقدّر لها الاستمرار والشيوع، فهي معقدة، وصعبة الكتابة، كما أنها كثيرة النفقة في الطباعة.

٢ ـ وثمة طريقة أخرى معقدة وصعبة، وتبتعد عن العادات التقليدية في الكتابة، ولم يقدر لها الاستمرار كذلك، تلك هي طريقة العالم الدانمركي أوتو يسيرسن المسماة «الخط الألف بائي»[٤]. هذه الطريقة تمثل الفونيم الواحد لا برمز واحد ولكن بمجموعة كاملة من الرموز. وكل عنصر من هذه المجموعة يمثل صفة من الصفات الأساسية لتكوين هذه الفونيم كموضع النطق، وكونه مجهوراً أو مهموساً، أنفياً أو غير أنفي. ومجموعة الرموز الممثلة للفونيم الواحد تتكون من حروف إغريقية، وأرقام عددية، بالإضافة

---

(١) Visible Speech

(٢) Graham Bell

(٣) Henry Sweet

(٤) Alphlabetic Notation.

إلى حروف لاتينية يستعملها يسيرسن على أنها شارحة. وكل حرف إغريقي في هذه المجموعة يمثل عضواً من أعضاء النطق، أما الرقم فيمثل درجة الانفتاح، وهكذا فالحرف a يمثل الشفتين، والرقم الذي يدل على الصفر وهو (0) يعني أن الشفتين مغلقتان. ومن ثم فإن (0) تظهر في الصيغة التي تمثل أي فونيم يحدث في نطقه أن تغلق الشفتان كما في الفونيمات الإنجليزية (p و b و m). أما الفونيم الإنجليزي: (m) كما في كلمة (man) فتمثله هذه الطريقة بالصيغة (a0,δ 2,ε 1) a0 تعني أن الشفتين مغلقتان كما ذكرنا، والحرف الإغريقي δ يرمز إلى أقصى الحنك الأعلى، أما الرقم 2 فيعني أن أقصى الحنك الأعلى منخفض بحيث يسمح للهواء بالمرور عن طريق الأنف، والحرف الإغريقي (ε) يرمز إلى الوترين الصوتيين، أما الرقم 1 التالي لهذا الحرف فيدل على أن الوترين الصوتيين متقاربان تقارباً يحدث ذبذبة. فهذه الصيغة المركبة إذن تشير إلى الفونيم الذي يحدث في نطقه أن تغلق الشفتان، وينخفض أقصى الحنك الأعلى، فيمر الهواء من الأنف؛ وهو «مجهور» لأن الوترين الصوتيين في حالة تذبذب، وهذه مجتمعة هي التي تكون صوت الميم. هذه الطريقة على الرغم مما فيها من فوائد إلا أنها عسرة ولا تصلح لتمثيل نطوق كاملة.

٣ ـ ولكن معظم الألف باءات الصوتية لا تنحو هذا النحو، بل تقوم رموزها على الألف باء اللاتينية التقليدية، مع إدخال تعديلات على بعضها، كإضافة خط أفقي صغير فوق الحروف، أو نقطتين فوق بعضها، أو تحوير صور بعض الحروف، ومع إدخال بعض صور «الحروف المكبرة»[١]، ومع إدخال حروف مأخوذة من الأبجدية اليونانية. ومن هذه الألف باءات ألف

---

(١) Capital Letters

باء «لبسيوس»[١] المستعملة لكتابة اللغات الإفريقية، وألف باء «لوندل»[٢] المستعملة لكتابة اللهجات السويدية، وألف باء «بريمر»[٣] المستعملة لكتابة اللهجات الألمانية، وألف باء «الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية»[٤] المستعملة لكتابة اللغات الهندية.

٤ ـ ومن أشهر صور هذا النوع من الكتابة الصوتية، وأكثره شيوعاً، «ألف باء الجمعية الصوتية الدولية»[٥]. هذه الألف باء اشترك في تكوينها جهود متوالية لعلماء كثيرين من أهمهم «إليس»[٦]، و«هنري سويت»، و«باسي»[٧]، ودانيال جونز. وضع هنري سويت نظاماً بسيطاً من الكتابة الصوتية بناه على الألف باء اللاتينية، وسماه «الخط الرومي»[٨] لاستعماله إلى جوار «الكلام المنظور» الذي وضعه «بل». وعندما اتضحت عند سويت فكرة «الفونيم» أدرك أن «الخط الرومي» من الممكن أن يظل وافياً بالغرض لو بسط تبسيطاً كبيراً. ولهذا فقد استعمل سويت صورة مبسطة من هذا الخط تشتمل على رمز واحد لكل فونيم، وسماها «الخط الرومي الواسع «أو «العريض»[٩]، ولكن سويت ظل يعتقد أن الصورة الأشد تعقيداً من هذه، أي «الخط الرومي الضيق»[١٠] كانت أدق شيئاً ما، وأكثر ملاءمة للأغراض العملية.

---

(١) Lepsius

(٢) Lundell

(٣) Bremer

(٤) American Anthropological Association

(٥) The Alphabet of the International Phonetic Association.

(٦) Ellis.

(٧) Passy

(٨) Romic Natation

(٩) Broad Romic

(١٠) Narrow Romic

ومن «الخط الرومي» الذي وضعه سويت نبتت «ألف باء الجمعية الصوتية الدولية، وهذه الألف باء تتكون من الرموز اللاتينية، وبعض الحروف اليونانية مع عدد من الحروف المصنوعة، وعدد قليل من «العلامات المميزة»[1] التي تضاف إلى بعض الحروف. والمبدأ الذي تقوم عليه هذه الألف باء من حيث القيم الصوتية للحروف هو استعمال الحروف العادية لتدل على قيم تقرب من تلك التي تنسب إليها في بعض اللغات الأوروبية الرئيسية، وذلك مثل t و p وv . . الخ، وإدخال علامات صناعية على بعض الحروف اللاتينية لتمثيل فونيمات غير موجودة في اللغات الأوروبية (وذلك كالحرف الذي يمثل الصاد) أو استعمال «العلامات المميزة» لتأدية نفس الغرض، كما تستعمل بعض العلامات المضافة إلى الحروف للدلالة على خصائص بعض الأصوات في بعض السياقات الصوتية، كالغنة التي تصحب صوتاً صائتاً في مواضع ولا تصحبه في سائر المواضع التي يقع فيها.

معروف أن «الألف باء الصوتية الدولية» لم تضع رموزاً لكتابة اللغات الأوروبية وحدها بل وضعت رموزاً يتيسر استخدامها، بشيء من المرونة والتعديل، عند كتابة أصوات أي لغة من اللغات. فقد حصر العلماء الذين قاموا على وضعها جميع الأنواع الصوتية الرئيسية في اللغات المعروفة على سطح الأرض، ورمزوا لكل نوع برمز خاص، أو على الأقل وضعوا إمكانيات الرمز لكل نوع برمز خاص. فكل رمز من رموز هذه الألف باء ليس «صوتاً» أو ممثلاً لصوت، إنه يمثل «نوعاً» صوتياً؛ فمثلاً صوت الباء (p) مستعمل في الإنجليزية والفرنسية كلتيهما، ولكن هذا الصوت في الإنجليزية يختلف عنه في الفرنسية، فهو في الإنجليزية يتبعه نفس شديد، أما

---

(١) Diacritical Marks

في الفرنسية فلا يصحبه هذا النفس. فرمز الـ (p) في هذه الألف باء يمثل نوعاً صوتياً عاماً يمكن أن يكيفه الدارس فيعطيه بذلك دلالة خاصة؛ لو كان يدرس الإنجليزية وحدها لاستعمله كما هو لأنه في تعريفه هذا الرمز سيفهم منه أنه يمثل صوتاً انفجارياً شفوياً مهموساً مصحوباً بنفس، ولو كان يدرس الفرنسية وحدها لاستعمله كما هو، لأن تعريفه لهذا الرمز يدل على أنه يمثل صوتاً غير مصحوب بنفس. أما لو أراد الدارس النص كتابة على الفارق بين هذين الصوتين لمثل الصوت الإنجليزي بـ (ph) مثلاً، ودل على الفرنسي (p) وحده.

إن الكتابة الصوتية وسيلة ضرورية لدارس الأصوات اللغوية، ومن هنا نجد أن محاولتنا الكتابة كتابة كاملة في اللغة وفي علم الأصوات اللغوية ومحاولتنا القيام بدراسات لغوية على أسس من العلم الحديث تقف في سبيلهما عقبة هامة، فلا بد من أن يصطلح العلماء المختصون عندنا على «ألف باء صوتية» يصلح استعمالها عند دراسة العربية، وعند دراسة سواها من اللغات، وعند الكتابة في الميدان اللغوي بوجه عام.

- ٥ -
حاجتنا إلى علم الأصوات اللغوية

أ ـ هذا العلم، علم الأصوات اللغوية، ما موضعه من سائر الدراسات اللغوية؟ إن بعض المحدثين من دارسي العربية في الشرق العربي ممن لم يتصلوا به، وممن اتصلوا به عن بعد، يعدونه ترفاً علمياً قاصدين بذلك أنه يقدم إلينا معلومات عن أصوات اللغات لا بأس على اللغوي إن هو لم يعرفها، ولا ضرر على الدراسة اللغوية إذا هي أهملتها؛ أما التخصص في هذا العلم فهو، في رأيهم، كالانصراف إلى جمع التحف الغريبة والطرف النادرة انصرافاً لا يقصد من ورائه إلا إشباع لذة التملك، وإلا المباهاة والمفاخرة.

والحق أن هذه نظرة غير سليمة إلى علم هو حجر الأساس لأي دراسة لغوية، إنها نظرة تفصح عن إدراك غير سليم لحقيقة «اللغة»، ثم هي نظرة لا تحسن تقويم تراثنا العربي في الدراسات اللغوية: فقد بينت في صدر هذا الباب أن أوائل الباحثين في العربية كانوا يعرفون لهذه الدراسة قدرها، وأنهم عليها بنو آرائهم، أو الكثير من آرائهم، في إصلاح الكتابة العربية، وفي وضع العروض والنحو، والصرف، والمعاجم وفي تدوين القراءات القرآنية.

ب ـ وهذا بيان موجز لقيمة هذا العلم، وما يمكن أن يؤديه من خدمات.

١ ـ لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما، دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية. فالكلام أولاً، وقبل كل شيء، سلسلة من الأصوات؛ فلا بد من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة، أو للعناصر الصغيرة، أقصد أصغر وحدات الكلمة، هذه الوحدات التي تتألف منها «المقاطع»(١) على أنظمة معينة تختلف باختلاف اللغات، المقاطع التي قد يكون بعضها، دون ائتلاف مع غيره، كلمات، والتي تتكون أكثر الكلمات من ائتلاف عدد منها. ما المقاطع التي يأتلف بعضها مع بعض؟ وعلى أي أنظمة صوتية يجري هذا الائتلاف؟ وما الذي يطرأ على بعض الأصوات عندما تأتلف المقاطع في الكلمات؟ ثم ما الذي يحدث عندما تلي الكلمة الكلمة في الكلام المتصل؟ هذا كله، وكثير غيره لا بد من إدراكه قبل الشروع في وصف أية لغة من اللغات. من المحال إذن دراسة بنية الكلمة دون التحقيق الصوتي للعناصر المكونة للكلمات؛ كما أن دراسة «نَظم»(٢) الكلام قاصرة ما لم يراع فيها دراسة الصور التنغيمية(٣) مثلاً. والدراسة الدلالية(٤)، أي دراسة المعنى، لا يمكن أن تثمر ما لم ترتكز على دراسة الصور الصوتية والتنغيمية.

٢ ـ ولأفصّل شيئاً ما في بيان كيف أن الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى. قد تكون «الفونيمات» المكونة لكلمة مطابقة للفونيمات المكونة لأخرى، أي قد تتطابق كلمتان من حيث الوحدات الصوتية الصغرى المكونة لكل منهما ولكننا نجد أن موضع «الارتكاز»(٥) في هذه الكلمة غير

---

(١) Syllables

(٢) Syntax

(٣) Intonational Forms

(٤) Semantic Study

(٥) Stress

موضع الارتكاز في تلك، أو أن إحداهما تنطق بارتكاز في موضع والثانية بلا ارتكاز واضح، ومعنى هذه غير معنى تلك؛ ومن ذلك في الإنجليزية كلمتا Record' و Re'cord : ففونيمات الأولى هي فونيمات الثانية ولكن بينهما خلافاً في موضع الارتكاز، فالارتكاز في إحداهما على المقطع الأول، وفي الثانية على المقطع الثاني، وإحدى الكلمتين اسم والثانية فعل. ومعنى هذا أن الارتكاز قد يستعمل استعمالاً وظيفياً للتفريق بين المعاني.

والأمثلة كثيرة على أن الكلمة الواحدة تدل على أكثر من معنى دون تغيير يلحق بفونيماتها، ولكن بسبب الإختلاف في التنغيم[1]. وقد يضاف إلى الاختلاف في التنغيم أحياناً الاختلاف في موضع الارتكاز، أو تغيير طول الأصوات الصائتة، أو هذان معاً، أو غير ذلك. من هذا كلمة «الله» في العامية المصرية: فهي تنطق بصور كثيرة لكل منها معناها، فأنا عندما أستعملها مريداً إظهار الإعجاب أنطق بها بصورة تختلف عن نطقي إياها عندما أريد التعبير بها عن المعبود الواحد، وأنطقها بصورة مخالفة لهاتين عندما أريدها مرادفة لـ «أيصح هذا؟ أتفعل هذا؟» فهذه كلمة واحدة من الناحية الفونيمية ولكن كلا من هذه الصور الثلاث كلمة من حيث المعنى. وكثيراً ما نجد أن العبارة الواحدة تدل على التقرير، وباختلاف نغماتها تدل على الاستفهام، وبنطقها على نغمات أخرى تدل على التعجب وهكذا. وثمة لغات كاليابانية والصينية وبعض لغات أواسط إفريقيا يكثر استعمال التنغيم فيها استعمالاً وظيفياً للتفريق بين المعاني. (أنظر فيما يلي شيئاً من التعريف بـ «الفونيم» تحت الفصل المسمى «الفونولوجيا»).

٣ ـ وعلم الأصوات اللغوية لا يقتصر على خدمة الدراسة اللغوية

---

(١) Intonation

«الوصفية»، أي لا يقتصر على وصف الأصوات والأنظمة الصوتية الخاصة بلغة ما في فترة معينة من تاريخها. بل يخدم الدراسة اللغوية «التاريخية»(١) والدراسة اللغوية «المقارنة»(٢) كذلك، فهو يقارن بين أصوات لغة معينة في فترة معينة وبين أصوات نفس اللغة في فترة أخرى من فترات تطورها بعد دراستها في هذه الفترة دراسة وصفية، أو بينها وبين أصوات لغة أخرى في عصر خاص من عصور تطورها. إنه لا سبيل إلى قيام «فقه اللغة المقارن»، أو «النحو المقارن»(٣) دون الاعتماد على الأساس الصوتي؛ فهذا الجانب من الدراسة اللغوية يظهرنا على التغيرات التي تطرأ على أصوات معينة في لغات متقاربة، ويصل من ذلك إلى شبه «قوانين» تعرف «بالقوانين الصوتية» وإن لم تتصف هذه «القوانين» بما تتصف به القوانين الخاصة بالعلوم التطبيقية من حتمية وجبرية.

٤ ـ وإذا كان علم الأصوات اللغوية ضرورياً للشروع في تقرير الحقائق اللغوية للغة من اللغات كما قدمنا، فإنه يعين كذلك في وضع أبجديات دقيقة للغات التي ليس لها كتابات حتى الآن، ويعين في إصلاح الأبجديات التقليدية لتكون أدق تمثيلاً للنطق.

٥ ـ ولا غنى للمعاجم عن الاستعانة بالثقافة الصوتية اللغوية فالمفروض أن واجب المعاجم لا يقتصر على تبيان معاني «المفردات»، وتطور هذه المعاني بل يتعداه إلى تمثيل نطق هذه المفردات، وهذا لا يكون إلا باصطناع نظام من الرموز الكتابية يكون أدق تمثيلاً للنطق من الأبجدية التقليدية.

---

(١) Historical

(٢) Comparative

(٣) Comparative Grammar

٦ ـ ثم إن علم الأصوات اللغوية يقدم عوناً كبيراً في إجادة نطق اللغة الأصلية وفي تعلم نطق اللغات الأجنبية. بل لقد كان ينظر إلى هذا العلم في أوروبا في العصور الوسطى على أنه الذي يعلم نطق الكلام، الذي يعلم الإلقاء والإنشاد والخطابة، ولكن هذا لا يدخل فيما يدل عليه هذا العلم في صورته الحاضرة. فعلم الأصوات اللغوية باعتباره فرعاً من علم اللغة يقدم جملة من الوسائل الصالحة والضرورية لتقرير الحقائق اللغوية ولكن لا شك أن نتائج هذا العلم يستعان بها في إجادة نطق اللغات، وفي تعلم نطق اللغات الأجنبية، أي أنه يستخدم لتأدية هذه الوظيفة دون أن يكون هذا هو القصد الأساسي منه، أو غرضاً من أغراضه من حيث هو علم.

من الثابت أن الإنسان إذا تعلم لغة أجنبية فهو يميل، غير واع في معظم الأحيان، إلى أن ينطق أصوات اللغة الأجنبية من خلال أصوات لغته هو، وإلى أن يفرض الأنظمة الصوتية الخاصة بلغته على الأنظمة الصوتية الخاصة باللغة الجديدة. وعلم الأصوات اللغوية يقدم خير عون لإصلاح هذا الخلل. فهو إذ يصل إلى وصف أصوات اللغتين ووصف أنظمتهما الصوتية، يمكنه أن يصف لنا طرق العلاج، أو هو يمكن معلمي اللغة الأجنبية من ذلك. وإن علاج النطق في حالة «الصوامت» سهل ميسور إذا قورن بعلاج النطق في حالة الصوائت. قد يظن متعلمو الإنجليزية من العرب أن «التاء» العربية مطابقة «للتاء» الإنجليزية؛ ولكن الدراسة الصوتية تظهرنا على أن التاء العربية تتميز بأنها (سنيّة)[1]، أي أن طرف اللسان في نطقها يعتمد على الأسنان العليا أو على أصولها، وعلى أن «التاء» الإنجليزية تتميز بأنها (لثوية)[2]، أي أن اللسان في نطقها يعتمد على اللثة لا على الأسنان.

(١) Dental

(٢) Alveolar

(«والراء» العربية كذلك تختلف عن الراء الإنجليزية ، : فنحن إذا حاولنا أن ننطق التاء في كلمة مثل (take) فنحن ننطق في الأغلب التاء العربية . عن طريق علم الأصوات اللغوية نعلم ما بين تكوين هذين الصوتين من فرق حتى يمكننا بطول المران أن نتحلل من عاداتنا الصوتية فننطق الصوت الأجنبي النطق الصحيح .

ويلاحظ أنه إذا تيسر لمتعلم لغة أجنبية أن يجيد في وقت قصير نطق «الصوامت فإنه يجد صعوبة كبيرة في إجادة نطق «الصوائت» ، ذلك لأن أي اختلاف يسير في وضع اللسان أو في شكل الشفتين ينتج صوتاً صائتاً النوع .

على أن أكبر صعوبة يجدها الآخذ في تعلم نطق لغة غير لغته الأصلية هي في محاولته نطق خصائص الأصوات عندما تأتلف في كلمات ، وفي كلام متصل ، وذلك كالارتكاز والتنغيم .

إن التركيب المقطعي[1] في لغة غير التركيب المقطعي في لغة أخرى ، ومواضع وقوع الارتكاز في هذه اللغة غير مواضع وقوعه في تلك ، «وتنغيم» كلمات هذه اللغة وجملها غير تنغيم كلمات تلك وجملها . علم الأصوات اللغوية يصف لنا التركيب المقطعي لكلتا اللغتين ، ويبين لنا المواضع التي يقع عليها الإرتكاز في كل منهما ودرجات الارتكاز في كل موضع ، كما أنه يحدد لنا المواضع التي لا يقع عليها ارتكاز البتة ، وهكذا يمهد لنا السبيل إلى التخلي تدريجياً عن فرض «عاداتنا الصوتية»[2] على نطق اللغة الجديدة .

إن إتقان تنغيم كلمات لغة أجنبية وجملها أمر شاق . ومن هنا كان

---

(١) Syllabic Structure

(٢) Phonetics Habits

الإنجليز أو الفرنسيين عندما يسمعون كثيراً من الألمان يخاطبون بالإنجليزية أو الفرنسية يتوهمون أنهم يعنفونهم أو يهاجمونهم ، وذلك لأن تتابع المقاطع في الألمانية يخالف ما يجري عليه تتابعها في الإنجليزية أو الفرنسية ، كما أن النغمات الدالة على الاستفهام مثلاً تختلف في الألمانية عن النغمات الدالة على الاستفهام في الإنجليزية والفرنسية ، فربما ينطق الألماني الجملة البسيطة؟ How do You do فيرى الإنجليزي فيها شيئاً من الإثارة موجهاً إليه[1] .

(١) انظر فيما يلي تفصيل الكلام عن «الارتكاز» وعن سواه من خصائص الأصوات .

- ٦ -

من أسباب تخلف دراساتنا اللغوية

أظن أن هذه العجالة في التعريف بعلم الأصوات اللغوية قد أوضحت مدى تخلفنا عن القدرة على النهوض بدراسات لغوية على أسس من التفهم الحديث للغة ولمناهج دراستها ووسائلها. فلا شك أننا لا نستطيع أن نكتب نحواً للعربية على الأصول الحديثة دون أن ندرس علم اللغة العام ومن مباحثه علم الأصوات اللغوية، ولن نستطيع أن ندرس اللهجات العربية الحية، ولا أن نقارن بينها وبين تلك اللهجات القديمة التي روى عنها نتف في بعض الأصول العربية، دون أساس من علم اللغة العام، ومن علم الأصوات اللغوية.

ولا شك أن المحاولات التربوية لتبسيط النحو أو لإصلاح الكتابة، أو لغير ذلك مما ليس وصفاً علمياً للغة إنما هو استفادة من نتائج الوصف العلمي، ولا شك أن هذا نفسه لن يتيسر دون أن نأخذ بالقسط اللازم من هذا العلم.

والقراءات القرآنية نفسها يتيسر لدارس الأصوات اللغوية كتابتها بصورة أدق، وتبيان ما بينها من وجوه الخلاف، وتسجيل تلاوتها تسجيلاً صوتياً، بحيث يكون تعلمها أبسط وأيسر من أخذها عن طريق كتب التجويد.

ونشرع الآن في عرض أهم مسائل علم الأصوات اللغوية عرضاً فيه شيء من تفصيل.

- ٧ -
النطــق

(أ) أعضاء النطق

١ ـ أشرنا إلى أن اللغـة المنطوقـة «أصـوات» تكوّن نظامـاً خاصـاً، ويحدثها جهاز النطق الإنساني. هذه «الأصوات» الكلامية»[١] تحـدث في الفم، والأنف والحلق، وتنظم في كلمات وعبارات لتأدية الوظـائف التـي على اللغة أن تقوم بها.

ومن ثم فإن أول واجب على دارس الأصوات، هو معرفة ما يسمـى «أعضاء النطق» من حيث تكوينها، ومـن حيث كيفية استعمالهـا في تكوين الأصوات الكلامية، أي من حيث وظائفها.

ونرى أن نذكر بما قلناه من أن الأعضاء التي جرى الاصطلاح علـى تسميتها «أعضاء النطق» لا تنحصر وظيفتها في إحداث الأصوات، بل إن لها وظائف أخرى: كالذوق للسان، وكسر الطعام وطحنه للأسنان والأضراس، والشـم للأنف، والتنفس لهـا وللـرئتين، إلـى غير ذلك ممـا لا يدخـل في دراستنا؛ فتسمية هذه الأعضاء «أعضاء النطق» تسمية من وجهة نظـر علـم الأصوات اللغوية (أنظر رقم (٣) ص ٦٤ ـ ٦٥).

(١) أنظر فيما يلي الفصل الثامن الخاص بالصوت الكلامي (ص ١٥٤ ـ ١٥٩).

قلنا إن أول واجب على دارس الأصوات اللغوية هو معرفة أعضاء النطق تكويناً ووظيفة، ولكن هذا لا يعني أنه في حاجة إلى الإلمام بكل التفصيلات التي يقدمها لنا علم «وظائف الأعضاء» وعلم «التشريح» عن أعضاء النطق، إذ إن الكثير من هذه المعلومات لا يؤدي له نفعاً، ولكن هناك قدراً ضرورياً من المعرفة بهذه الأعضاء عليه أن يحصله.

هذه المعرفة هي الحجر الأساسي لوصف الأصوات وصفاً علمياً وتصنيفها.

وليس المقصود أن تكون هذه المعرفة نظرية، أعني معرفة تقتصر على حفظ أسماء أعضاء النطق، ووصف تكوينها ووظائفها، بل المقصود أن على دارس الأصوات أن ينتقل من هذا إلى أن تكون له، بعد طول مران، قدرة على إحداث أصوات أي لغة، أو كما كان يقول العرب القدماء على «ذوق» الحروف (و «الحروف» هنا تعني أصوات اللغة).

هذه «الأصوات الكلامية»[1] تنتجها حركات لأجزاء من الفم والأنف والحلق والرئتين. وليست أعضاء النطق جميعاً متحركة، أي قابلة لأن تتحرك، بل معظمها ثابت وقليل منها هو القابل للحركة كاللسان والشفتين.

وإذا توصل إنسان إلى السيطرة على «الأنواع العامة»[2] للحركة التي تقوم بها هذه الأجزاء، وعلى «الارتباطات»[3] التي يمكن أن تكون بين هذه الحركات، فإنه قادر إذن على نطق أصوات أية لغة، لأن أصوات اللغات جميعاً تحدثها ارتباطات معينة بين هذه الأعضاء.

---

(١) Speech-Sounds

(٢) General Types

(٣) Combinations

وإذا توصل إلى خلق وسائل كتابية لتمثيل هذه الحركات ، فإنه إذن قادر باصطناعها أن يمثل ، كتابةً ، أصوات أية لغة . وهذه الوسائل نجدها فيما يسمى «بالكتابة الصوتية» Phonetic Transcription ـ وقد عرضنا لها ـ وهكذا فإن الحرف [b] ـ كما سنرى على وجه التفصيل ـ يمثل حركة للرئتين تخرج الهواء إلى أعلى وإلى الخارج خلال الحلق ، وخلال الوترين الصوتيين متذبذبين ، وإلى الفم ؛ ويبين هذا الرمز كذلك أن «مجرى الهواء» قد آنس في الفم اعتراضاً آنيّاً ولكنه اعتراض تام ناتج عن غلق ممر الهواء إلى الأنف ، وغلق ممره خلال الفم عن طريق غلق الشفتين .

٢ ـ والآن نأخذ في التعريف بأعضاء النطق الرئيسية حتى نألف أسماءها العربية ، وما يقابل هذه الأسماء بالإنجليزية والفرنسية تيسيراً للرجوع إلى ما كتب عن الأصوات اللغوية بهاتين اللغتين .

١ ـ «الحنك»[١] ، أو «سقف الحنك»[٢] أو «سقف الفم»[٢] أو «الحنك الأعلى»[٢] .

يقسم الحنك من وجهة نظر الأصوات اللغوية إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ «مقدم الحنك»[٣] أو «اللثة»[٤] .

---

(١) Palate

بالفرنسية : Palais

(٢) The roof of the mouth

(٣) Teeth-Ridge; Alveoli

بالفرنسية : Les Alveoles des dents

(٤) Gums

٢ ـ «وسط الحنك»[١] أو «الحنك الصلب»[١].

٣ ـ «أقصى الحنك»[٢] أو «الحنك اللين»[٢].

وإليك تعريفاً مبسطاً بكل قسم من هذه الأقسام:

١ ـ «مقدم الحنك» هو ذلك القسم من سقف الحنك الواقع خلف «الأسنان العليا»[٣] مباشرة وهو «محدب»[٤] ومحزز.

أما الحد الفاصل بين اللثة وبين ما يليها من الحنك الصلب فهو ذلك الموضع من سقف الحنك الذي ينتهي فيه التحدب ويبدأ التقعر. واللثة من أعضاء النطق الثابتة.

٢ ـ، ٣ ـ أما بقية الحنك فهو يقسم كما ذكرنا إلى «وسط الحنك» أو «الحنك الصلب»، و«أقصى الحنك» أو «الحنك اللين».

ويمكن أن يدرك الفارق بين صلابة الجزء الصلب، وليونة الجزء اللين بالنظر في مرآة، أو باللمس باللسان، أو بالإصبع. الحنك الصلب ثابت لا يتحرك، أما الحنك اللين فهو قابل للحركة. قد يُرفع الحنك اللين، وقد يخفض فإذا رفع إلى أقصى ما يمكن فإنه يمس الجدار الخلفي للفراغ الحلقي، وهكذا يمنع مرور الهواء، الخارج من الرئتين، عن طريق الأنف.

---

(١) Hard Palate
بالفرنسية: Palais Dur

(٢) Soft Palate; Velum
بالفرنسية: Voile du Palais; Palais Mou

(٣) Upper Teeth
بالفرنسية: Les Dents Supérieures

(٤) Convex

وكثير من أصوات اللغة العربية يتكون عندما يتخذ الحنك اللين هذا الموضع، مثل أصوات الباء، والتاء والسين، والصاد... الخ.

أما إذا خفض الحنك اللين فإن الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين يكون مفتوحاً لكي ينفذ من الأنف. ولا يتم نطق النون والميم العربيتين إلا عندما يتخذ الحنك اللين هذا الموضع.

أما نهاية الحنك اللين فتسمي «اللهاة»(١)، ولها دخل في نطق القاف العربية.

٢ ـ «الفراغ الحلقي»(٢)، أو «التجويف الحلقي»(٢):

وهو الفراغ الواقع بين أقصى اللسان وبين الجدار الخلفي للحلق.

٣ ـ وفي أسفل الفراغ الحلقي تقع «الحنجرة»(٣) وهي تكوّن الجزء الأعلى من «القصبة الهوائية»(٤) (وهي الممر المؤدي إلى الرئتين ـ أنظر الكلام على «الوترين الصوتيين» فيما يلي).

٤ ـ أما «الغلصمة»(٥) فهو نوع من اللسان واقع فوق الحنجرة بصورة

---

(١) Uvula

بالفرنسية: La Luette

(٢) Pharynx

بالفرنسية: Le pharynx

(٣) Larynx

بالفرنسية: Le Larynx

(٤) Wind - Pipe

(٥) Epiglottis

بالفرنسية: Epiglotte

خاصة لتحمي الحنجرة خلال عملية البلع ، ولكن يبدو أنه لا دخل لها في تكوين أي صوت كلامي .

٥ ـ الوتران الصوتيان[١] ، أو «الحبال الصوتية» :

وهما أشبه بشفتين منهما بوترين ، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية . وهذان الوتران ممتدان بالحنجرة أفقياً من الأمام إلى الخلف . وهما من أعضاء النطق المتحركة ، ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات الكلامية ، وهذه الأوضاع أربعة هي :

١ ـ الوضع الخاص بالتنفس[٢] .

٢ ـ وضعهما حالة تكوين «نغمة موسيقية»[٣]

٣ ـ وضعهما حالة «الوشوشة»[٤] .

٤ ـ وضعهما حالة تكوين «همزة القطع»[٥] .

والآن نتكلم عن كل وضع من هذه الأوضاع بشيء من التفصيل :

١ ـ وضع الوترين حالة التنفس :

قد ينفرج الوتران الصوتيان مفسحين مجالاً للنفس أن يمر خلالهما دون أن يجابه أي اعتراض ، وهذا يُحدث ما يسمى في الاصطلاح الصوتي بـ «الهمس» (مقابل «الجهر») .

---

(١) Vocal Cords (Chords)
بالفرنسية : Les Cordes Vocales

(٢) Breath

(٣) Musical - note, Chest - note

(٤) Whisper

(٥) Glottal Stop

وتسمى الأصوات التي تنطق عندما يتخذ الوتران هذا الوضع الأصوات «المهموسة»[1].

ويتخذ الوتران الصوتيان هذا الوضع عند نطق «الصوامت» العربية الآتية: التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والفاء، والقاف والكاف، والهاء.

٢ ـ وضع الوترين الصوتيين عند إصدارهما نغمة موسيقية:

يتضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة. وهذا يسمى تذبذب[2] الوترين الصوتيين. هذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية تختلف «درجة»[3] و«شدة» باختلاف عدد الحركات الإيقاعية ومداها. هذه النغمة الصوتية تسمى في الاصطلاح الصوتي «الجهر»[4] كما تسمى الأصوات التي تصحبها هذه النغمة «الأصوات المجهورة»[5]. والأصوات العربية المجهورة هي «الصوائت» (أي ما يسميه نحاة العربية «الحركات»، و« حروف المد واللين» مقصوداً بها الألف والواو والياء في مثل قال، صبور، بديع)

---

(١) Voiceless Sounds
بالفرنسية: Sons Sourds

(٢) Vobration
بالفرنسية La Vibration

(٣) Pitch
بالفرنسية: Hauteur

(٤) Voice
بالفرنسية: La Voix

(٥) Voiced Sounds
بالفرنسية: Les Sons Sonores

و«الصوامت»» الآتية: الباء، الجيم، الدال، الذال، الراء، الزاي، الضاد، الظاء، العين، الغين اللام، الميم، النون، الواو (في مثل «وجد»)، الياء (في مثل «يرى»).

٣ ـ أما وضع الوترين حالة «الوشوشة»:

فهو لا يهمنا كثيراً في دراسة الكلام الطبيعي.

٤ ـ وضع الوترين الصوتيين عند تكوين همزة القطع:

قد ينطبق الوتران الصوتيان انطباقاً تاماً فلا يسمحان للهواء بالمرور إلى الفراغ الحلقي مدة انطباقهما، وهذا هو وضعهما حالة «قطع النفس»، وعندما ينفرج الوتران، بعد انطباقهما التام مدة، يسمع صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مضغوطاً فيما دون الوترين الصوتيين. وهذا الصوت هو ما يسميه العرب «همزة القطع».

٦ ـ اللسان:

يكفي لأغراض الدراسة الصوتية أن يقسم اللسان إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الجزء المقابل للحنك اللين (لأقصى الحنك)، في الحالات العادية ويسمى «أقصى اللسان»[1] (مؤخر اللسان)[1].

٢ ـ والجزء الذي يقابل الحنك الصلب (وسط الحنك). في الأحوال العادية، ويعرف بـ «وسط اللسان»[2].

---

(١) Back of the Tongue

بالفرنسية. Le Dos de la Langue

(٢) Front of the Tongue

بالفرنسية: La Couronne.

٣ ـ والجزء الذي يقابل اللثة ويسمى «طرف اللسان»(١)

أما «نهاية اللسان»(١) («ذلق اللسان»(٢)، أو «ذولقة»(٢)) فهي داخلة في الجزء الذي اصطلح على تسميته بطرف اللسان(٢).

إن اللسان من أعضاء النطق المتحركة، وهو عضو بالغ المرونة. فمن الممكن أن يمس «ذلق» اللسان أي جزء من الحنك الأعلى فيما بين الأسنان وابتداء «الحنك اللين» وكذلك سائر أجزاء اللسان تستطيع أن تمس مواضع مختلفة من الحنك الأعلى. كما أن الجزء الأمامي من اللسان قادر على الحركة إلى الجانبين، وكذلك يرتفع اللسان وينخفض.

٧ ـ الشفتان(٣):

الشفتان من أعضاء النطق المتحركة، وهما تتخذان أوضاعاً مختلفة عند نطق الأصوات المختلفة؛ ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع بيسر وسهولة: تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ثم تنفرجان فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً كما في نطق الباء. وتستدير الشفتان كما يحدث عند نطق «الضمة». وهما تتخذان وضعاً مخالفاً في نطق الكسرة العربية، وقد تنفتح الشفتان حتى يتباعد ما بينهما إلى أقصى درجة؛ ويلاحظ أن فتح الشفتين ذو درجات مختلفة؛ واختلاف درجة فتح الشفتين

---

(١) Blade of the tongue

(٢) Tip (Point) of the tongue

بالفرنسية: La pointe de la langue

أوما «أصل اللسان» فيقابله في الإنجليزية Root of the tongue، وفي الفرنسية a Racine.

(٣) Lips

بالفرنسية Les Lévres

يؤثر في طبيعة الصوت المنطوق . وهذا يلاحظه الذين يقومون بتدريس لغة أجنبية وخاصة في نطق «الصوائت» .

٨ ـ **الأسنان**(١) :

وهي من أعضاء النطق الثابتة ؛ وهناك أسنان عليا ، وأسنان سفلى ، والأسنان تتخذ مواضع يعتمد عليها اللسان عند نطق بعض الأصوات (كما في التاء والدال مثلاً) .

يظهر من هذا التعريف السريع بأعضاء النطق أن أعضاء النطق المتحركة هي : الوتران الصوتيان ، والحنك اللين ، واللسان ، والشفتان . أما سائر أعضاء النطق فثابتة . ويلاحظ أن كل عضو من الأعضاء المتحركة قد يعمل وحده دون الاشتراك مع غيره من الأعضاء المتحركة أو قد يعمل مشتركاً مع بعضها .

ب ـ آلية النطق(٢)

١ ـ تحدث الأصوات في العالم الطبيعي نتيجة قرع بجسم ، أو نفخ بجسم أو احتكاك جسمين . الخ ، أما معظم الأصوات الكلامية فيحدثها عمود هوائي متحرك يجري خلال فراغ ضيق في الفم ، أو الأنف ، أو الحلق . وكون العمود الهوائي متحركاً يستلزم وجود باعث على الحركة ؛ وهذا يستلزم كذلك أن تكون له نقطة بدء ، ونقطة نهاية ، وأن يسير في اتجاه خاص . ومن المستطاع التأثير في هذا العمود الهوائي في مواضع أخرى غير مبدئة وغير منتهاه . ولكي يتحرك عمود من الهواء في الفراغات الموجودة في جهاز

---

(١) Teeth.
Les Dents

(٢) Mechanism of Utterance

النطق الإنساني فهو في حاجة إلى ما «يدفعه» أو إلى ما «يجذبه».

١ ـ وقد يعترض مجرى الهواء في موضع أو أكثر فيما بين مصدره ومنتهاه:

ويدفع الهواء بأن تنقبض جدران الرئتين فيندفع الهواء خارجهما، ولذلك فالرئتان في هذه الحال مصدر، «مجري الهواء» هما مبدأ «العمود الهوائي». وجميع أصوات اللغة العربية في نطقها الطبيعي، تكون الرئتان هما باعث المجرى الهوائي المتخذ في نطقها.

٢ ـ ولكن المجرى الهوائي قد يبدأ في مواضع أخرى، فقد يضغط اللسان على سقف الحنك الأعلى ويحرك إلى الوراء، وهو لا يزال ضاغطاً على الحنك فينشأ نوع من «المص»[١] ويندفع الهواء إلى الداخل ليملأ الفراغ الجزئي وهذا هو ما يحدث عندما نرشف شراباً بواسطة «ماصة». وإذا حدث في هذه الحال أن يَسد الوتران الصوتيان الطريق إلى الرئتين بينما ترفع الحنجرة، فإن الهواء المتجمع في الحلق يضغط ويضطر إلى الخروج عن طريق الفم أو الأنف. وهناك أصوات كلامية في بعض اللغات تحدث عن طريق تحريك العمود الهوائي بهذه الكيفية[٢]. ولما كانت طبيعة الصوت الكلامي تتأثر بالكيفية التي ينشأ بها المجرى الهوائي كان لزاماً على دارس اللغة أن يتعرف مصدر المجرى الهوائي في كل صوت كلامي.

٣ ـ ثم إن اتجاه المجرى الهوائي يؤثر كذلك في الصوت؛ والمجرى الهوائي ـ كما ذكرنا ـ يمكن تغييره والتأثير فيه في غير مبدئه ومنتهاه. والأعضاء التي تغير المجرى الهوائي وتضبطه إما أنها متحركة وإما أنها ثابتة وعندما تؤثر هذه الأعضاء المتحركة في مجرى الهواء فنحن نستطيع أن نسميها

---

(١) Suction.

(٢) تسمى «أصوات المصمصة» Clicks

«نواطق»[1]، أما الأجزاء الثابتة من أعضاء النطق فيمكن اتخاذها وسائل للدلالة على حركة الأجزاء المتحركة.

وعندما يمس عضو من الأعضاء الناطقة المتحركة عضواً آخر من هذه أو أحد الأجزاء الثابتة، فالاصطلاح جار على تسمية موضع التماس (التلاقي)، أو التقارب «موضع النطق»[2]. وهكذا نستطيع أن نصنف أصوات أي لغة حسب مواضع نطقها، فنقسمها مثلاً إلى «شفوية»، و«لثوية»، و«لهوية»، و «حنكية»، و«حلقية»، و«سنية».... الخ.

٤ ـ وتأثير الأجزاء المتحركة من أعضاء النطق في المجرى الهوائي يحدث على صور كثيرة: منها أن يغلق الفم والأنف حتى يوقف مجرى الهواء وقفاً تاماً، كما يحدث في نطق الباء، والتاء، والدال. وقد يوقف مجرى الهواء وقفاً تاماً في الحلق وقتاً ما، وعندما ينقضي هذا الوقف التام الوقتي يندفع الهواء عن طريق الأنف أو الفم.

وعلى هذا الأساس نستطيع تصنيف الأصوات حسب، «طريقة النطق»[3] أو (« هيئة النطق »)[3]، فنقول مثلاً إن الصوت «انفجاري» أو «احتكاكي»... الخ (انظر تفصيل هذا فيما يلي).

٥ ـ وقد يعترض مجرى الهواء في الوترين الصوتيين فيحدث عن ذلك ما أشرنا إليه من تذبذب الوترين أو عدم تذبذبهما، وعلى هذا الأساس نصف الأصوات إلى «مجهورة»[4] و «مهموسة»[5].

---

(١) Articulators

(٢) Point of Articulation

في المصطلح العربي القديم «مخرج»

(٣) Manner of Articlation

(٤) Voiced

(٥) Voiceless.

- ٨ -

الصوت الكلامي[١]

أ - يمكن أن نستنتج من وصفنا لجهاز النطق الإنساني أنه قادر على إحداث عدد كبير جداً من الأصوات الكلامية؛ ولكننا نستطيع أن نستنتج كذلك من الملاحظة السريعة غير الدقيقة للغات المختلفة أن كل لغة لا تصطنع إلا عدداً محدوداً من الأصوات، فنحن في العربية لا نستعمل جميع الأصوات التي يمكن أن يحدثها جهاز نطقنا.

ويجب على دارس الأصوات اللغوية، أو عالم اللغة بوجه عام، أن تتوفر له القدرة على وصف جميع الأصوات الكلامية الخاصة بأي لغة من اللغات. وكي يؤدي هذا فعليه أن يصطنع منهجاً ما لتصنيف الأصوات. من الممكن أن تصنف الأصوات حسب تأثيرها السمعي، أي حسب خواصها السمعية، فنصنفها حسب، «ارتفاعها» أو «انخفاضها»، أو حسب صفاتها الموسيقية. ووصف التأثير السمعي للأصوات ينتهي بنا إلى أن نطلق عليها أوصافاً مثل «لينة» و«خشنة» و«عذبة» . . . الخ ولكن هذه الألفاظ لا تتصف بالدقة العلمية الواجبة في مثل هذه الدراسة ولن تفيدنا كثيراً في دراستنا اللغوية.

---

(١) Speech - Sound

وقد اعتمدنا في التعريف بالصوت الكلامي على رأي الأستاذ دانيال جونز

Daniel Jones: The Phoneme, PP. 1 - 3.

استعملنا مصطلح «الصوت الكلامي وجمعه «الأصوات الكلامية» دون أن نعرف طبيعته. ويحسن بنا قبل أن نتقدم إلى الحديث عن تصنيف الأصوات على أسس علمية دقيقة. أن نتعرف طبيعة الصوت الكلامي.

ب ـ يكاد يتكون كل نطق أو كل «سلسلة كلامية» من عدد كبير من عناصر صغيرة لا يتشابه اثنان منها. وهذا واضح من الآثار الصوتية التي تسجلها للأصوات بعض الآلات كالأسيلوجراف (انظر التعريف به ص ١٠٣) وإسطوانات الجراموفون. فمن النادر جيداً أن نجد قطعاً من «سلسلة كلامية» يتماثل الصوت فيها طبيعةً، وشدة، ودرجة، أي من النادر جداً أن نجد «النوع الصوتي»[1] الذي تظهر «آثاره الصوتية»[2] (في رسم الأسيولوجراف، أو على الأسطوانة) ممثلة بموجات متتابعة نفس التتابع.

ولكن تقسيم سلاسل الكلام إلى «أقسام»، أو «قطع» أو «عناصر» نسميها «الأصوات الكلامية» أمر ملائم لتحقيق أغراض الدراسة اللغوية.

١ ـ نعم، إن مواضع الفصل بين الأصوات الكلامية المتتابعة تدل عليها أحياناً تغيرات حادة بارزة في نماذج الآثار الصوتية. ولكن الأغلب أنها (أي مواضع الفصل. . .) لا تظهر بوضوح في أمثال هذه الآثار الصوتية.

والواقع أنه قد ثبت أن ما نسميه في الدراسات اللغوية «الصوت الكلامي» لا وجود له من وجهة نظر علم الطبيعة (الفيزياء)، كما ثبت أنه إذا ولى عنصر من العناصر التي نسميها «الصوت الكلامي» عنصراً آخر فالأغلب أنهما يتداخلان تدريجياً. فقد اتضح أن خواص ما نسميه «الصوت الكلامي» تبدأ عادة في الظهور قبل أن ينتهي «الصوت الكلامي» السابق له، وأنهما يستمران في إظهار خواصهما بعد أن يبدأ الصوت التالي.

---

(١) Type of Sonnd.

(٢) Sound - Tracks.

ولكن ثمة جزءاً «متميزاً» من «الصوت الكلامي» يعترف بوجوده علم الطبيعة، ولكن هذا الجزء لا يستغرق عادة وقتاً يذكر.

ومع ذلك فالتصور الخاص «بالسلاسل الكلامية» تصور لا يمكن الاستغناء عنه في البحوث اللغوية.

٢ ـ وهذا التصور تبرره الطرق التي يحدث بها الكلام. فالكلام نتيجة أحداث معينة يقوم بها جهاز النطق. فالشفتان واللسان... الخ، تتخذ مواضع مختلفة، أو تقوم بحركات مختلفة متتابعة، وهذه الأوضاع والحركات يمكن أن توصف وأن تصنف. وفيما يلي ترجمة حرفية لشيء من كلام دانيال جونز في هذا الشأن:

قال دانيال جونز[١]:

«أما كون الانتقال من صوت كلامي إلى صوت كلامي يليه في سلسلة كلامية يتم عادة تدريجياً، فأمر لا وزن له من وجهة النظر اللغوية. لقد أدرك «سويت» وغيره من رواد علم الأصوات اللغوية في العصر الحديث أن الانتقال من «صوت» إلى آخر عملية تدريجية وهم في اصطلاحهم قد قالوا إن الأصوات الكلامية المتوالية يرتبط بعضها ببعض عن طريق «أصوات انتقالية»[٢] تسمى «المعابر»[٣] (أو «المزالق»)، و«المعبر» (أو «المزلق»)، هو الصوت الحادث عن حركة الانتقال بطريقة طبيعية من موضع (أو من الموضع النهائي) الصوت الكلامي إلى موضع (أو الموضع الابتدائي) للصوت الكلامي الذي يليه؛ إنه صوت لا يمكن تجنبه، وليست له دلالة

(١) The Phoneme, P. 2.

(٢) Transitory Sounds.

(٣) Glides.

لغوية. وقد يتضمن المعبر أجزاء متعددة من جهاز النطق؛ وهذه لا تحتاج إلى أن تحدث على التوالي تماماً، وهي في الواقع لا تحدث كذلك.

وقال: [1]، «إن موضع الفصل بين صوت كلامي وبين الصوت الذي يليه في السلسلة (الكلامية) يمكن أن يعتبر أي نقطة في «المعبر» يصلح اختيارها على أسس لغوية. وهذه النقطة في معظم الأحوال لا تقابل أي تغير حاد في نموذج(الأثر الصوتي أو الأوسيلوجرام»[2].

وقال دانيال جونز[3]:

«إن التصور اللغوي الخاص بـ «الصوت الكلامي» يحدده إمكان إزالة قطعة من سلسلة كلامية وإحلال قطعة من سلسلة أخرى محلها، على أن يتوفر في القطعتين أن يحدث تبادلهما تغيير كلمة إلى كلمة أخرى».

فالصوت الكلامي عند دانيال جونز هو «أصغر قطعة قابلة للتبادل»[4] بالشكل الذي أوضحه. ومثل لذلك بقوله أن النطق الكامل لكلمة (as) az يتكون من صوتين كلاميين. فالقطعة التي نمثلها في الكتابة بـ a هي أصغر قطعة ابتدائية يمكن إزالتها، وإحلال قطعة من سلسلة أخرى محلها وذلك مثل i وهكذا تكون لدينا كلمة iz . وكذلك فإن القطعة التي نمثلها في الكتابة بـ Z هي أقل قطعة نهائية يمكن أزالتها وإحلال قطعة من سلسلة أخرى محلها وذلك مثل m ، وهكذا يتوفر لدينا النطق الكامل لكلمة am [5].

---

(١) The Phoneme, P. 2

(٢) وهو الرسم الذي يسجله جهاز الأوسيلوغراف Oscillogram .

(٣) The Phoneme, PP. 2 - 3.

(٤) The Phoneme, P. 3.

(٥) الخلاف كثير بين علماء اللغة بوجه عام، وعلماء الأصوات اللغوية بوجه خاص في تعريف =

= «الصوت الكلامي» تعريفاً لا يقبل الطعن من وجه من الوجوه، وهذا هو الشأن في تعريف أمثال «الفونيم» و «الكلمة» و «الجملة» الخ . . . ونورد هنا تعريف دانيال جونز نفسه للصوت الكلامي وهو تعريف ارتضاه في :

The Pronunciation of Russian, D. Jones and M. Trofimov, 1924 (Cambridge University Press)

وتعريفه للفونيم كما أورده في كتابه :

Outline of English Phoneme, 3rd ed.

وقد ارتضت الدكتورة إيدا وارد Ida Ward هذين التعريفين وأوردتهما في كتابها :

The Phonetics of English, "Cambridge, W. Heffer and Sons, Reprinted 1998" P. 74.

قالت إيدا وارد شارحة الفرق بين «الصوت الكلامي» وبين «الفونيم» ناقلة رأي جونز في المرجع الأول :

«إن الصوت الكلامي بمعناه الحق هو صوت ذو تكوين عضوي محدد، وطبيعة سمعية محددة، وهو غير قادر على التنوع» .

وقالت إيدا وارد في تعريف الفونيم :

«الفونيم عائلة من الأصوات في لغة من اللغات، وهذه الأصوات مترابطة في طبيعتها، ومن صفتها أنه لا يقع صوت منها قط في نفس السياق الصوتي في كلمة من الكلمات موضع صوت آخر من نفس العائلة» ومعنى هذا الكلام أن الكافات في Conld, Can Keen ، أفراد «فونيم» واحد وليست «فونيمات» ثلاثة، إن كلاً منها صوت متميز من حيث التكوين ومن حيث الأثر السمعي . ولكن هذه الأصوات الثلاثة مع ذلك، لا يحدث بينها تبادل يغير المعنى .

- ٩ -

تصنيف الأصوات

أ - تقسيم الأصوات إلى صوائت وصوامت

أي صوت كلامي ينتمي إلى قسم من القسمين العامين المعروفين بالصوائت والصوامت.

وقبل أن نحدد الأصوات العربية التي يصدق عليها لفظ «صوائت» وتلك التي يصدق عليها لفظ «صوامت» ينبغي أن نسأل: ما الأساس الذي بني عليه تقسيم الأصوات إلى هذين القسمين؟

١ - يحدد الصوت الصائت (في الكلام الطبيعي) بأنه الصوت «المجهور» الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحياناً، دون أن يكون ثمة عائق (يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً) أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً(١) مسموعاً(٢).

وأي صوت (في الكلام الطبيعي) لا يصدق عليه هذا التعريف يعد صوتاً صامتاً؛ أيْ أن الصامت هو الصوت المجهور أو المهموس الذي

---

(١) Friction.

(٢) D. Jones: Outline... P. 22.

يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً (كما في حالة الباء)، أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع (كما في حالة الثاء والفاء مثلاً).

من التعريفين السابقين يتضح أن الصوائت جميعاً مجهورة، أما الصوامت فمنها ما هو مجهور ومنها ما هو مهموس. والأصوات العربية التي يصدق عليها تعريف الصائت هي ما سماه نحاة العربية بالحركات (الفتحة a، والضمة u، والكسرة i) وبحروف المد واللين (مقصوداً بها الألف في مثل عدا [a a]، والواو في مثل قالوا [U U]، والياء في مثل القاضي [i i]).

من تعريفنا للصائت بأنه مجهور ينتج أن كل الأصوات غير المجهورة (أي المهموسة) تعد صامتة وذلك مثل السين والشين والفاء الخ. كما ينتج من تعريفنا للصائت بأنه المجهور الذي لا يعترض مجرى الهواء عند نطقه في الحلق والفم اعتراضاً تاماً أو ناقصاً محدثاً لاحتكاك مسموع، أن كل الأصوات التي يعترض فيها مجرى الهواء في الفم ـ سواء كانت مجهورة أم مهموسة ـ تكون صامتة، وذلك مثل الباء والتاء واللام والراء؛ وكذلك ما يعترض مجرى الهواء في تكوينه في الحنجرة مثل همزة القطع، وأن كل الأصوات التي لا يمر الهواء في نطقها من الفم ـ مجهورة أم مهموسة ـ تدخل في باب الصوامت كذلك وذلك كالميم، وأن همزة القطع مثلاً خارجة من الصوائت، ويصدق عليها أنها صامت لأنه يحدث في نطقها أن الهواء يعترض اعتراضاً تاماً في الحلق (= في الحنجرة)؛ وأن كل الأصوات التي يحدث في نطقها احتكاك مسموع، كالفاء والسين والزاي تندرج تحت الصوامت. إذن كل الأصوات المهموسة تدخل تحت طبقة الصوامت؛ أما المجهورة فبعضها (وهو الذي لا يحدث في نطقه اعتراض كامل لمجرى الهواء أو تضييق له يحدث احتكاكاً) يدخل تحت الصوائت، وسائرها ينطوي تحت الصوامت.

والصوامت العربية هي :

همزة القطع ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ س ـ ش ـ ص ـ ض ـ ط ـ ظ ـ ع ـ غ ـ ف ـ ق ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ هـ ـ و (في مثل ولد(ي (في مثل يترك) .

٢ ـ يتضح من التعريف الذي قدمناه للصوامت والصوائت أن تعريف قدماء اليونان للصوت (انظر ص ٩١) بأنه الصوت الذي لا يتأتى نطقه دون الاستعانة بصوت صائت، تعريف خاطىء؛ فمن اليسير أن تنطق صوتاً صامتاً منفرداً وحده؛ ويوجد في لغات كثيرة كلمات تتكون من صوامت ليس غير كما في الصوتين [tz]في الصينية، وكذلك الـ [f] في التشكوسلوفاكية كلمة من الكلمات، والمجموعة (KrK) كلمة في اللغة الكرواتية، وفي الأنجليزية from تنطق أحياناً frm .

٣ ـ وقد يتضح من تعريفنا للصوائت والصوامت كذلك أنه مبني على أساس فسيولوجي صارم ليس غير، ولكن هذا ليس صحيحاً، فالتقسيم إلى صوائت وصوامت مبني في الواقع على اعتبارات سمعية هي الاختلاف بين الأصوات في «وضوحها»[1] في السمع؛ فقد لوحظ أن بعض الأصوات أشد وضوحاً في السمع من بعض بمعنى أنها تسمع على مسافة أبعد عندما تنطلق بنفس «الطول» و «الارتكاز» و «الدرجة»، والملاحظ أن الأصوات التي توسم بأنها «صوائت» أشد وضوحاً في السمع من غيرها من الأصوات الكلامية (عندما تنطق بالطريقة العادية)، وهذا هو السبب الذي من أجله اعتبرت هذه الأصوات طبقة من الطبقتين الرئيسيتين.

ويلاحظ أن مقدار «وضوح» الأصوات في السمع يعتمد على

(١) Sonority.

«طبيعتها»؛ وينبغي أن يميز من «بروز»[١] (ظهور) الأصوات في سلسلة كلامية. إن «البروز» يعتمد على ارتباط «طبيعية»[٢] الصوت و«طوله»[٣] و«ارتكازه»[٤]. وعلى «درجته»[٥] (= «تنغيمه»[٦]) في حالة الأصوات المجهورة.

وإذا تساوى صوت صامت وصوت صائت في «الطول» و«الارتكاز» وكان «التنغيم» الذي ينطق به كلاهما «مستويا»[٧] فإن الصائت أشد بروزاً من الصامت.

«والصوائت المنفتحة»[٨] هي في الجملة أشد بروزاً من «الصوائت الضيقة»: [٩] والصوامت المجهورة أشد بروزاً من الصوامت المهموسة، وأصوات اللام والصوامت الأنفية المجهورة أشد بروزاً من سائر الصوامت المجهورة. أما الصوامت المهموسة فهي تتصف بقدر من البروز قليل جداً بالقياس إلى الأصوات المجهورة.

ومما هو جدير بالملاحظة أن الصوامت المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة من «إخراج النفس»[١٠] (= الزفير)[١٠] أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت

---

(١) Prominence.

(٢) Quality.

(٣) Length.

(٤) Stress.

(٥) Pitch.

(٦) Intonation.

(٧) Level.

(٨) Open - Vowels.

(٩) Close - Vowels.

(١٠) Exhalation.

المجهورة. ويمكن أن نلمس هذا الفارق في قوة النفس إذا بسطنا الكف أمام الفم ونحن ننطق صامتاً مهموساً متلواً بنظيره المجهور مثل ث ، ذ / ت، د / س، ز . . . الخ.

كما أن نطق الصوامت المهموسة يحتاج عادة إلى جهد عضوي أقوى من الذي يستدعيه نطق الصوامت المجهورة. فالصوامت الانفجارية المهموسة (مثل ت، ط ، ك) يكون «حبس الهواء»(١) فيها أشد إحكاماً منه في حالة الانفجارية المهجورة (كالدال، والضاد، والجيم القاهرية والباء)، كما أن «انطلاق الهواء» (= انفراج الأعضاء)(٢) في الأولى يكون أشد حدة منه في الثانية. أما «الصوامت الاحتكاكية»(٣) المهموسة (مثل الفاء والثاء والسين) فتكون «درجة الانفتاح»(٤) فيها (أي مقدار البعد بين الأعضاء المشتركة في النطق والمحدثة للاحتكاك، أي درجة انفتاح المجرى الهوائي أو سعته) أقل من تلك التي تكون في نطق الاحتكاكية المجهورة (مثل [V]، والذال، والزاي).

ب ـ تقسيم الصوامت حسب طريقة النطق أي حسب حالة ممر الهواء عند موضع النطق

إن الأقسام الرئيسية للصوامت التي تنماز على هذا الأساس هي:

(١) الانفجارية (أو المتفجرة) Plosives

(٢) الانفجارية الاحتكاكية Affricates

(٣) الغناء (= الأنفية) Nasal

---

(١) Closure.

(٢) Release.

(٣) Fricatives.

(٤) Degree of Opening.

(٤) المنحرفة Lateral

(٥) المكررة Rolled

(٦) المستلبة (= المستلة)، أو «المفردة» Flapped

(٧) الاحتكاكية Fricatives

(٨) المتمادة غير الاحتكاكية Frictionless

(٩) أشباه الصوائت (أو: أنصاف الصوائت) Semi - Vowels

(١) الصوامت الانفجارية

تتكون الأصوات الانفجارية بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس، أو الوقف، أن يضغط الهواء؛ ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً.

ومن ثم فالصوت الانفجاري يتكون من ١ ـ حبس (وقف)[١] ٢ ـ «إطلاق»[٢] ٣ ـ صوت يتبع الإطلاق. ومن هنا كان وصف الانفجارية ـ أحياناً ـ بأنها «آنية»[٣] في مقابل غيرها من الأصوات التي يطلق عليها لفظ «متمادة»[٤]. والأصوات (الصوامت) الانفجارية العربية [أي في العربية الفصحى كما تنطق في مصر هذه الأيام] هي: ب؛ ت؛ د؛ طـ؛ ض؛ ك؛ ق؛ همزة القطع.

والمواضع التي يوقف فيها مجرى الهواء وقفاً تاماً عند إحداث هذه الأصوات الانفجارية هي:

١ ـ الشفتان ـ وذلك بأن تنطبقا انطباقاً تاماً ـ في حالة الباء.

---

(١) Stop

(٢) Release

(٣) Momentary

(٤) Continuant

٢ ـ أصول الثنايا العليا ـ وذلك بأن يلتقي بها طرف اللسان ـ في التاء والدال ، والطاء ، والضاد .

٣ ـ أقصى الحنك الأعلى ـ بأن يلتقي به أقصى اللسان ـ في حالة الكاف . (وفي حالة الجيم القاهرية في العامية) .

٤ ـ أدنى الحلق بما في ذلك اللهاة ـ بأن يلتقي به أقصى اللسان ـ في القاف .

٥ ـ الحنجرة (فتحة) وذلك في همزة القطع .

١ ـ وصف تكوين الأصوات العربية الانفجارية :

١ ـ الباء :

يتكون الباء بأن يوقف الهواء وقفاً تاماً ، وذلك بأن تنطبق الشفتان انطباقاً كاملاً ، ويرفع الحنك اللين فلا يسمح بمرور الهواء إلى الأنف ، يضغط الهواء مدة من الزمن ، وعندما تنفرج الشفتان يندفع الهواء فجأة من الفم محدثاً صوتاً انفجارياً . ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق .

وهكذا يوصف الباء بإيجاز بأنه :

صامت مجهور شفوي (= شفتاني) انفجاري[١] .

والنظير المهموس للباء ـ وهو [P] ـ ليس من جملة الأصوات العربية ، وهو يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها الباء ، فيا عدا أن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان أثناء نطقه .

فالـ[P] صامت مهموس شفوي (= شفتاني) انفجاري[٢] .

٢ ـ التاء :

يتكون هذا الصوت بأن يوقف مجرى الهواء وقفاً تاماً ، وذلك بأن يلتقي

---

(١) A Voiced bi-labial Plosive consonant

(٢) A voiceless bi-labial Plosive consonant

طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء إلى الأنف؛ يضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل العضوان انفصالاً فجائياً محدثاً صوتاً انفجارياً.

فالتاء صوت صامت مهموس سنيّ انفجاري[1].

٣ ـ والنظير المجهور للتاء هو الدال. وهو يتكون بنفس الكيفية التي يتكون بها التاء إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء النطق.

فالدال صوت صامت مجهور سني انفجاري[2].

٤ ـ الطاء:

يتكون هذا الصوت كما يتكون التاء، إلا أن شكل اللسان مع التاء، ففي حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه وهذا هو ما أراده نحاة العرب «بالإطباق». فالفرق بين الطاء والتاء أن الأول «مطبق» والثاني «غير مطبق».

فالطاء صوت صامت مهموس سني مطبق انفجاري[3].

٥ ـ الضاد:

والنظير المجهور للطاء هو الضاد. فلا فرق بين الضاد والطاء إلا أن الأول مجهور والثاني مهموس، ولا فرق بين الضاد والدال إلا أن الضاد «مطبق» والدال لا إطباق فيه.

ولذلك فالضاد صامت مجهور سنيّ مطبق انفجاري[4].

٦ ـ الكاف:

يتكون الكاف بأن يعترض الهواء الخارج من الرئتين اعتراضاً تاماً،

---

(١) A voiced dental plosive consonant

(٢) A voiceless dental velarized plosive consonant

(٣) Avoiceless dental Plosive Consonant.

(٤) Avoiced dental Velarized Plosive Consonant.

وذلك برفع أقصى اللسان جتى يلتقي بأقصى الحنك الأعلى (= بالحنك اللين) الذي يرفع هو الآخر ليمنع مرور الهواء إلى الأنف؛ يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي بأن يخفض اللسان فيندفع الهواء خلال الفم محدثاً في اندفاعه صوتاً إنفجارياً. لا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت.

فالكاف صامت مهموس حنكي ـ قصى انفجاري[1].

والمقابل المجهور للكاف ليس من جملة الأصوات المستعملة في العربية الفصحى هذه الأيام، ولكنه مستعمل في بعض العاميات، وهو المعروف بالجيم القاهرية. فلا فرق بين الكاف وبين الجيم القاهرية [g] إلا أن الكاف مهموسة والجيم القاهرية مجهورة.

فالجيم القاهرية صامت مجهور حنكي ـ قصى انفجاري[2].

٧ ـ **القاف**:

يتكون هذا الصوت بحبس الهواء الخارج من الرئتين حبساً كلياً، وذلك بأن يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة؛ ولا يسمح للهواء بالمرور خلاف الأنف، وذلك برفع الحنك اللين؛ يضغط الهواء مدة من الزمن، ثم يطلق مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً. ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت.

فالقاف صوت صامت مهموس لهوى انفجاري[3].

أما النظير المجهور للقاف، الذي يحدث في نفس الموضع وبنفس الكيفية ولكن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، فليس من جملة الأصوات العربية الفصحى الآن إلا أنه يسمع في بعض العاميات[4].

---

(١) A voiceless velar plosive consonant

(٢) A voiced velar plosive consonant.

(٣) A voiceless uvular plosive consonant.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧٢ ـ ٧٤.

فالنظير المجهور للقاف، وهو الـذي يرمـز إليه كتابـة بـ [G] صوت صامت مجهور لهوى انفجاري[1].

٨ ـ همزة القطع : [2]

يحدث هذا الصوت بأن تسد الفتحة الموجودة بـين الوتـرين الصـوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، بضغط الهواء فيما دون الحنجرة؛ ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً. وهمزة القطع لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة.

فهمزة القطع صوت صامت حنجري انفجاري[3]. (انظر بعد صفحات الكلام على «حروف القلقة»).

(٢) نظرية الأصوات الانفجارية

١ ـ رأينا أن النطق الكامل للصوت الانفجاري يتطلب :

١ ـ اتصالاً بين عضوين ينتج عنه وقف المجرى الهوائي وقفاً كاملاً.

٢ ـ ثم انفصال العضوين هذا الانفصـال الـذي يحـدث عنـه انفجـار الهواء.

وقد لوحظ أنه في حالة الانفجارية المهموسة، لا يسمع شيء إطلاقاً في اللحظة التي يوقف فيها المجرى الهوائي (= أي قبل حدوث الانفجار). أما في حالة الانفجارية المجهورة فإنه يسمع شيء من «الجهر» (= ذبذبة الوترين الصوتين) يختلف مقداره باختلاف الأحوال أثناء وقف المجرى الهوائي.

كما يلاحظ أن اندفاع الهواء يستمر بالضرورة زمناً محسوساً بعد انفراج

---

(١) A voiced uvular plosive consonant.

(٢) The glottal stop, the glottal catch, the Glottal Plosive Consonant.

(٣) Laryngal Plosive Consonant.

العضوين، ولذلك فالصوت الانفجاري لا يتأتى نطقه النطق الكامل دون أن يتبع بصوت آخر مستقل عنه، هو هذا الهواء المندفع. وهذا الصوت المستقل الذي يلي الانفجاري ضرورة، إن نطق النطق الكامل، إما أنه مهموس وإما أنه مجهور. فإذا نطقنا انفجارياً مهموساً مثل الكاف وحده فإنه يتبعه عادة صوت مهموس قصير، ولذلك يمكن أن نمثل الكاف بـ [Kh]. وإذا نطقنا انفجارياً مجهوراً، كالباء، وحده، فإنه يتبعه عادة صوت صامت قصير (ولا حاجة إلى النص على أن الصوائت مجهورة) ولذلك يمكن أن نمثل الصوت بـ [b∂] أما عندما يكون الانفجاري المجهور متبوعاً بصوت صائت، كما في [با]، فإن هذا الصائت نفسه يتضمن الصوت المستقل الضروري.

٢ - إذا كانت الأصوات الانفجارية جميعاً تشترك في أنه في نطقها يوقف الهواء الخارج من الرئتين وقفاً تاماً مدة من الزمن، ثم يطلق محدثاً صوتاً انفجارياً، فما الذي يجعل أحدها متميزاً من الآخر؟ ما الذي يجعل الباء مثلاً متميزاً من الكاف . . . الخ؟ أي ما الذي يحدد «طبيعة» الصوت الانفجاري؟

إن طبيعة الصوت الانفجاري تختلف حسب:

١ - الموضع الذي يوقف فيه الهواء. فموضع وقف الهواء يحدد شكل المجرى الهوائي الذي يستعمل في تكوين الصوت. فشكل المجرى الهوائي في نطق الكاف - الذي يوقف الهواء فيه عند أقصى الحنك - غير شكل المجرى الهوائي المستخدم في نطق الباء - الذي يوقف فيه الهواء عند الشفتين - وهكذا.

٢ - كما تختلف طبيعة الصوت الانفجاري حسب تذبذب الوترين الصوتيين أو عدم تذبذبهما. وهذا ينتج عنه أن يكون الانفجاري مجهوراً كالجيم القاهرية [g] والباء [b]؛ أو مهموساً كالباء [P] والكاف [K] مثلاً.

٣ - قد يكون تذبذب الوترين الصوتيين جزئياً، أي لا يستمر طوال

الصوت. فقد يبدأ الصوت الانفجاري مهموساً ثم يصبح مجهوراً، أو العكس، أي قد يبدأ الصوت الانفجاري مجهوراً ثم يصبح مهموساً، وفي هذه الحال يقال إن الصوت «مقلل الجهر» ومن ذلك أن صوت اللام الإنجليزي (وهو صوت مجهور يبدأ مهموساً في كلمة Clean ثم يستمر مجهوراً، كما أن صوت الـ Z (وهو من الأصوات المجهورة) ينتهي مهموساً في كلمة Please الإنجليزية (وذلك قبل الوقف).

٤ ـ الانفجارية المهموسة النفسية(١)، والانفجارية المهموسة غير النفسية(٢).

قد تكون قوة أخراج النفس شديدة حتى إنه بعد إطلاق الانفجاري المهموس يبدو الهواء الخارج بعد الوقف في السمع كأنه هاء. وذلك مسموع في نطق الباء [P] في الكلمة الإنجليزية Park ، وقد يمثل هذا النطق للباء في الكتابة [Ph].

ولكن ليس من اللازم أن يكون الصوت المستقل الضروري الذي يتبع كل انفجاري مهموس صوتاً مهموساً قصيراً، إذ من الممكن أن ننطق انفجارياً مهموساً متلواً بصوت صائت كما في المجموعة، «تا»، «كا» الخ بحيث يكون الصائت (والصوائت مجهورة بطبيعة الحال) الصوت الإضافي الضروري للنطق الكامل للانفجاري. فالذي يحدث في هذه الحال أن الصائت يبدأ في نفس اللحظة التي يحدث فيها انفجار الصوت الصامت.

كما أنه من الممكن أن ننطق انفجارياً مهموساً متلواً بصامت مجهور بحيث يبدأ جهر المجهور في نفس اللحظة التي يحدث فيها انفجار المهموس ـ كما في [PI] ـ وهكذا ينطق الانفجاري المهموس النطق الكامل دون أن يتبع

---

(١) Aspirated Plosived, Aspirates

(٢) Unaspirated Plosives

بصوت مهموس إضافي ضروري.

والانفجارية المهموسة التي تنطق بهذه الكيفية، أي التي يتبعها صوت مجهور، صائت كما في المثال الأول، أو صامت كما في المثال الثاني، يبدأ جهره ساعة الانفجار، تسمى «انفجاريةً مهموسة غير نفسية».

٥ - حروف «القلقلة»:

وضع نحاة العرب الأصوات العربية الانفجارية المجهورة في طبقة واحدة سموها «حروف القلقلة». وهذه الأصوات جمعوها في عبارة «قطب جدّ» (يلاحظ أن القاف التي وصفها النحاة كانت مجهورة وليست مهموسة كما تنطق في الفصحى هذه الأيام. وكذلك شأن الطاء، هي مهموسة في أيامنا، ولكنها كانت مجهورة أي أن نطقها القديم كان أشبه بنطقنا نحن للضاد. أما الجيم وهي ليست انفجارية في فصحانا، فقد وصفت إذ ذاك بأنها انفجارية).

وقد أدرك النحاة أن الخاصية الصوتية التي تشترك فيها هذه المجموعة من الأصوات راجعة لكونها «شديدة» (= انفجارية) و «مجهورة». هذه الخاصية هي هذا «الصوت» الذي يتبع هذه الصوامت عندما تكون «ساكنة» والذي لا يحدث عندما يتبعها صوت صائت قصير (= حركة) أو صوت صائت طويل (= حرف مد ولين). والواقع أنه في هذه الحالة الأخيرة يكوّن الصائت نفسه الصوت المستقل الضروري الذي يجب أن يتبع الانفجاري عندما تزال العقبة الحابسة للهواء، لما كان جهر الصائت التالي للانفجاري يبدأ لحظة الانفجار.

وقد قرر نحاة العرب كذلك[١] أن نطق هذه الأصوات نطقاً واضحاً

---

(١) انظر مثلاً ابن يعيش: شرح المفصل جـ ٢ ص ١٤٦٦، تحقيق «يان» Jahn، ليبزج ١٨٨٢).

حالة الوقف يستدعي جهداً أكبر، لأنها لما كانت «شديدة» (= انفجارية) فإن الهواء (المجري الهوائي) محبوس حبساً تاماً، ولما كانت «مجهورة» فإن «النفس» ممنوع من أن يجري معها. ونتيجة لهذا الجهد فإنه يتبعها «صوت» أو «صويت» أو «نبرة» ومن ثم تنتقل هذه الأصوات من الوقف (السكون) إلى «شبه الحركة». وقد لاحظ النحاة أن هذا الصوت الإضافي يختلف درجة باختلاف المتكلمين، وقد حكى أن بعض العرب كانوا يخرجونه أشد عنفاً من غيرهم.

ذكرنا أن الصوت الانفجاري لا ينطق عادة النطق الكامل إلا إذا تبعه صوت آخر مستقل مهموس أو مجهور. والملاحظ في نطق الانفجارية المجهورة عندما تقع في نهاية الكلمات في الانجليزية مثلاً أن الانفجاري مجهور، ولكن يسمع النفس عندما تزال العقبة وخاصة عندما يسبق الانفجاري بصامت آخر في كلمة ($bulb^h$).

أما الانفجارية المجهورة في أواخر الكلمات في الفرنسية فهي عادة تكمل بإضافة صوت صائت مركزي ضعيف[1] [ə] فكلمة herbe مثلاً تنطق [ɛrbə].

أما الصوت الإضافي في حالة ما سماه نحاة العرب «حروف القلقلة» فالرأي أنه غير مهموس، أي ليس نفساً، وهذا بناء على الحقائق الآتية:

١ ـ أن النحاة يفرقون بين هذا الصوت الإضافي وبين «النفس» أو «النفخ».

٢ ـ أنهم يقررون أنه بسبب هذا الصويت الإضافي تنتقل هذه

(١) Weak Central Vowel.

الأصوات الانفجارية من «السكون» إلى «شبه الحركة»: وهم يعنون بهذا أنها تصبح شبيهة شيئاً ما «بالحروف المتحركة». ومعروف أن ما يعرف في الاصطلاح العربي «بالحرف المتحرك» هو صوت صامت يتلوه صوت صائت قصير.

من هذا نرى أن الصوت الإضافي في حالة «حروف القلقلة» يشبه «بالحركة» أي بالصائت القصير؛ ومن البديهات أن الصوائت مجهورة.

والأرجح أن هذا الصوت الإضافي «صوت صائت مركزي ضعيف».

وقد ذكر نحاة العربية كذلك أن «حروف القلقلة» تكون غير واضحة عندما لا تنطق النطق الكامل. وتفسير ملاحظتهم هذه، أن الذي يحدث في مثل هذه الحالة هو «تقليل جهر»[1] الانفجارية حتى أن هذه الصوامت تصبح انفجارية ضعيفة الهمس b̥, d̥ etc [2] أو «أصواتاً قذفية ضعيفة»[3].

يقول ابن يعيش: إن هذه الأصوات سميت «حروف القلقلة» لأنك لا تستطيع أن «تقف» عليها إلا بصوت (هو هذا الصائت المركزي الضعيف الذي أشرنا إليه) بسبب شدة «الحصر» و«الضغط» (في نطقها) كما في «الحقْ» واذهبْ واخلطْ و«اخرجْ».

وثمة تفسيرات أخرى لتسمية هذه الأصوات «حروف القلقلة» منها أنها من «قلقله» بمعنى «حركة»، وليس هنا مجال الإشارة إليها[4].

---

(١) Devoicing.

(٢) الدائرة الصغيرة أو «السكون»، الموضوع تحت الحرف، رمز اصطلاحي في الكتابة الصوتية يفيد أن الصوت الذي يمثل بالحرف المرقوم بهذه العلامة قد فقد شيئاً من جهره.

(٣) Weak Ejective Sounds

(٤) أنظر ما كتبناه عن هذه الأصوات في رسالتنا التي نلنا بها درجة الدكتوراة من جامعة لندن، =

٦ ـ إن نوع انطلاق المجرى الهوائي، أو الانفجار، مؤثر في طبيعة الصوت الانفجاري. وأهم أنواع انطلاق المجرى الهوائي، أو الانفجار، في حالة الانفجارية:

أ ـ الانطلاق ـ أو الانفجار ـ المنحرف(١)

وهذا النوع من الانفجار يحدث عندما يكون الانفجاري متبوعاً بصوت «منحرف» (كاللام)، ففي المجموعة (tl) مثلاً كما في Little الإنجليزية، لا يزول اللسان كله عن موضعه الذي يتخذه لنطق الانفجاري (التاء)، ولكن الذي يحدث أن إحدى حافتي اللسان تنفرج عن الأسنان العليا، فيخرج الهواء من الانفراج بما يسمى انفجاراً منحرفاً (وقد تنفرج حافتا اللسان معاً).

ب ـ الانطلاق ـ أو الانفجار ـ الأنفي(٢):

وهذا النوع من الانفجار يحدث عندما يتبع الصوت الانفجاري بصوت أغنّ (أنفي) مباشرة (ونقرب بالاصلاح العربي التقليدي فنقول: عندما يكون الانفجاري «ساكناً» وبعده صوت أغن كالميم أو النون) فإن الانفجاري في هذه الحال لا ينطق بالكيفية العادية؛ بمعنى أن انفجاره لا يكون بالشكل العادي. وذلك كالتاء، والطاء، والدال في مثل «مَتْن»؛ بَطْن، فَدْم، عُدْم (فالتاء والطاء قد ولي كلاً منهما صوت النون وهو أنفي؛ والدال الانفجاري قد وليه صوت الميم وهو أنفي) فالانفجار المسموع في نطق هذه الكلمات لا يتكون نتيجة انطلاق الهواء من الفم؛ بل يتكون بأن ينطلق الهواء من الأنف، عندما يخفض الحنك

= ومنها نسخه على الآلة الكاتبة في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

Acritical Study of the Phonetic Observations of the Arab Grammarians, PP. 261 - 263.

(١) Lateral Realease, Lateral Plosion

(٢) Nasal Relase, Nasal Plosion

اللين استعداداً لنطق الصوت الأغن التالي للصوت الانفجاري؛ ومن هنا نسمي هذا النوع من الانفجار «الانفجار الأنفي».

٣ ـ الصوامت الانفجارية الناقصة[١]

ذكرنا أن الانفجاري يتكون من (١) وقف لمجرى الهواء (٢) ثم إطلاق (٢) وصوت يعقب الإطلاق؛ ولكن توجد حالات لا تنطق فيها الصوامت الانفجارية النطق الكامل، بمعنى أنه لا يتوفر في كل منها هذه العناصر الثلاثة.

وهذا مشاهد في فصحانا عندما يتوالى انفجاريان ـ أي دون فاصل بينهما من صامت أو صائت ـ سواء أكان الانفجاري الأول غير الانفجاري الثاني أم كان الأول والثاني مثلين، فالانفجاري الأول في كل من هاتين المجموعتين لا يفجر.

١ ـ ومن أمثلة المجموعة الأولى الباء والتاء في «ابتهاج»، والباء والدال في «عَبْد»، والباء والهمزة في «عِبْء»، والتاء والقاف في «إتقان»، والتاء والباء في «في عَتْب»، والدال والباء في «أدبر» والدال والقاف في، «وَدقْ» والطاء والباء في «مطبوع»، والطاء والهمزة في، «وَطْء»، والضاد والباء في «قضب»؛ والكاف والتاء في «اكتواء»؛ والكاف والضاد في «رَكض»؛ والقاف والدال في «أقدار» (وفي «مقدور» ـ والقاف والتاء في «اقتدار» وفي «اقتضاب»)؛ والقاف والتاء في «وقت»؛ والهمزة والكاف في «مأكل» (والهمزة والتاء في «مأتى»، والهمزة والباء في «مأبون»؛ والهمزة والدال في «وأد» فالانفجاري الأول في كل من هذه الكلمات لا يفجّر، أي

---

(١) Incomplete Plosive Consonants

أن العضوين اللذين يقفان الهواء لا ينفرجان لينطلق الهواء قبل أن تأخذ الأعضاء في نطق الانفجاري التالي، بل يكون الوقف اللازم للانفجاري الأول دون أن يتبعه انفجار. ففي «ابتهاج» و «عبد» و «عبء» لا تنفرج الشفتان وهما المكونتان للوقف في حالة الباء ـ ثم تنتقل الأعضاء إلى تكوين الصوت التالي وهو التاء، والدال، والهمزة، بل يتكون كل من هذه الأخيرة والشفتان لا تزالان مغلقين لتكوين الباء، وهكذا فلا انفجار للباء. أما في «إتقان» و«عتب» و«أدبر» و «دق» و «مطبوع» و «وطء» و «مضبوط» و «قضب» واكتواء» و «ركض» و«أقدار» و «وقت» حيث يكوّن الوقفَ اللازمَ للانفجاري الأول جزء من اللسان يضغط على الأسنان (كما في حالة التاء والدال والطاء والضاد)، أو على أقصى الحنك الأعلى (كما في حالة الكاف)، أو على أدنى الحلق بما فيه اللهاة (كما في القاف)، فالذي يحدث أن اللسان لا يغادر موضعه (من الأسنان أو الحنك الأعلى أو أدنى الحنك) الخاص بالانفجار الأول قبل الانتقال إلى تكوين الانفجاري التالي له، بل يظل في موضعه بينما يتكون الانفجاري التالي، وهكذا فلا إطلاق لمجرى الهواء في حالة الانفجاري الأول في كل من هذه الكلمات. أما في «مأكل» و «وأد» حيث يكون الوقف الضروري للهمزة في الحنجرة بانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً، فإن الوترين الصوتيين لا يتباعدان قبل نطق الكاف والدال، بل يتكون كل من الكاف والدال، والوتران الصوتيان منطبقان، ومن ثم فلا تفجير للهمزة في هاتين الكلمتين.

أما الحالة الثانية التي يعد فيها الانفجاري ناقصاً فهي عندما يكون الانفجاريان المتواليان مثلين، في كلمة أو كلمتين، فالانفجاريان في هذه الحال يكوّنان صوتاً طويلاً و «إطلاقاً» واحداً.

وذلك كما في؛ «عبّأ؛ حتّى؛ تعدّى؛ تخطّى؛ توضأ؛ زكيّ؛ رقّى؛ سؤّال.

وكما في اشربْ به؛ محتْ تلك؛ سُدْ دارك؛ اضبط طريداً؛ أبغض ضرا؛ املكْ كريما؛ لم يَرُقْ قوما؛ لا تَسؤْ أخاك.

(٢) الصوامت الانفجارية الاحتكاكية[١]

١ ـ كل صامت انفجاري يمكن أن يكوّن احتكاكي[٢] مقابل له؛ أي احتكاكي يتكون في نفس الموضع الذي يتكون فيه الانفجاري، مع اختلاف في طريقة النطق؛ فالكاف العربي انفجاري والمقابل الاحتكاكي له هو الخاء. وموضع نطق الكاف هو موضع نطق الخاء، ولكن طريقة نطق الكاف غير طريقة نطق الخاء، ففي الكاف يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك بحيث لا يسمح للهواء بالمرور من الفم إلى أن ينفصل العضوان انفصالاً فجائياً، (أي بحيث يكون فراغ بين أقصى الحنك وأقصى اللسان يستطيع الهواء أن ينفذ منه). أما في الخاء فيرفع أقصى اللسان حتى يقترب من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ينفذ منه الهواء محدثاً صوتاً احتكاكياً. ولذلك فالأصوات الانفجارية أصوات «آنية»، أما الأصوات الاحتكاكية فأصوات «متمادة» بمعنى أنه يمكن الاستمرار في نطقها ما أسعف النفس.

وانفصال الأعضاء في نطق الصوامت الانفجارية يتفاوت سرعة وبُطْئاً فإذا كان انفصالها بطيئاً بحيث لا يحدث انفجار واضح، بل يسمع عند إطلاق الوقف صامت احتكاكي، سمي الصوت الذي يتكون بهذه الكيفية «انفجارياً احتكاكياً». والصامت «الانفجاري الاحتكاكي» نوع من الانفجار يحدث في تكوينه أن يُتبع إطلاق الانفجاري مباشرة بالاحتكاكي المقابل له،

---

(١) Affricative Consonants, Affricates

(٢) Fricative

أي بالاحتكاكي الذي يتكون في نفس الموضع الذي يتكون فيه الانفجاري. وهذا الصوت الاحتكاكي الذي يعد جزءاً جوهرياً من الانفجاري الاحتكاكي يُسمع لأن الأعضاء المشتركة في نطق الانفجاري تنفصل ببطء.

و«للانفجار الاحتكاكي»[1] درجات مقابلة لدرجات سرعة انفصال الأعضاء؛ فإن كان الانفجار الاحتكاكي ضئيلاً أدرج الصوت مع الانفجارية، أما إن كان الانفجار الاحتكاكي شديداً بحيث يدرك السامع بوضوح الاحتكاكي المقابل للانفجاري، وصف الصوت بأنه «انفجاري احتكاكي».

ولما كان كل صوت انفجاري يقابله صوت احتكاكي، أمكن أن ينطق لكل صوت انفجاري مقابل له «انفجاري احتكاكي».

ومن المعروف أن الأصوات العربية، التي تكون النظام الصوتي لفصحانا هذه الأيام، ليس من جملتها أصوات انفجارية احتكاكية إلا أن بعض الأصوات الانفجارية الاحتكاكية مسموع في بعض العاميات العربية.

٢ ـ تمثيل الانفجارية الاحتكاكية في الكتابة الصوتية

١ ـ جرت عادة الصوتيين على تمثيل الصوامت الانفجارية الاحتكاكية في الكتابة الصوتية برمز مكون من حرفين[2] أولهما الحرف الذي يستعمل لتمثيل الصوت الانفجاري، وثانيهما الحرف الذي يستعمل لتمثيل الاحتكاكي المقابل له.

وهكذا يمثل الانفجاري الاحتكاكي المقابل للصوت الانفجاري

---

(١) Affrication

(٢) Diagraph

[b] بالرمز [bB]؛ ويمثل الانفجاري الاحتكاكي المقابل لـ [P] بالرمز [p Φ]؛ ويمثـل الانفجـاري الاحتـكاكي المقابـل لـ [t] بالرمـز [t s] وهكذا.

٢ ـ وأحياناً يوصل الحرفان، الممثلان للانفجاري الاحتكاكي، حيث تدعو الضرورة.

٣ ـ وقد يوضع الهلال(⌢، أو⌣)، فوق الحرفين، أو تحتهما، إشعاراً بأن الحرفين إنما يمثلان صوتاً واحداً، لا صوتين متتالين، وذلك مثل: [t͡s] أو [t͜s].

٤ ـ ومن الصوتيين من يستعمل، في بعض الحالات التي تأذن بذلك، رمزاً من حرف واحد قد يستعمل في غير هذه الحالة للدلالة على صوت آخر مخـالف للانفجـاري الاحتـكاكي كل المخالفـة، وذلك مثل [C] (لتمثيل الانفجاري الاحتكاكي الذي يبدأ بصوت التاء وينتقل منه إلى صوت الشين).

٣ ـ الصوامت الغناء[١]

تتكون الصوامت الغناء بأن يحبس الهواء حبساً تاماً في موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف. ومن أمثال الصوامت الغناء الميم والنون.

١ ـ الميم:

يحبس الهواء حبساً تاماً في الفم بأن تنطبـق الشفتـان انطباقـاً تامـاً: يُخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغـط من

---

(١) Nasal Consonants

النفوذ عن طريق الأنف، يتخذ اللسان وضعاً محايداً[1]، يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالميم صامت مجهور شفوي (= شفتاني) أغن[2].

٢ ـ النون:

يوقف الهواء في الفم وقفاً تاماً بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا، يخفض الحنك اللين وبهذا يتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من أن ينفذ عن طريق الأنف؛ يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت.

فالنون العربية صامت مجهور سني أغن[3]

٤ ـ الصوامت المنحرفة[4]

تتكون الصوامت «المنحرفة» بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء عن طريق أحد جانبي العقبة، أو عن جانبيها، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرفة (أو الجانبية) ومن أمثلتها أصوات اللام في العربية، والإنجليزية والفرنسية.

١ ـ اللام العربية:

يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتي اللسان، أو عن حافتيه؛ يُرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف؛ يتذبذب الوتران الصوتيان.

---

(١) Neutral

(٢) Voiced Bi-Labial Nasal Consonant

(٣) A Voiced Dental Nasal Consonant

(٤) Lateral Consonants

فاللام العربي صامت مجهور سني منحرف (= جانبي)[1].

ولقد لاحظ نحاة العربية أن المتكلمين العرب يستعملون نوعين رئيسيين من اللام، اللام المفخمة، واللام المرققة: الأولى كلام «والله» والثانية كلام «لك». وقد ذكروا الظروف التي تحدد نطق اللام مفخمة وتلك التي تحدد نطقها مرققة. إن الشكل الذي يتخذه جسم اللسان، أي الجزء الرئيسي منه في نطق اللام، عنصر أساسي في تحديد صوت اللام.

٢ ـ أما اللام الإنجليزي فهو «لثوي». والإنجليزية، كذلك تستعمل نوعين رئيسيين من اللام، اللام المفخمة، وتسمى "Dark L" (أي اللام المعتمة أو القاتمة)، واللام المرققة، وتسمى "Clear L" (أي اللام الصافية أو المشرقة). ويتعين نطق اللام في الإنجليزية «مفخمة إذا وقعت قبل أي صوت صامت كما في Field، أو متطرفة كما في Feel و Pill. ويتعين نطقها مرققة إذا وقعت قبل أي صوت صائت، كما في Late أو قبل صوت الياء كما في Million.

والفارق بين الأنواع المرققة من اللام وبين الأنواع المفخمة هو فارق في «الرنين» ففي المرققة يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب (= وسط الحنك) فيكون له رنين شبيه برنين «الصوائت الأمامية» (مثل ياء «في»). أما في المفخمة فيرتفع أقصى اللسان نحو «الحنك اللين» (= أقصى الحنك) فيكون له رنين شبيه برنين «الصوائت الخلفية» (مثل ألف «قال»).

٥ ـ الصوامت المكررة[2]

تتكون الصوامت المكررة نتيجة لطرقات سريعة متتابعة من عضو مرن:

---

(١) A Voiced Dantal Lateral Consonant

(٢) Rolled Consonants

مثلّ طرف اللسان، كما في الراء العربي [r]، أو مثل اللهاة كما في الراء الفرنسي [R].

١ ـ **الراء العربي**:

يتكون صوت الراء العربي بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر. (وهذه الطرقات لا تحدثها حركة عضلية واعية من طرف اللسان، فالذي يحدث أن طرف اللسان يوضع سمحاً في موضعه المناسب، ويذبذبه العمود الهوائي).

ويحدث الوتران الصوتيان نغمة عند نطق الراء.

فالراء العربي صامت مجهور لثوي مكرر(١).

٢ ـ **الراء الفرنسي**:

يتكون الصوت الفرنسي الذي يرمز له بـ[R] بأن تتذبذب «اللهاة» (أي بأن تطرق طرقات سريعة متتابعة) على أقصى اللسان. ويحدث الوتّران الصوتيان نغمة موسيقية عند تكوين الصوت.

فالراء الفرنسي صامت مجهور لهوى(٢) مكرر.

٦ ـ الصوامت المستلة؛ أو المستلبة؛ أو المفردة(٣)

تتكون الصوامت المستلة (= المستلبة؛ المفردة)، بإحداث طرقة واحدة من عضو مرن، كطرف اللسان، على عضو آخر، كاللثة، بحيث لا يستغرق الاتصال زمناً ملحوظاً. ومن أمثلة هذه الأصوات «الراء المستلة».

«الراء المستلة»(٤):

---

(١) A Voiced Alveolar Rolled Consonant

(٢) A Voiced Uvular Rolled Consonant

(٣) Flapped Consonants

(٤) Flappedr

تتكون «الراء المستلة» كما تتكون «الراء المكررة»، ولكن ليس فيها إلا طرقة واحدة من طرف اللسان على اللثة. ويحدث الوتران الصوتيان عند نطقها نغمة موسيقية. فهذه الراء صامت مجهور لثوي مستل[1].

وبعض المتكلمين بالإنجليزية الأدبية يستعملون هذه الراء موضع «الراء الاحتكاكية»[2]، وخاصة عندما تتواسط هذه الراء صوتين صائتين كما في كلمة very [`veri].

٧ ـ الصوامت الاحتكاكية[3]

١ ـ تتكون الصوامت الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً.

٢ ـ والصوامت العربية التي يصدق عليها هذا الوصف هي:

المهموس	المجهور
ف	-
ث	ذ
-	ظ
س	ز
ص	-

(١) A Voiced Alveolar Flapped Consonnant

(٢) Fricative R

(٣) Fricative Consonants

المهموس	المجهور
ش	
خ	غ
ح	ع
هـ	

وهذا وصف للصوامت العربية الاحتكاكية :

١ ـ الفاء :

يتكون الفاء بأن تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يُسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا ؛ يرفع الحنك اللين ، فلا يمر الهواء خلال الأنف ، لا يتذبذب الوتران الصوتيان .

فالفاء صامت مهموس شفوي ـ سنيّ احتكاكي[١] .

والنظير المجهور للفاء هو «الڤاء» [v] . وليس من جملة الأصوات العربية ، وهو شائع في اللغات الأوروبية . وأخذ يجري على ألسنة المثقفين العرب ، لا سيما عند نطق الأعلام الأوروبية التي تشتمل عليه ، مثل «ڤينا» . ويتكون هذا الصوت كما يتكون الفاء إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء نطقه .

٢ ـ الثاء :

يحدث الثاء بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ؛ ويكون معظم جسم اللسان مستوياً ؛ يرفع الحنك اللين ، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف ، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان .

---

(١) A Voiceless Labio-Dental Fricative Consonant.

فالثاء صامت مهموس مما بين الأسنان احتكاكي[١].

٣ ـ الذال:

وهو النظير «المجهور» للثاء. أي أن الذال يختلف عن الثاء في شيء واحد هو أن الوترين الصوتيين يتذبذبان عند نطقه، فهو مصحوب بنغمة موسيقية.

فالذال صامت مجهور مما بين الأسنان احتكاكي[٢].

ومما تجدر ملاحظته أن الثاء [θ]، والذال الإنجليزيتين لا يتكونان بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا، بل بأن يوضع على الأسنان العليا (= الثنايا العليا)، فهما لذلك «سِنّيان»[٣].

٤ ـ الظاء

يتكون الظاء بنفس الطريقة التي يتكون بها الذال، إلا أن شكل اللسان معه غير شكله مع الذال. ففي الظاء «إطباق»[٤]، أي أن اللسان يتخذ نفس الشكل يتخذه في نطق الضاد، والطاء ـ وقد مر وصفهما ـ والصاد.

فالظاء صامت مجهور مما بين الأسنان احتكاكي مطبق[٥].

والنظير المهموس للظاء ليس من جملة الأصوات العربية، ويمكن تقريبه بأن نقوله إنه «مطبق الثاء»؛ أي أن بين هذا الصوت وبين الثاء ما بين الصاد والسين مثلاً.

---

(١) A Voiceless Interdental Fricative Consonant.

(٢) A Voiced Interdental Fricative Consonant.

(٣) Dental

(٤) Velarization

(٥) A Voiceded Interdental Velarized Fricative Consonant.

٥ ـ السين:

يحدث السين بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة بينما يُرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى؛ ويكون الفراغ بين طرف اللسان وبين اللثة قليلاً جداً، يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالسين صامت مهموس لثوي احتكاكي(١).

ويلاحظ أن هذا الصوت لا يتأتى نطقه لو فتح الفم، أثناء تكوينه، إلى حد كبير، بل إنه ليحدث في نطق كثيرين للسين أن تتلاقى الأسنان العليا والأسنان السفلى.

كما أنه من الممكن أن يتكوّن السين بأن يعتمد ذلَق اللسان، لا على اللثة، ولكن على الأسنان السفلى، أو على أصول الثنايا السفلى، وقد لاحظ ذلك بعض نحاة العرب.

٦ ـ الزاي:

وهو النظير المجهور للسين. فهو صامت مجهور لثوي احتكاي(٢).

٧ ـ الصاد:

الصاد مطبق السين؛ أي أنه يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها السين إلا أن فيه «إطباقاً».

فالصاد صامت مهموس لثوي احتكاكي مطبق(٣).

---

(١) A Voiceless Blade-Alveolar Fricative Consonant

(٢) A voiced Blade-Alveolar Frica-tive Consonant.

(٣) A Voiceless Blad-Alveolar Velarized Fricative Consonant.

والنظير المجهور للصاد هو «مطبق» الزاي؛ أي أنه يتكون كما يتكون الزاي إلا أن فيه إطباقاً. فهذا الصوت صامت مجهوري لثوي احتكاكي مطبق[1].

وهو من جملة أصوات العامية المصرية، وهو الصوت الأول في نطقنا العامي لكلمة «ضابط».

٨ ـ الشين:

يتكون الشين العربي بأن يرفع «ذلق» اللسان[2] و«طرفه» (= ومقدمه)[3] نحو مؤخر اللثة، بينما يكون كل الجزء الأساسي من جسم اللسان مرفوعاً نحو الحنك الأعلى في نفس الوقت. ويكون الفراغ بين مقدم اللسان ومؤخر اللثة ضيقاً، ولكنه أوسع من الفراغ الكائن في نطق السين، وإن كان العمود الهوائي، فيما بين سائر اللسان والحنك، أضيق من العمود الهوائي بين هذين العضوين في حالة السين.

وفي نطق الشين تتقارب الأسنان السفلى والعليا، إذ لا يتأتى تكوين هذا الصوت إذا اشتد انفتاح الفم. يُرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالشين صامت مهموس لثوي ـ حنكي احتكاكي[4].

والنظير المجهور للشين هو النطق العامي للجيم في سوريا وبعض بلاد

(١) A Voiced Blade-Alveolar Velarized Fricative Consonant.

(٢) Tip of the Tongu

(٣) Blade of the tongue

(٤) A Voiceless Palato-Alveolar Fricative Consonant

المغرب، وهو مثل الصوت الأخير في كلمة "rouge" الفرنسية (= رُوج).

أي أنه يتكون تكون الشين ويفترق عنه في أن الوترين الصوتيين في نطقه يحدثان نغمة موسيقية. ويمكن أن يرمز إليه بـ[3] فهذا الصوت صامت مجهور لثوي ـ حنكي احتكاكي(١).

أما نطق الجيم الفصحى في مصر النطق المثالي الذي يأخذ به صفوة الأساتذة تلاميذهم(٢) فنستطيع أن نرمز إليه بالرمز [d 3]، أي أنه صوت صامت مجهور لثوي ـ حنكي انفجاري ـ احتكاكي(٣).

٩ ـ الخاء:

الخاء في عربيتنا الفصحى، هذه الأيام، يتكون بأن يقرب أقصى اللسان من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفاذ محدثاً احتكاكاً؛ يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالخاء صامت مهموس حنكي ـ قصي احتكاكي(٤).

١٠ ـ الغين:

وهو النظير المهجور للخاء.

فالغين صامت مجهور حنكي ـ قصي احتكاكي(٥).

---

(١) A Voiced Palato-Alveolar Fricative Consonant.

(٢) من المعروف أن أكثر المثقفين في مصر ينطق الجيم الفصحى كافاً مجهورة «وهو نطقهم للجيم العامية في مثل «جرى»».

(٣) A Voiced Palato-Alveolar Affricative Consonant.

(٤) A Voiceless Velar Fricative Consonant

(٥) A Voiced Velar Fricative Consonant

١١ ـ **الحاء** :

يحدث احتكاك هذا الصوت في الفراغ الحلقي أعلى الحنجرة، إذ يُضيق المجرى الهوائي في هذا الموضع بحيث يحدث مروره احتكاكاً؛ يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالحاء صامت مهموس حلقي احتكاكي(١).

١٢ ـ **العين**:

وهو النظير المجهور للحاء، أي أن العين يتكون حيث يتكون الحاء، وكما يتكون الحاء إلا أنه تصحبه نغمة موسيقية إذ يتذبذب الوتران الصوتيان عند تكوينه.

فالعين صامت مجهور حلقي احتكاكي(٢).

١٣ ـ **الهاء**:

الهاء هو صوت النفس الخالص الذي لا يلقى مروره اعتراضاً في الفم. وللسان أن يتخذ، في نطق الهاء، أي موضع من المواضع التي يتخذها في نطق «الصوائت»؛ ومن ثم فمن المستطاع نطق أنواع من الهاء قدر ما يستطاع نطقه من أنواع «الصوائت». ولذلك أمكن اعتبار أصوات الهاء «صوائت مهموسة»(٣)، أي صوائت يصحبها همس لا جهر.

والهاء العربي يتكون عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صوت صائت (كالفتحة مثلاً)، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد

---

(١) A Voicelss Pharyngal Fricative Consonant

(٢) A Voiced Pharyngal Fricative Consonant

(٣) أو «صوائت غير مجهورة»

Unvoiced Vowels

الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثاً صوتاً احتكاكياً؛ يرفع الحنك اللين ولا يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالهاء العربي صامت مهموس حنجري احتكاكي(١).

٨ ـ الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية(٢)

يطلق هذا المصطلح على بعض صوامت مجهورة تتكون في نفس المواضع الملائمة لتكوين صوامت احتكاكية، ولكن لا يسمع في نطقها احتكاك: إما لأن قوة النفس (= الزفير) في تكوينها أضعف من تلك المستخدمة في نطق الاحتكاكية المقابلة لها «وإما لأن درجة انفتاح الأعضاء عند موضع النطق تكون أوسع منها عند نطق الاحتكاكية المقابلة لها، وإما لاجتماع هذين العاملين.

ومن أمثلة الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية نطق كثير من الإنجليز للراء الإنجليزية. فالشائع في الراء الإنجليزية أن تنطق «صامتاً مجهوراً لثوياً احتكاكياً، ولكن كثرة من الإنجليز تجعل الفتحة بين «ذلق» اللسان وبين اللثة أوسع شيئاً ما من تلك اللازمة لإحداث الراء الإحتكاكية، وتستخدم قوة زفير أضعف من المستخدمة عادة في تكوين الراء الاحتكاكية فينتج عن هذا أن الراء التي ينطقونها تكون «متمادة»، أي يدوم نطقها ما أسعف النفس، ولكن لا يسمع معها احتكاك، فتوصف أنها «متمادة غير احتكاكية».

٩ ـ أشباه الصوائت(٣)

يطلق هذا المصطلح على «صوائت انزلاقية»(٤) يحدث فيها أن تبدأ

(١) A Voiceless Glottal Fricative Consonant

(٢) Frictioness Continuants

(٣) Semi - Vowels

(٤) Vowel - Glides

الأعضاء بتكوين «صائت ضيق»[1] (كالكسرة مثلاً) ثم تنتقل بسرعة إلى «صائت» آخر أشد «بروزاً»[2] ؛ ولا يدوم وضع الصائت الأول زمناً ملحوظاً.

والذي يدعو إلى إدراج هذه الأصوات تحت طبقة «الصوامت» هو ما تتميز به من انتقال سريع مع ضعف في قوة النفس (= الزفير).

وفي العربية صوتان ينطبق عليهما هذا الوصف هما الواو، مراداً بها مثل واو «وجد» والياء، مراد بها مثل ياء «يزن».

١ ـ الواو:

تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من «الضمة» [u]، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر. وتختلف نقطة البدء اختلافاً يسيراً فيما بين المتكلمين وحسب الصائت التالي. تنضم الشفتان، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين، ويتذبذب الوتران الصوتيان.

فالواو [w] شبه صائت مجهور شفوي حنكي ـ قصي[3].

٢ ـ الياء:

تتكون الياء بأن تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة [i] ثم تنتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر أشد «بروزاً». وهذا الانتقال السريع من الكسرة [i] هو الذي يكوّن الصامت المعروف بالياء.

ونستطيع أن نصف بدء هذا الصوت بأن نقول إن وسط اللسان يرفع

---

(١) Close - Vowel

(٢) انظر الكلام على «البروز» ص ١٨٨ من هذا الكتاب.

(٣) A Labio - Velar Semi - Vowel

عالياً تجاه الحنك الصلب (= وسط الحنك) و«تكسر» الشفتان. يسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين؛ يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالياء [y] شبه صائت مجهور مكسور (= غير مضموم) حنكي - وسيط[1].

جـ - تصنيف الصوامت حسب «موضع النطق»[2]

١ - عرضنا في خلال وصفنان للأصوات، مصنفة حسب «طريقة النطق»، للأعضاء التي تشترك في تكوين كل صوت، ولوضع تلك الأعضاء. وقد رأينا أن من هذه الأعضاء وأوضاعها (كحالة الوترين الصوتيين) ما يتخذ أساساً لتصنيف الأصوات إلى «مهموسة» أو «مهجورة» (أو لا مهموسة ولا مهجورة كهمزة القطع)؛ ومنها - كشكل اللسان، وانفتاح الممر إلى الأنف أو انسداده - ما يحدد شكل المجرى الهوائي فيساعد على تصنيف الأصوات من حيث طريقة نطقها (فنقول: هذا الصوت انفجاري، أو منحرف.. الخ). وورد في تعريفاتنا لتكوين الأصوات تحديد ما كان يسميه العرب «مخرج الحرف»، وما يسميه المحدثون في الغرب «موضع النطق» فعندما نعرف «النون» بأنه صامت مجهور سني أغن»، فإن قولنا «سني» يحدد «موضع نطق» هذا الصوت؛ ولكن ليس معنى هذا بالضرورة أن الأسنان وحدها هي «موضع النطق»، فالأسنان يعتمد عليها طرف اللسان بشكل خاص؛ ولكن إيثاراً للإيجاز يدل على موضع النطق بالعضو الثابت - وهو اللثة - الذي يلتقي به طرف اللسان. وكذلك «الراء»، توصف حسب موضع النطق بأنها «لثوية»، وليست اللثة وحدها هي الموضع (أو

(١) An Unrounded Palatal Semi - Vowel

(٢) Place of Articulation

المخرج)، فاللسان شريك اللثة، والتقاؤهما على هيئة مخصوصة هو الذي يحدد «موضع النطق».

٢ ـ وفيما يلي مواضع نطق الأنواع الرئيسية للأصوات الأساسية في لغات العالم:

١ ـ الشفتان: ويوصف الصوت بأنه «شفتاني» (كالميم والواو).

٢ ـ الشفة السفلى والأسنان العليا: ويوصف الصوت بأنه «شفوي سني» (كالفاء؛ والقاء).

٣ ـ الأسنان: ويوصف الصوت بأنه «سني» (كالتاء والدال والنون واللام).

٤ ـ ما بين الأسنان: ويوصف الصوت بأنه «مما بين الأسنان» (كالثاء، والذال، والطاء)

٥ ـ اللثة: ويوصف الصوت بأنه «لثوي» (كالراء المكررة).

٦ ـ اللثة ومقدم الحنك الأعلى: ويوصف الصوت بأنه «لثوي حنكي» (كالشين).

٧ ـ مقدم الحنك الأعلى ووسطه ويوصف الصوت بأنه «حنكي وسيط».

٨ ـ أقصى الحنك الأعلى: ويوصف الصوت بأنه «حنكي قصي» (كالكاف، والخاء، والغين).

٩ ـ اللهاة: ويوصف الصوت بأنه «لهوي» (كالقاف).

١٠ ـ الحلق: ويوصف الصوت بأنه «حلقي» (كالحاء والعين).

١ ـ الحنجرة: ويوصف الصوت بأنه «حنجري» (كهمزة القطع ، والهاء).

د ـ تصنيف الصوائت

١ ـ يتضح من التعريف الذي قدمناه للصوائت أن الصفة الأساسية المميزة للصوائت تقوم على شكل ممر الهواء المفتوح فيما فوق الحنجرة؛ فهذا الممر يكون صندوقاً رناناً يغير من طبيعة الصوت الناتج عن ذبذبة الوترين الصوتيين. فالأشكال المختلقة التي يتخذها هذا الممر تغير طبيعة الصوت على أشكال مختلفة، ومن ثم فهي تسبب ظهور صوائت متمايزة. واللسان والشفتان هما العضوان الأساسيان اللذان لهما دخل في تغيير شكل الممر الهوائي في حالة الصوائت ويستطيع المبتدىء أن يلاحظ وضع اللسان في نطق الصوائت المختلفة وذلك بأن ينظر في مرآة، وهو فاتح فمه إلى أقصى ما يستطيع، ثم يأخذ في نطق صوائت مثل ألف «قال»، ثم باء «بيع»، ثم كسرة «من»، ثم كسرة «تبن»، ثم فتحة «صبر»، ثم ضمة «صُم». وسيجد أنه في نطق ألف «قال» وضمة «صم»، وفتحة «صبر» يكون الجزء الخلفي من اللسان هو صاحب الشأن الأكبر في تشكيل الممر الهوائي الخاص بكلا هذين الصوتين؛ أما في نطق ياء «بيع» فإن الجزء «الأمامي» من اللسان يرفع (في اتجاه الحنك الأعلى) إلى درجة كبيرة، وهو أقل ارتفاعاً في نطق كسرة «تبن» مثلاً. أما في نطق الصوتين الصائتين في الكلمتين العاميتين المصريتين «بيت» و «بِيض» فانه يرفع من اللسان جزء وسط بين أماميّة وخلفية. ومن ثم فالصوائت تصنف إلى «أمامية»(١) «وخلفية»(٢)، و«وسطى»(٣) (= ووسطية؛

---

(١) Front Vowels

(٢) Back Vowels

(٣) Central Vewe's

ومركزية) حسب الجزء الذي يرفع من اللسان؛ وتصنف إلى «ضيقة»[١] و«نصف ضيقة»[٢] . (= شبه ضيقة) و«نصف مفتوحة»[٣] (= شبه مفتوحة) و«مفتوحة»[٤] وذلك حسب درجة رفع اللسان. وهكذا فياء «بِيع» «صائت أمامي ضيق»[٥]، وألف «باء» «صائت أمامي نصف مفتوح»[٦] وألف «قال» «صائت خلفي مفتوح»[٧]، وضمة «صم» «صائت خلفي نصف مفتوح»[٨]، وضمة «بُكور» صائت خلفي ضيق»[٩]، وكسرة «بِيت» (في العامية المصرية) «صائت وسَطي نصف مفتوح»[١٠].

٢ ـ وللشفتان ـ كما ذكرنا ـ دخل كبير في تكوين الأصوات الصائتة بالإضافة إلى اللسان. قد «تنضم» الشفتان، أو «تكسران»، أو «تتخذان وضعاً محايداً». تنضم الشفتان كما يحدث في نطق «الضمة» و«الضمة الطويلة»، وتكسران في نطق الكسرة والكسرة الطويلة، وتفتحان بصورة محايدة في نطق الفتحتين. ولكل من الضم والفتح والكسر درجات كثيرة.

٣ ـ والصوائت العربية الأساسية هي «الفتحة»، و«الكسرة»، و«الضمة»، والألف الممدودة اللينة، أو «الفتحة الطويلة» (كما في «قال»)، والياء

---

(١) Close Vowels

(٢) Half - Close Vowels

(٣) Half - Open Vewels

(٤) Open Vowels

(٥) A Front Close Vowel

(٦) A Front Half-Open Vowel

(٧) A Back Open Vowel

(٨) Back Half-Open Vowel

(٩) A Back Close Vowel

(١٠) A Central Half-Open Vowel

الممدودة اللينة، أو «الكسرة الطويلة» (كمـا في «بِيعَ») والـواء الممـدودة اللينة، أو «الضمة الطويلة» (كما في «روح»).

هـ ـ الصوائت المركبة[1]

١ ـ من الأصوات ما يوسم بأنه «صائت مركب»، فما الفرق بينه وبين ما وصفناه بأنه «صائت»؟ مما يميز «الصائت» من «الصائـت المـركب» أن أعضاء النطق في تكوين الأول تظل في موضعها الخاص مدة ملحوظـة من الزمان.

أما «الصائت المركب» فقـد جرى العـرف علـى اعتبـاره ارتباطـاً من صوتين صائتين ينطقان بحيث يكوّنان مقطعاً واحداً لا مقطعين. وهو في واقع الأمر «صوت انزلاقي»[2]: إنه صوت صائت يتضمن «انزلاقاً» مقصوداً، إذ تبدأ أعضاء النطق متخذة الوضع الخاص بصائـت من الصوائـت ثم تنتقـل مباشرة نحو الوضع الخاص بصائت آخر. ويميز «الصائتَ المركب» كذلك أنه يتكون من «مقطع»[3] واحد، أي أن «الانـزلاق»، أو «الانتقـال»، من الصائت الأول إلى الصائت الثاني ينبغي أن يتم بدفعـة واحـدة من النفس، أما إذا تم هذا «الانزلاق» بأكثر من دفعة واحدة من النفس فإن السامع يسمـع مقطعين اثنين متواليين لا مقطعاً واحداً: ويسهل إدراك هذا بأن ننطق نطقاً بطيئاً «الصائـت المـركب» الإنجليزي [a i] ثم ننطـق الصـوت الصائـت الإنجليزي [a]، وبدفعة جديدة من النفس نتبعه بنطق الصائت الإنجليزي [i] (دون أن نبدأ هذا الصائت بهمزة قطع وهـذا أصعـب علـى أصحـاب

(١) Diphthongs

(٢) Gliding Sound

(٣) Syllable

العربية إذ لا تبدأ كلمة عربية بصوت صائت غير مسبوق بصوت صامت)، سنجد أن نطقنا لـ [a i] بدفعة واحدة من النفس يكوّن مقطعاً واحداً، وهو «صائت مركب»، أما نطقنا للصائتين بالصورة التي مثلناها ثانية فسنجد أنه يكوّن مقطعين وهو لذلك ليس «صائتاً مركباً».

٢ ـ يتضح من وصفنا للصائت المركب أنه يتكون بالبدء من موضع أي صائت والاتجاه إلى موضع صائت آخر، ولما كانت الصوائت كثيرة كان عدد «الصوائت المركبة»، احتمالاً، كبيراً جداً. واللغات تتفاوت في عدد الصوائت المركبة التي تستعملها، وأغلب المتكلمين الإنجليز يستعملون تسعة صوائت مركبة ليس غير منها تلك التي يرمز إليها بـ[ai]، [ei]، [au].

٣ ـ وقد لوحظ أن أحد طرفي «الصائت المركب» يكون عادة أشد «بروزاً» أو «جهارة» (انظر تعريفنا لهذا المصطلح ص ٢٠٦) من الطرف الآخر. و«الصائت المركب» يسمى «هابطاً»(١) أو «نازلاً»(١) إن كان طرفه الأول أبرز أو أشد جهارة من طرفه الثاني؛ (أي أنه سمى كذلك باعتبار ما يصير إليه) ويسمى «صاعداً»(٢) أو «طالعاً»(٢)، إن كان طرفه الثاني أبرز أو أشد جهارة من طرفه الأول. وتتصف «الصوائت المركبة» الإنجليزية جميعاً بأنها «صوائت مركبة هابطة»(٣).

---

(١) Decrescendo; Falling

(٢) Crescendo; Rising

(٣) أنظر ما كتبه الدكتور تمام حسان عن الأصوات اللغوية في كتابه (مناهج البحث في اللغة، ص ٥٩ ـ ١١٠ ففيه تفصيلات في وصف الأصوات العربية، مع الاستعانة بالصور والرسوم.
ونستدرك هنا إشارة كنا قد أوردناها في هامش ص ١٢٠، ولكنها سقطت سهواً، عند بيان بعض المراجع الخاصة بالدراسة الصوتية الآلية.
أنظر ما كتبه الدكتور تمام حسان في هذا الشأن في كتابه (مناهج البحث في اللغة): تسجيل=

- ١٠ -
عن الأصوات في «الكلام»

إن «كلام» أي لغة من اللغات ليس مجموعة من الأصوات المفردة؛ نحن لا نتكلم أصواتاً كل منها قائم برأسه، نحن نتكلم «كلمات»، و«جملا»، و«فقرات».

وإذا كانت كلمات كل لغة وجملها ترتد، من الناحية الصوتية، إلى مجموعة محدودة من «الأصوات»، فليس معنى هذا أن الأصوات في الكلمات أو في الكلام المتصل تحتفظ بخصائصها التي نسبناها إليها عندما وصفنا كل صوت على أنه وحدة مستقلة؛ تلك كانت عملية تجريد لازمة لوصف العناصر أو الوحدات البسيطة التي تتكون منها الكلمات. ولكن ينبغي ألا يصرفنا هذا عن تلك الحقيقة الهامة ألا وهي أن الصوت في الكلمة، وفي الجملة وفي الجمل يكتسب خصائص جديدة. إن للأصوات فيما بينهما

= الصوت ص ٧١ ـ ٧٢.

«البلاتوغرافيا» أو تكنيك الحنك الصناعي ص ٧٣ ـ ٨٠.

الكيموغرافيا أو تكنيك التعرجات الذبذبية ص ٨٠ ـ ٨٢.

صور الأشعة ٨٢ ـ ٨٣.

وقد أورد الدكتور تمام رسوماً وصوراً فوتوغرافية للأحنكاك الصناعية ولما يسميه «التعرجات الذبذبية» وصوراً بالأشعة، وذلك كأمثلة للآثار التي يقدمها نطق بعض الأصوات والكلمات عند استعمال هذه الوسائل.

«نحواً» خاصاً: إن علاقاتها تحكمها قواعد وأصول معينة، فنجد مثلاً أن الصوت الفلاني يدغم في الأصوات الفلانية في مواضع معينة؛ ونجد أن هذا الصوت ينقلب صوتاً جديداً إذا وقع في «سياق صوتي» معين؛ ونجد أن صوتاً ثالثاً يحذف إذا توفر فيه وفيما يجاوره من أصوات شروط معينة، وقد يظهر لهذا الحذف أثر ما في سواه من الأصوات المجاورة؛ ونجد أن المقطع الفلاني إذا وقع في هذا الموقع من الكلمة نطق بقوة نفَس أكبر، وبجهد من الأعضاء أعنف. . . الخ.

وسنتحدث الآن عن بعض الخصائص الصوتية التي تظهر في الكلام المتصل.

أ ـ «البروز» أو «الجهارة»[1]

إنا عندما نستمع إلى أي كلام متصل في أي لغة من اللغات فنحن ندرك أن عدداً من «المقاطع» أو «الكلمات» يكون أشد» بروزاً» من سائر الجملة. هذا «البروز» ـ أو هذه «الجهارة» ـ يسببه ارتباط وثيق بين «طول»[2] الصوت، و«ارتكازه»[3]، و«درجته»[4] و«الوضوح»[5] الطبيعي للصوت مفرداً. ومعنى هذا أن الصوت يكون «بارزاً» عندما يكون «أوضح» و«أطول» و«أعلى» (بسبب قوة نفَسية أشد) وعندما يتميز من حيث الدرجة». ومن العسير أن نحكم أي هذه العناصر أهم، فالتأثير العام الذي ندعوه

---

(١) Prominence

(٢) Length

(٣) Stress

(٤) Pitch

(٥) Sonority

«النّبر»[1] يرجع في أغلب الأحوال إلى ارتباط اثنين أو أكثر من هذه العوامل. وسنعرف فيما يلي بعاملين هامين من هذه العوامل هي الارتكاز و«الدرجة» أو «التنغيم».

ب ـ الارتكاز[2]

١ ـ الارتكاز هو درجة قوة النفس التي ينطق بها صوت أو مقطع. وليس كل صوت أو مقطع ينطق بنفس الدرجة، فدرجة قوة النفس في نطق الأصوات والمقاطع المختلفة تتفاوت تفاوتاً بيّناً. إن الصوت ـ أو المقطع ـ الذي ينطق بارتكاز أكبر يتضمن طاقة أعظم نسبيّاً، يتضمن من أعضاء النطق الخاصة جهداً أعنف في النطق بالإضافة إلى زيادة قوة النفس. وهكذا فالصوت ـ أو المقطع ـ الذي ينطق بارتكاز أكبر من سواه في كلمة من الكلمات، «يبرز» «بروزاً» موضوعياً من سائر الأصوات، أو المقاطع، التي يجاورها.

وعلى العكس من هذا، عندما تستعمل في نطق صوت، أو مقطع، طاقة أقل نسبياً فهو، تبعاً لهذا، أقل بروزاً مما يجاوره من الأصوات والمقاطع.

٢ ـ وقد جرى الصوتيون على التمييز بين ثلاث درجات رئيسية من

(١) Accent

(٢) أنظر Mac Carthy: English Pronunciation, PP. 150 - 160.

Ward: The Phonetics of English, PP. 165 - 169.

وتحدث الدكتور تمام حسان عن هذه الخاصية تحت اسم «النبر» وأورد النماذج التي تسير عليها العربية في هذا المجال (مناهج البحث في اللغة): ص ١٦٠ ـ ١٦٤؛ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة، ١٩٥٥.

«الارتكاز» في الكلام العادي «غير المؤكد»، مع أن الذي يسمع في الكلام أكثر من هذا. هذه الدرجات الثلاث هي:

١ ـ «الارتكاز القوي»[١]، وتسمى المقاطع التي يقع عليها هذا الارتكاز القوي «قوية الارتكاز»[٢] أو «ارتكازية» (= مرتكزة)[٢] ليس غير.

٢ ـ «الارتكاز الضعيف»[٣] وتسمى المقاطع التي تتصف بهذا الارتكاز «ضعيفة الارتكاز»[٤] أو «غير ارتكازية (= غير مرتكزة)»[٤].

٣ ـ «الارتكاز الثانوي»[٥] (أو «الوسيط»)[٥] وهو درجة من الارتكاز وسط بين الدرجتين السابقتين.

في الكلمات العربية التي على وزن «فاعِل» مثل «سامع»، «كاتب»، «قارىء»، «حادثٌ»، و «سامحْ»، يقع ارتكاز قوي على المقطع الأول. وفي الكلمات التي على وزن «مستَفعِل» يقع الارتكاز القوي على المقطع «تَ»، مثل: «مستَفهم»، «مستَقبل».

وفي الكلمات التي على وزن «مفعول» يقع الارتكاز القوي على المقطع المقابل لـ «عُـ» وذلك مثل محبُوب، مفهُوم، مضروب[٦].

٣ ـ وهذه هي وسيلة الدلالة في الكتابة على درجات الارتكاز المختلفة: يُدل على المقاطع قوية الارتكاز بوضع العلامة ' قبلها مباشرة،

---

(١) Strong Stress

(٢) Strongly Stressed' Strssed

(٣) Weak stress

(٤) Weakly stressed, unstressed.

(٥) Secondary stress

(٦) انظر تفصيلات النماذج العربية في كتاب الدكتور تمام حسان (مناهج البحث في اللغة ص: ١٦٠ ـ ١٦٤).

ويدل على المقاطع ثانوية الارتكاز بوضع العلامة قبلها مباشرة، أما المقاطع ضعيفة الارتكاز فتترك بلا علامة. وأما الارتكاز الإضافي الذي يأتي للتأكيد فيدل عليه بوضع العلامة " قبل المقطع الخاص مباشرة.

وهذه أمثلة من الإنجليزية[1]: Photograpy تنطق بارتكاز قوي على المقطع الأول فيمثل هذا هكذا 'Photograph؛ وكلمة Photography تنطق بارتكاز قوي على المقطع الثاني فيكون تمثيل ذلك في الكتابة على هذا الوجه Pho'tography أما كلمة Photographic فتنطق بارتكاز متوسط (أو ثانوي) على المقطع الأول وبارتكاز قوي على المقطع الثالث فتمثل كتابة بهذه الصورة: Photo'graphic .

٤ ـ عندما يقع ارتكاز على مقطع، أو أكثر، من كلمة من الكلمات، عندما تنطق مفردة، يوصف هذا الارتكاز بأنه «ارتكاز كلمة»[2]. ولكن هذا الارتكاز غالباً ما يعدّل بتأثير ما يسمى «ارتكاز الجملة»[3]. وهذا يعتمد في الأغلب الأعم على الأهمية النسبية للكلمات في الجملة، كما يعتمد على «الإيقاع»[4] كذلك.

٥ ـ ومن اللغات ما يعتمد على تغيير موضع الارتكاز لتغيير معنى الكلمة، وفي الإنجليزية مثلاً كلمات كثيرة إذا نطقت بارتكاز قوي على المقطع الأول كانت أسماء، فإذا نقل الارتكاز القوي على المقطع الثاني صارت أفعالاً مثل:

---

(١) لم نرمز إلى أصوات الكلمات التي مثلنا بها بالحروف الصوتية الخاصة لأن هذه الحروف غير متوفرة في المطابع العربية.

(٢) Word-stress

(٣) Sentence-stress

(٤) Rhythm

أفعال	أسماء
in'crease	'increase
com'pact	'compact
sub'ject	'subject
ac'cent	'accent
con'duct	'conduct

وفي أمثال هذه الكلمات الإنجليزية يصحب تغييرَ موضع الارتكاز تغييرٌ في الصوت الصائت في بعض الكلمات، وإطالة طفيفة فيه في كلمات أخر[١].

حـ - التنغيم[٢]

إن «التنغيم» هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (= الصعود) والانخفاض (= والهبوط) في «درجة»[٣] «الجهر»[٤] في الكلام. وهذا التغير في «الدرجة» يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث «نغمة»[٥] موسيقية. ولذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام، يدل على «لحن»[٦] الكلام. ولكل لغة عادتها التنغيمية أو

(١) أنظر Ida Ward: pp. 181 — 184.

(٢) Intonation

(٣) Pitch

(٤) Voice

(٥) Tone

(٦) Melody

الفرق بين «النغمة» و«اللحن» أن «النغمة» يتصف بها مقطع من المقاطع، فيوصف المقطع الفلاني من الكلمة الفلانية بأنه ينطق بنغمة «صاعدة»، وذلك بأنه ينطق بنغمة «هابطة»، أو «مستوية»؛ أما «اللحن» فهو ما ينشأ عن ترتيب النغمات المتتابعة في المجموعة الكلامية.

«لحونها»، ونحن عندما نتعلم لغة أجنبية نفرض عاداتنا التنغيمية على اللغة الجديدة، ويصعب علينا أن نتعلم اللحون الجديدة. بل إن التنغيم» ليختلف من فرد إلى فرد، بين متكلمي لغة من اللغات شيئاً من الاختلاف، وإنه ليختلف اختلافاً أشد من هذا من إقليم إلى إقليم، فغالباً مما يميّز كل إقليم لحن كلام.

إن التغييرات الموسيقية في الكلام، التي ندعوها «التنغيم»، تستعملها اللغات المختلفة استعمالات مختلفة. فعن طريق هذه التغييرات يتوسل كثير من اللغات إلى التعبير عن الحالات النفسية المختلفة، وعن المشاعر والانفعالات، فتستعمل تنغيماً خاصاً لكل من الرضا والغضب، والدهش والاحتقار إلى آخره. ومن اللغات، كالفرنسية مثلاً، ما يحوّل معنى الجملة من الدلالة على التقرير إلى الدلالة على الاستفهام بتغيير التنغيم ليس غير. عبارة Il vient عندما تكون تقريرية بمعنى «هو يأتي» تنطق على «نغمة هابطة» (أو «لحن هابط»)، فإن كانت سؤالاً ?Il vient بمعنى «هل يأتي؟» نطقت على نغمة صاعدة». وثمة أبحاث قيمة مفصلة في بيان الأنواع الأساسية من التنغيم التي تتبعها هذه اللغة أو تلك من اللغات التي عني بجلاء هذا الجانب من جوانبها بعض المحدثين من صوتيين[٣].

---

(١) من ذلك كتاب:

Lilas E. Armstrong And Ida C. Ward: A Handbook of English Intonation' W. Heffer & Sons Limited, Cambridge Second Edition Rerprinted 1949.

وكتاب:

Helene N. Coustenoble and Lilias E. Armstong: Studies In French Intonation' W. Heffer & Sons Ltd., Cambridge, First Edition 1934.

أما فيما يتعلق بالتنغيم في العربية وبوسائل تمثيله كتابة، فانظر: الدكتور تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٦٤ ـ ١٧٠.

- ١١ -

الفونولوجيـا[١]
أو علم الأصوات اللغوية الوظيفي[٢]

١ - تردد فيما أسلفنا من كلام أن الأصـوات التـي تستعملهـا لغـة من اللغات إذا كانت محدودة العدد فإن هذا التحديد قائم على أساس تجريدي: فنحن نقول إن «النون» مثلاً صوت أساسي في العربية، ولكن ثمة في الواقع درجات أو» تنوعات» من «النون» بحسب سياقها الصوتي، فالنون في «نهر» من الناحية «الصوتية» الخالصة، أي من حيث تكوينهـا الفسيولوجـي، غير النون في «مِنْك» و«عَنْك» مثلاً، وقد أدرك العرب هذه الظاهـرة في النـون فسموا النون في مثل «منك» و«عنك» «النون الخفيفة».

إن «أصوات» أي لغة من اللغات لا حد لها في واقع الأمـر. وإن ما نسميه صوتاً «واحداً» قد يتردد بنفسه أكثـر من مرة في كلمـة من الـكلمات ولكنه ينطلق في كل مرة بصورة خاصـة، فالفتحـة الأولـى في قولنـا «بَطَـرَ» مثـلاً غير

---

(١) Phonology

والدكتور تمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة) يترجم هذا المصطلح بـ «التشكيل الصوتي» (ص ١١١ مثلاً) ويترجم Phonological بـ «تشكيلـي» أو «تشـكيلية»؛ ونحـن نؤثـر استعمال «الفونولوجيا» و«فونولوجي» (أو «فونولوجية») حتى يظهـر مصطلـح عربـي محـدد مرن.

(٢) Functional Phonetics

الفتحة الثانية من الناحية الصوتية، وغير الفتحة الثالثة. وثمة اختلافات فردية، بين متكلمي لغة بعينها، مردّها إلى اختلافات عضوية أو إلى عادات فردية، ولكن على الرغم مثلاً من أن «الصوت الطبيعي» للمرأة (= أي «جِسّ» المرأة) غير «الصوت الطبيعي» للرجل فإني عندما أسمع امرأة تنطق كلمة «سعادة» أدرك أنها «نفس» الكلمة عندما أسمعها من نطق رجل، وأدرك أنها مكوّنة من «نفس» الأصوات.

ما الذي يجعلنا نتغاضى عن أمثال هذه التنوعات الفردية، أو الراجحة إلى سياق صوتي معيّن، فنسوّي بين الفتحات الثلاثة الواقعة في كلمة «بَطَرَ» مثلاً، ونرى فيها شيئاً واحداً؟ إنَ هذه الفتحات ـ وهي مختلفة من حيث تكوينها ـ متطابقة من حيث «الوظيفة اللغوية» التي تؤديها.

وهذا «التطابق»، من ناحية، بين «التنوعات» أو «الأفراد» الكثيرة لـ «وحدة صوتية» معينة، هو الذي يردّ الأصوات الكثيرة المستعملة في لغة من اللغات «محدودة»، وهو الذي يمكّننا من «تحليل» السلسلة الكلامية إلى «وحدات» متمايزة من حيث الدلالة اللغوية، وعلى هذا الأساس نعتبر الفتحات الثلاث، المختلفة صوتياً، في كلمة «بَطَرَ» «تنوعات» أو «أفراداً» لنفس «الفونيم»[1]؛ فإن أي واحدة منها لو وضعت مكان واحدة أخرى في أي كلمة من الكلمات العربية لما تغير معناها.

٢ ـ إن التصور الخاص بالفونيم، بالمعنى الذي قدمناه، تصور جدّ حديث في علم اللغة وفي علم الأصوات اللغوية، ولعلماء اللغة وعلماء الأصوات اللغوية نظريات متعددة في تحديد «الفونيم» ولكن هذا التمييز بين

(١) Phoneme

الأصوات المحسوسة التي لا حصر لها وبين «الوحدات الوظيفية»[1] أمر لاحظه جميع من شغل بهذا الموضوع، على خلاف في الدرجة[2].

٣ ـ إن «النونات» المختلفة صوتياً في اللغة العربية لا «تعارض»[3] أوْ لا «تقابل»[4] بينها لأننا لا نستطيع أن نغيّر معنى كلمة بإحلال إحداها محل سواها.

ولكن ثمة «تقابل» في العربية بين التاء و«الدال» مثلاً، لأننا نقول «تاء» ثم نحل محل التاء دالاً، ولا ندخل أي تغيير آخر على الكلمة، فنقول «داء»، وهي من كلمات العربية؛ فالتاء «فونيم» والدال «فونيم». وثمة تقابل في العربية بين «الفتحة» و«الضمة» فكلمة «كَرْم» اسم في العربية ولكن

---

(١) Functional Units

(٢) أنظر
— D. Jones: The Phoneme
— J. R. Firth: The Word "Phoneme". Le Maitre Phonetique, No. 46,1934.

وأعاد الأستاذ فيرث نشر هذا المقال في:

Papers In Linguistics' pp. 1 — 2.

— W. Freeman Twaddell: On Defining the Phoneme. "Language" Monograph No. 16; 1935.

وأعيد نشر ها البحث في:

Readings In Linguistics; Edited By Martin Joos, pp. 55 — 80.

— Morris Swadesh: The Phonemic Principle; Language, 10, pp. 117 — 129; 1934.

وأعيد نشر هذا المقال في:

Readings In Linguistics; pp. 32 — 37.

— Bernard Bloch: Phonemic Overlapping; American Speedch; 16, pp. 278 — 284; 1941.

وأعيد نشر هذا المقال في:

Readings In ...; pp. 93 — 96

— Bernard Bloch: A Set of Postulates for Phonemic Analysis; "Language", XXIV (1984); pp. 3 — 36.

(٣) Opposition

«كرُم» فعـل؛ فالفتحـة في العـربية «فـونيم» والضمـة «فـونيم»؛ كمـا أن الكسرة «فونيم» لأننا نقول «سَفْر» بمعنى جماعة المسافرين و«سِفر» بمعنى الكتاب.

٤ ـ إن أزواج الأصوات التي يحدث بينها «تقابل» تختلف في لغة عنها في أخرى عدداً ونوعاً، ومن هذا أن السين ومجهـوره «الـزاي» زوج بينـه تقابل في العربية، فنحن نقول «سار» و«زار»؛ وهذا التقابل نفسه قائم في الفرنسية، فهذه اللغة تميز بين Baisser (بمعنى «أن ينزل» أو «أن يخفض» أو «أن يهديء») وبين Baiser (بمعنى «أن يقبّل») وهذا التمييز لا يقوم إلا على أساس التقابل بين السين والزاي ليس غير.

ولكن اللغة الإسبانية، مع أنها تعرف صوت «السين» وتعـرف صوت «ألزاي»، لا تـعرف هذا التقابل الذي يتخذ للتفريق بين المعاني؛ وذلك لأن «السين» و«الزاي» في الإسبانية «فردان» من فونيم واحد وليسا «فـونيمين» فالفونيم S ينطق مجهوراً، أي ينطق زايا، بطريقة آلية إذا وقع قبـل صوت صامت مجهور كما في كلمة mismo ، فالسين هنا تنطق زايا لأنها وقعت قبل صامت مجهور هو الميم؛ والفونيم S نفسه ينطق مهموساً، أي ينطق في سائر الحالات كما في casa وmesa . وهكذا فاللغة الإسبانية تعـرف الفـرق من الناحية الصوتية، الخالصة بين السين والزاي، كما تعرفه العربية والفرنسية مثلاً، ولكنها لا تستعمـل هذا الفـرق من النـاحية «الفونولـوجية». إنهـا لا تستعمل هذا الفرق في «نظامها الوظيفي»[١]، لما كانت لا تعرف «التقابل» بين السين والزاي[٢].

---

(١) Functional System

(٢) Bertil Malmberg: La phonetique pp. 113 — 114.

٥ ـ وقد يميز معنى كلمة من معنى كلمة أخرى بغير الوسيلة السابقة: فقد تشترك كلمتان في «الفونيمات» المكوّنة لكلتيهما، ولكن إحداهما تنطق بلحن (أو تنغيم) معين، وتنطق الثانية بلحن آخر، ولكل منهما معناها. وهذا كثير في اللغة الصينية وفي بعض لغات وسط إفريقيا.

٦ ـ وفي بعض اللغات تتخذ مدة استمرار الصوت، أي «كمّيته»[١]، وسيلة مميزة بين المعاني فاللغة «الإستونية»[٢] مثلاً تستعمل ثلاث درجات من طول الصوائت استعمالاً وظيفياً: فالصائت الواحد يأتي «قصيراً»، و«طويلاً»، و«بالغ الطول»؛ فالصائت الأول في كلمة Sada قصير (ومعناها «مائة»)، ولكنه طويل في Saada (وهي فعل أمر بمعنى «أرسِل»)، وهو بالغ الطول في Saada (وهي مصدر بمعنى الحصول على أو السماح)[٣].

ومن علماء الأصوات اللغوية من يطلق كلمة «تونيم»[٤] (من tone بمعنى «نغمة») على التنغيم عندما يتخذ وسيلة للتمييز بين المعاني. وكلمة «كرونيم»[٥] على مدة استمرار الصوت عندما تكون وسيلة مميزة. وأكثر علماء أمريكا يدخلون هاتين الوسيلتين مع «الفونيمات» فيسمون الوسيلة الأولى «فونيم نغمة» (= فونيم نغمي)، والوسيلة الثانية «فونيم مدة» (= فونيم كَمّي).

٧ ـ يتضح مما تقدم أن «التحليل الوظيفي» للأصوات والكلمات مكمل بالضرورة للتحليل الفيزيائي والفسيولوجي للأصوات «والنطوق»

---

(١) Quantity

(٢) Estonian

(٣) Bertil Malmberg: La Phonetique, p. 90

(٤) Toneme

(٥) Chroneme

عامة، وليس هذا بمغن عن ذاك.

هذا التحليل الوظيفي (أي تحديد المميزات الصوتية في لغة من اللغات، هذه المميزات «الفارقة»، ووضع النظام «الفونيمي» للغة، ونظام الخصائص التي تعرض للفونيمات) تسمية الآن الغالبية من علماء اللغة وعلماء الأصوات اللغوية «الفونولوجيا». و«الفونولوجيا» بهذا المعنى وضع أسسها منذ ما يزيد على ثلاثين سنة جماعة من كبار اللغويين هم المعروفون بـ «مدرسة براغ» أو «جماعة براغ» اللغوية، أشهرهم «تروبتسكوي»[1]، وجاكوبسون»[2]. ولما كانت «الفونولوجيا» تستعمل، من قبل ومن بعد، في غير هذا المعنى (ومن العلماء من يستعملها مرادفة لكلمة Phonetics) فمن اللغويين من يفضل، دلالة على هذا التصور الجديد، استعمال كلمة

---

(١) N.S. Troubetzkoy

ولد تروبتسكوي في ١٦ إبريل سنة ١٨٩٠ ومات في الخامس والعشرين من يونيو ١٩٣٨. وهو روسي الأصل، ولد بموسكو (وكان والده الأمير أستاذاً للفلسفة بجامعة موسكو، ومات وهو مدير لهذه الجامعة).

هاجر تروبتسكوي (الابن) إلى أوروبا وعين أستاذاً بجامعة فينيا. وكان عاملاً أساسياً في «جماعة براغ» اللغوية. ونشرت «جماعة براغ» بعد وفاته كتابه المشهور الذي خلفه غير كامل في صورته التي رسمها له وهو:

Grundzuge der Phonologie

وقد ترجم هذا الكتاب من الألمانية إلى الفرنسية الأستاذ ج. كانتينو J. Cantineau باسم Principes De Phonologie (أصول الفونولوجيا)

Paris, Librairie C. Klincksieck, 1949.

(٢) Roman Jakobson

انظر الكتاب القيم المشهور، كتاب كنث ل. بايك:

Kenneth L. Pike: Phonemics, A Technique for Reducing Languages to Writing. University of Michigan Publications, Linguistics Volume III. Ann Arbor, University of Michigan press, 1947 (Second printing, 1949).

Phonemics «الفونيما» ـ وهـذا الاستعمـال شائـع في الـولايات المتحـدة الأمريكية بوجه خاص ـ ويقابلها الفرنسية Phonematique ، ومنهم من يؤثر استعمـال المصطلـح الواضـح البسيط Functional Phonetics [١] ، ويقابلـه بالفرنسية Fonctionelle Phonetique .

ولكن الفصـل الحـاد بـين Phonetics و Phonology ـ وهـو فصـل دعت إليه ودعمته «مدرسة براغ» ، إذ اعتبـرت العلم الأول علمـاً «طبيعياً» يستخدم وسائل آلية ، واعتبرت الثاني «علماً لغوياً» ـ ينبغي ألا يؤدي بنا إلى اعتبار كل من هذين علماً مستقلاً لا علاقة له بالآخر. ونحن نرتضي في هذا المقام رأى الأستاذ «برتيل مالمبرج» أستاذ علم الأصوات اللغوية بجامعـة «لُنْـد»[٢] بالسـويد؛ الـذي ذهـب إلـى أن دراسـة الظواهـر «الصـوتية»[٣] والفسيولوجية الخاصـة بالـكلام الإنسانـي ينبغـي أن تسير موازية للدراسـة «الفونولوجية» ، قال مالمبرج :

«إن الفونولوجيا تقرر عدد التقابلات (= المقابلات) المستعملـة ومـا بينها من علاقات متبادلة . أما علم الأصوات اللغوية التجريبي فهو يحدد ، بوسائله المختلفة ، الطبيعة الفيزيائية والفسيولوجية لما لوحـظ من تميزات . إن الدارس التجريبي لن يعرف ما الذي ينبغي عليه أن يفعلـه دون التحليل

---

(١) أنظر محاضرات أندريه مارتينه الأربع التي ألقاها في لندن ونشرت معاً :

Andre Martinet: Phonology As Functional Phonetics, London 1949.

(٢) Lund

(٣) «الصوتية» هنا ترجمـة غير دقيقـة لكلمـة accustiques ، إذ نستعمـل الكلمـة نفسهـا ترجمـة لـphonetiques كذلك . ولعل السياق هنا يوضح أن المقصود كل ما يتعلق بالصوت (فيما عدا الناحية الفسيولوجية) من انتقال موجاته في الهواء ووصوله إلى إذن السامع وأثره السمعي الخ .

اللغوي للنُظُم، وللوحدات الوظيفية.

ودون التحليل الفيزيائي والفسيولوجي لجميع ظواهر النطق، يجهل اللغوي الطبيعة الحسية للتقابلات (= للمقابلات) المقررة.

إن هذين النوعين من الدراسة يعتمد أحدهما على الآخر، وهما متكاملان. ومن العبث أن نحاول أن نقرر أيهما أفضل من أخيه. وتبعاً لهذا يحسن تجميع الدراستين معاً تحت التسمية العامة التقليدية «علم الأصوات اللغوية»[1].

(1) Malmbergž La Phonetiques, pp 115 — 116

وأنظر عن «الفونولوجيا» ما يأتي:

— Charles F. Hockett: A system of Descriptive Phonology; Language; No. 18, 3 — 21; 1942.

وقد أعيد نشر هذا المقال في:

Readings In Linguistics; pp. 97 — 108.

— Charles F. Hockett: A Manual Of phonolgy; International Journal Of American Linguistics, XXI, 1955.

الباب الثالث

النَحوُ

- ١ -
نحن نفكر بجمل

١ ـ لا تجري اللغات جميعاً على منوال واحد في «تأليف» الألفاظ أو «تركيبها» للتعبير عن «معنى»، أو «دلالة»، من المعاني أو الدلالات: إن لكل لغة طريقتها ـ أو طرقها ـ في «نَظْم» الكلام. وهذا أمر يلاحظه على وجه بيّن من يعاني الترجمة: فالنقل من لغة إلى أخرى يطلعنا على ما بين اللغات من خلاف في هذا الميدان. نحن في العربية مثلاً نأتي بالموصوف أولا ثم نتبعه الصفة فنقول «المطر الغزير»؛ ولكن «عقلية» الرجل الإنجليزي عندما تريد التعبير عن هذه «الفكرة» لا تتصور إيراد الكلمة الدالة على «المطر» أولا؛ إن أول ما تتصوره هو «الصفة»، هو الكلمة الدالة على غزارة المطر فيقول The heavy rain . وهكذا تصدق تلك العبارة التي أوردها ج. فندريس في كتابه «اللغة» وهي قوله: «نحن نفكر بجمل»[١].

٢ ـ إن كل متكلم بلغة من اللغات تتكون لديه، من تعلمه للغته ومن ممارسته لها، «عادات» أو «نُظم» عقلية خاصة فيما يتعلق بتأليف الجمل؛ وإنه ليألف هذه العادات والنظم، كما يألف نطق أصوات لغته ونماذج مقاطعها، وكلماتها، وتصدر عنه نماذج تأليف الكلمات في جمل بطريقة لا شعورية: إنه لا يتوقف ليتساءل كيف يرد بالنفي على هذا السؤال، ولا كيف

(١) اللغة: ص ١٠٤.

يجيب عنه بالإثبات، ولا كيف يكون أسلوب «التعجب»، أو «الأمر»، أو «النهي»... الخ. إن كل هذه النظم من تأليف الكلمات يصدر عنه حال إرادته، وهكذا يتم «التفاهم» الإنساني، والاستعمال اللغوي عامة بهذه السرعة التي نعهدها. إن المتكلم العادي لا يدرك العمليات المعقدة العقلية والعضوية التي يقوم بها لنطق صوت واحد أو كلمة واحدة، وهو، كذلك، في مجال تأليف الجمل ـ عند يتكلم لغته «الأم» ـ لا يدرك العمليات بالغة التعقيد التي يقوم بها. ولكن المتكلم قد يتعثر، وقد يخطيء خطأ بيّناً، عندما يتكلم لغة غير لغته؛ وهو يبذل جهداً «شعورياً» لتأليف الجمل على قدر إتقانه لتلك اللغة؛ وهذا الجهد يتناقص كلما ازداد إتقانه لها. وهذا راجع إلى تلك الحقيقة المعروفة وهي أننا لا نجيد لغة من اللغات مثل إجادتنا لغتنا «الأم».

٣ ـ كل لغة إذن تعرض «المعاني» بطرق خاصة، ونحن نتلقى هذه المعاني مرتبة بالترتيب الذي يقدمه إلينا الكلام، أي في الصور (أو الأشكال) اللفظية التي يظهر بها الكلام.

إن المتكلم العربي عندما يريد أن يعبر عن «إزهار» «الشجرة» مثلاً، يقوم في ذهنه بعمليات عقلية ترتد إلى عمليتين أساسيتين: عملية «تحليلية»[1] فعملية «تركيبية»[2]. أما العملية التحليلية فهي تلك التي يميز بها العقل بين عدد معين من العناصر التي تنشأ بينها علاقة معينة، وهي في مثالنا هذا «الشجرة» و«الإزهار». أما عملية التركيب (أو «التأليف») فهي تلك التي يركب بها العقل (أو «ينظم» أو «يؤلف») بين هذه العناصر المختلفة لتكوين ما يسمى في الاصطلاح «الصورة اللفظية»[3] (الشجرة مزهرة). هذا «التركيب» أو

(١) Analytic

(٢) Synthetic

(٣) Verbal Image

«التأليف» هو الذي يوليه علم اللغة عناية كبرى[1]؛ ومن هنا كانت أهم صفة للنحو الحديث أنه يستبعد كثيراً من الأصول الفلسفية القديمة، يستبعد «التقديرات» العقلية، وما إليها من «تأويل» و«تفسير»: إن أهم ما يوصف به النحو الحديث أنه «شكلي»[2] أو «صوري»[2]؛ إنه ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة التي تعرضها لغة من اللغات ثم يصنفها على أسس معينة، ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في «الجملة» وصفا موضوعياً. وهو «وظيفي» لأنه يقوم كذلك على إدراك «الدور» الذي تقوم به الكلمة في الجملة (أنظر بقية هذا الفصل).

وقد جرى لغويو الغرب على أن يدرسوا نحو معظم اللغات تحت موضوعين أساسيين هما «المورفولوجيا» و«النظّم»[3]. وقد كثر الجدل بين اللغويين فيما يتعلق بجدوى هذا التقسيم، وبتحديد مجال كل قسم من هذين القسمين. ولكن هذا التقسيم التقليدي لا يزال صالحاً[4].

إن «المورفيم» هو «الوحدة النحوية» التي تقوم عليها الدراسة «المورفولوجية».

و«المورفيم» عند المدرسة الأمريكية (= الولايات المتحدة) خاصة أوسع مجالاً من «المورفيم في نظر أكثر لغوي أوروبا، وهو بهذا، ولغير هذا، مخالف له. وأكثر المحدثين من اللغويين الأمريكيين يتبعون تعريف

---

(١) قال فندريس (اللغة: ص ١٠٥) نقلاً عن «فنك» Fiknk: «... الاختلافات في البنية بين اللغات تنتج من الكيفيات المتنوعة التي تتوقف عليها عملية التأليف».

(٢) Formal

أنظر توضيح هذا فيما بعد من هذا الباب

(٣) Syntax

(٤) Bloomfield£ Language, p. 184.

«بلومفيلد» له في كتابه Language . أما نحن فسنعرف «المورفيم» تعريف الأستاذ ج فندريس له في كتابه «اللغة»، وسنسير إلى التعريف الشائع له عند المدرسة الأمريكية في الموضع المناسب. (أنظر الكلام الوارد تحت عنوان «المورفولوجيا» فيما يلي من هذا الباب).

ولكن نرى أن الأوفق، قبل الشروع في تعريف «المورفولوجيا»، أن نمهد ببيان الفروق والصلات بين «التحليل الفونولوجي» للغة و«التحليل النحوي لها».

- ٢ -

من التحليل الفونولوجي إلى التحليل النحوي[١]

١ ـ إن كثيراً من الموضوعات التي تدرسها «الفونولوجيا» (كالنظام المقطعي للغة) كانت جزءاً من مفهوم «النحو» التقليدي، ولم يكن ثمة فاصل في مناهج الدراسة اللغوية وأقسامها بين «الفونولوجيا» و«النحو»، فمفهوم «النحو» التقليدي بهذا كان أوسع مجالاً من مفهوم «النحو» عندما يكون قسيم «الفونولوجيا».

إن كلا «التحليل الفونولوجي» و«التحليل النحوي» تحليل «شكلي»[٢]. والتحليل الفونولوجي ينبغي، في دراسة لغة من اللغات، أن يتم قبل التحليل النحوي لها، كما ينبغي أن يتم دون أي إشارة إلى، أو أي اعتماد على، «الوحدات النحوية» (مثل المورفيمات» و«الكلمات») أو «الفصائل النحوية»[٣] كالجنس، العدد، والزمن.. الخ. (أنظر التعريف

(١) أساس تعريفنا بهذا الموضوع هو:

R. H. Robins: Some Considerations on The Status of Grammar In Linguistics; Archivum Linguisticum. Vol. II, Fasc. 2: pp. 91 — 114.

(٢) انظر توضيح هذا فيما بعد عند الكلام على «النحو الوصفي».

(٣) روبنز عن:

Charles Hockett: A System of Descriptive Phonology "Language" XVIIIpp. 3 — 21, 1942.

بها فيما يلي) . وهكذا تعتبر «الفونولوجيا» الحلقة الوسطى بين مادة النطق (وهي موضوع الدراسة الصوتية باستثناء الدراسة الفونولوجية بطبيعة الحال) وبين التحليل النحوي[1] .

٢ ـ ولكن ثمة خلافاً جوهرياً بين نوع التحليل الفونولوجي ونوع التحليل النحوي، كما أن ثمة خلافاً بين الوحدات أو العناصر والفصائل الناتجة من هذا التحليل، وتلك الناتجة من ذاك؛ ومرجع هذا إلى الخلاف في المقاييس المستعملة، وإلى استقلال هذه المقاييس عن المعنى الدلالي (أنظر التفصيل في هذا الموضوع فيما بعد من هذا الباب) .

إن «الفونيم» و«المقطع» هما العنصران الأساسيان في التحليل الفونولوجي؛ و«المورفيم» و«الكلمة» هما العنصران الأساسيان اللذان يدرسهما النحو. وإن المورفيم والكلمة. وهما نموذجان يترددان في السلسلة الكلامية من طبيعة منفصلة عن طبيعة النماذج المترددة في الكلام والتي تفسّر على أساس فونولوجي، وذلك كنماذج، البنية المقطعية[2] . (= التركيب المقطعي)[2] .

٣ ـ إن الفصائل النحوية والفصائل الفونولوجية تجريدات من المادة الصوتية للنطوق، ولكن علاقة هذه المادة الصوتية تختلف عن علاقة تلك بها اختلافاً جوهرياً. فالتحليل النحوي للغات «الميتة» مثلاً يمكن القيام به بصورة أكمل من القيام بالتحليل الفونولوجي لها، لما كانت الأخيرة تعتمد

---

(١) روبنز عن:

F. R. Palmer: Linguistic Hierarchy;, "Lingua", VII/1958, pp. 225 — 241.

(٢) Syllabic Structure.

الفقرة (٢) عن:

Robins: Some Considerations.., p. 106.

على عرض صوتي كامل ودقيق للغة لا يتأتى الحصول عليه إلا في حالات نادرة، كاللغة السنسكريتية التي وصفها بانيني[1] ومن خلفه وصفاً دقيقاً كاملاً.

وقد لا تحتفظ الكتابة المأثورة عن أصحاب اللغة الميتة بالسمات النحوية المميزة للغة كما تتكلم (وذلك كالتنغيمات، وبعض الخصائص الصوتية الأخرى)، وفي هذه الحال فإن نحو اللغة من حيث هي نظام من التوصيل ملفوظ ومكتوب يكون ناقصاً، ولكن هذا النقص عرضي؛ فإذا مثلت السمات النحوية الخاصة بطريقة ما في الكتابة استطعنا من النصوص الدقيقة بوجه خاص أن نحلل النظام النحوي للغة دون أن نعرف شيئاً عن كيفية نطقها، أو عما تتضمنه الحروف من صفات نطقية.

فالنحو يمكن فصله عن المادة الصوتية؛ أما الفونولوجيا فهو بالضرورة مرتبط، عن طريق الأصوات اللغوية، بالمادة الصوتية[2].

٤ ـ إن السلسلة الكلامية تتضمن نماذج مطردة، وقيوداً مرعية، لا يتأتى تفسيرها بالقواعد «الفونولوجية»، وهذا مجتمع في مسألتين هما: ١ ـ التأليف المورفيمي للكلمات ٢ ـ تجميع الكلمات وتنظيمها في أنسجة أطول من الكلمات، وفي جمل.

وهذه التجميعات الأخيرة من أنواع مختلفة. ويلاحظ الدارس أن «الكلمة» تنتمي إلى قائمة من قوائم عدة، وأنها أحياناً تنتمي إلى أكثر من «قائمة»[3]، وأن «أفراد» هذه القائمة مقيدة في ترتيب وقوعها ـ على خلاف

---

(١) Panini

(٢) الفقرة (٣) عن روبنز:

Some Considerations..; pp. 103 — 104.

(٣) كلمة «كاتب» مثلاً تنتمي إلى قائمة الاسم في مقابل الفعل والحرف، وهي من حيث الصيغة ـ

في الدرجة ـ بالنسبة إلى بعضها البعض في جمل مكوّنة من أكثر من كلمة[١] أو توجد أساساً، أو ليس غير، في صحبة كلمة من «قائمة» أخرى[٢]. ويجد النحو فيما بعد أن مجموعات من الكلمات في الجمل الطويلة يمكن أن يحل محلها في نفس الجملة كلمة من هذه القائمة أو تلك، وذلك لتكون مقبولة في اللغة موضوع الدرس.

ثم إن التتابعات التنغيمية المختلفة، ونماذج الارتكاز، وفترات الوقف توجد أحياناً مع مجموعات من هذا النوع، ولا توجد مع مجموعات من ذلك النوع أو من تلك الأنواع.

هذه السمات تكوّن أسس «التركيب النحوي» (= البنية النحوية») للجمل، وهي عَلَم علي «اللغة». ومن الصعب أن نتصور لغة قادرة على أن تقوم بوظيفتها دون أساس نحوي من هذا الطراز، ولو أن التفصيلات تختلف من لغة إلى لغة[٣].

٥ ـ إن ما أشرنا إليه من «القوائم» النحوية، وترتيبات الكلمات في جمل، يقدم الأساس الخاص بأقسام الكلمات، التي هي العناصر المباشرة لتركيب الجمل، كما يقدم الأساس الخاص بـ«الفصائل النحوية»، وذلك المتعلق بـ«بنية الجمل».

= تنتمي إلى قسم من أقسام الاسم هو «اسم الفاعل»، وهي تنتمي إلى قائمة الاسم المذكر في مقابل الاسم المؤنث، و. . . الخ.

(١) كل من «ما» و«هذا» اسم في العربية فهما «فردان» ينتميان إلى قائمة عامة واحدة هي قائمة الاسم، ويجوز تكوين جملة من ائتلاف هذين الاسمين فنقول «ما هذا؟» والصدارة لما.

(٢) وذلك مثل أي حرف من حروف النداء في العربية، فهي لا ينادى بها فعل إلا إن سمي به ـ فلا يسبق حرف من حروف هذه القائمة، قائمة حروف النداء، فرداً من أفراد قائمة الفعل، فلا يجوز في العربية: «يا ضرب»، أو «يا اضرب»، أو «يا يضرب» الخ.

(٣) الفقرة (٤) عن Robins: Some...; pp. 100 — 101.

وأياماً كان الحال، ففي أغلبية اللغات توجد قيود أخرى مطردة، وهذه القيود تتضمن أشكال الكلمات، وترتيبها في جمل. والكلمات في هذه اللغات تقع على هذه الاعتبارات في قسمين كبيرين يسميان عادة «المتغير»(١) (= المتصرف)(١) و«غير المتغير»(٢) (= غير المتصرف»، الثابت)(٢). في الكلمات «المتغيرة» توجد الأقسام المحدودة من العناصر «التغييرية»(٣) (= التصريفية) التي قد تكون «سوابق» أو «حشواً» أو «لواحق»، أو تغييرات داخلية في شكل الكلمة مع أقسام «الأصل» أو «الأرومة» التي قد تقوم وحدها، وقد لا تقوم، بدور الكلمات التامة. وثمة كلمات أخرى لا توجد مع عناصر تغييرية (= تصريفية) بهذه الصورة، وهي الكلمات «غير المتغيرة» (= غير المتصرفة)(٤).

٦ ـ هذا التلخيص للحقائق الأساسية التي تقوم عليها النظم النحوية يبيّن أن اللجوء إلى المعنى (كما يفهم عادة، أو إلى المعنى على المستوى «الدلالي») لا ضرورة له، وأنه عندما يصطدم بالشواهد الشكلية يكون مضللاً. وفيما عدا ما يصح من أن المادة اللغوية كلها ذات معنى على مستويات مختلفة (هي المستوى الفونولوجي والمستوى النحوي الخ) فلا لجوء إلى «المعنى» في تقدير الأسس النحوية(٥).

ولا حاجة بنا إلى أن نقول إن هذا لا يتضمن استبعاد اتخاذ المعاني في

---

(١) variable (Inflected)

(٢) Invariable

(٣) Inflectional

(٤) أنظر في الفقرة (٥):

Robins: Some...; pp. 101 — 102.

(٥) Robins: Some...; pp. 102 — 103

البدء معالم أو مشيرات في المراحل الأولى من التحقيق النحوي. كما أن ما قلناه من أن التحليل النحوي لا يلجأ إلى المعنى، لا يتضمن أن عرض نظام نحوي ما، ينبغي ألا يقرر أي معان أو «فصائل دلالية»[1] ترتبط ارتباطاً وثيقاً أو ضعيفاً بالفصائل الشكلية، ولو أنه من الواضح أن الأفضل أن أمثال هذه المعاني ينبغي أن تقرر في عبارات موضوعية.

٧ ـ رأينا أن النحو يهتم بدراسة العلاقات المطردة والتي تتخذ شكل نماذج بين عناصر في الكلمة هي المورفيمات، وبين الكلمات في الجمل. ولكن «الكلمات» يمكن إدراجها في قاموس وإسناد معان لها، كما أنه يمكن أن يحدد للمورفيمات في حالات كثيرة معان على الرغم من أن هذه المعاني المقررة للكلمات وللمرورفيمات يحسن اعتبارها تجريدات تحليلية من المعنى الكامل للجملة. ولما كان من الممكن إقامة العناصر والنماذج النحوية دون إشارة إلى المعاني الدلالية[3]، فعلينا ألا نفترض أن «الوحدات» التي يكون لها معنى قاموسي تكون بالضرورة وحدات نحوية، أو أن العناصر التي يجردها النحو الشكلي تدل بالضرورة على معنى مستقل. ومن المعروف أن كثيراً من الوحدات النحوية لا تدل على معنى دلالي بنفسها (ويمكن أن نمثل من الإنجليزية بمكونات[4] مثل al,— ize, — ing, — tion .

ولكن لما كانت اللغات تكشف في الواقع عن درجة كبيرة من التطابق بين الوحدات الدلالية والوحدات النحوية، فقد أغرى هذا عدداً كبيراً من اللغويين بربط النحو بجانب اللغة ذي المعنى أو المضمون.

---

(١) Semantic Categories

(٢) أنظر في هذه الفقرة Robins: Some...; p. 112.

(٣) Semantic Meanings

(٤) Formatives

إن الكلمات دالة من الناحية النحوية باعتبارها «أفراداً» في أقسام الكلمة المختلفة نتيجة «وظائفها النّظْمية»[1]، المختلفة بالنسبة لأفراد أقسام أخرى من الكلمة[2].

---

(١) Syntactic Functions

(٢) Robins: Some....; pp. 106 — 108.

أنظر في الفقرة (٧).

- ٣ -

النحـو الوصفـي

أ ـ المورفولوجيا

١ ـ إن «الصورة اللفظية» تتضمن عنصرين أساسيين: العنصر الأول هو «المعنى» أو «المعاني»، (أي الحقيقة المدرَكة أو «المتصوّرة»)؛ وهذا العنصر في قولنا «الشجرة مزهرة» يتمثل في حقيقة «الشجرة» وفي حقيقة «الإزهار»؛ هذا العنصر يسمى في الاصطلاح اللغوي الإنجليزي Semanteme [١]؛ أما العنصر الثاني فهو «العلاقة» أو «العلاقات» التي تنشأ بين المدركات (أو المعاني)، وهذا العنصر يسمى في الاصطلاح اللغوي «المورفيم» [٢] Morpheme . والنظر في «المورفيمات» يسمى

(١) وذلك من Semantics (علم الدلالة). ويدل عليه بلومفيلد اللغوي الأمريكي الكبير في كتابه Language (اللغة) بـ Sememe . وقد ترجم الأستاذان الدواخلي والقصاص Semanteme الفرنسية بـ«دال الماهية» (الجمع: «دوال الماهية»). أنظر مثلاً ص ١٠٥ من كتاب «اللغة» لفندريس.

(٢) يترجم الأستاذان الدواخلي والقصاص كلمة Morpheme الفرنسية بـ«دال النسبة» (الجمع: دوال النسبة) أنظر مثلاً ص ١٠٥ من كتاب «اللغة» لفندريس، وأنظر تعليقنا في هامش ص ٣٤، ٣٥ من هذا الكتاب.

ويترجمه الدكتور محمد مندور بـ«عامل الصيغة». ونحن نؤثر في الوقت الحاضر الإبقاء على كلمة «مورفيم»، فهي مع عجمتها أشد مرونة وتصرفاً من «دال النسبة» أو «عامل الصيغة».

«المورفولوجيا»؛ وهذا المصطلح مأخوذ من الكلمة اليونانية morphé بمعنى «شكل» (أو صورة» ـ بالإنجليزية form).

١ ـ والعنصر «المورفيمي» في «الشجرة مزهرة» يتمثل في العلاقات القائمة بين «الشجرة» و«الإزهار» فالإزهار مسند إلى الشجرة»، وهو مسند إليها بطريق الإثبات (ويقابل هذا الإسناد بطريق النفي الذي يتحقق في العربية بأكثر من صيغة: «الشجرة غير مزهرة»؛ «الشجرة ليست مزهرة»؛ «ليست الشجرة مزهرة»؛ «ليست الشجرة بمزهرة»؛ «ما الشجرة مزهرة»؛ «ما الشجرة بمزهرة»... الخ) وهو بالإضافة إلى هذا مسند إليها في زمن التكلم (ويقابل هذا الإسناد في أزمنة غير زمن التكلم كالماضي في قولنا: «كانت الشجرة مزهرة» و«أزهرت الشجرة [في العام الماضي]»؛ وكالمستقبل في قولنا: «ستزهر الشجرة» و«سوف تزهر الشجرة») ثم إن الإزهار مسند على سبيل «الأفراد» (ويقابل هذا في العربية الإسناد على سبيل التثنية، وعلى سبيل الجمع في قولنا: الشجرتان مزهرتان، و«الشجرات مزهرات» [أو «مزهرة»؛ و«مزهرة» مسندة إلى «الشجرات» غير «مزهرة» مسندة إلى «الشجرة» لأنها في الحالة الأولى تتضمن معنى الجمع وتساوي «مزهرات»، أما في الحالة الثانية فهي «مفردة»])، وهو في الوقت نفسه على سبيل «التأنيث» (ويقابل هذا الإسناد على سبيل التذكير في قولنا: «الشجر مزهر»)؛ وهذا الإسناد كذلك خبري تقريري (ويقابل هذا الاستفهام: «هل الشجرة مزهرة؟»، و«آلشجرة مزهرة؟» و«الشجرة مزهرة؟» والتمني «ليت الشجرة مزهرة»... الخ).

العنصر الأول الذي أشرنا إليه، عنصر «المعنى» أو «الماهية» أو «الحقيقة» أو «التصور»، يدرس عادة تحت اسم «المفردات» أو «الدلالة» (أنظر الباب الرابع: علم الدلالة)؛ أما العنصر الثاني عنصر «المورفيمات»، فهو جزء من النظر في النحو، وهو يدرس باسم «المورفولوجيا».

٢ ـ وهذا مثال من الفرنسية : [١].

Les grands arbres du bois ont été abbattus par le bûcheron.

في هذه الجملة أربع عناصر «قاموسية» تعين على التعبير عن أفكار معينة وهي : bucheron, abattre, arbre, grand ؛ ولكن هذه المعاني تظهر في هذه العبارة مخصصة بعلاقات معينة ، أولاً ، الجمع (Led grands arbres) في مقابل المفرد (le grand arbre ؛ وثانياً المبني للمجهول (ont ete abattus) في مقابل المبني للمعلوم (ont abattus) والفعل يقع في الماضي في مقابل الحاضر (sont abattus) أو المستقبل (seront abattus) . وهكذا نتحدث عن «فصائل» أو «تقسيمات» «نحوية»[٢] خاصة بـ «العدد» ، و«البناء للمعلوم» أو البناء للمجهول» ، و«الزمن» ، وهذه هي «المعاني» التي يعبر عنها بطريق «المورفيمات» : فـ Les للجمع في مقابل le للمفرد والرابطة Z ـ في grands arbres في مقابل ـt ـ في المفرد grand arbre .

٣ ـ ثم إن «المورفيمات» تتخذ كذلك للتعبير عن طراز آخر من المعاني : إنها تتخذ للتعبير عن العلاقات القائمة بين عناصر العبارة ، فكلمة Par أداة تدل على أن الفعل مسند إلى مجهول ؛ وكلمة par هنا في مقابل avec, devant, de, a الخ . . .

٢ ـ أقسام المورفيم

وآلمورفيمات» ثلاثة أقسام رئيسية : [٣]

الأول ، وهو الأغلب ، أن يكون «المورفيم» عنصراً صوتياً ؛ وهذا

---

(١) أنظر Jean Perrot: La Linguistique; p. 50

(٢) Grammatical Categories

(٣) المرجع السابق .

العنصر الصوتي قد يكون: صوتاً واحداً، أو مقطعاً، أو عدة مقاطع.

والثاني أن يتكون المورفيم من طبيعة العناصر الصوتية المعبرة عن «المعنى» أو «التصور» (أو «الماهية»)؛ أو من ترتيبها.

والقسم الثالث من «المورفيم» هو الموضع الذي يحتله في الجملة كل عنصر من العناصر الدالة على المعنى.

وهذا تعريف بكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة.

١ ـ المورفيم عنصر صوتي:

ندرك من قولنا «ضَرَبَ» و«ضربَت» و«يَضربُ» و«يضربون» و«اِضرب» و«اضربي» و«ضارِبٌ» و«ضاربة»، و«ضاربون» و«ضوارب» (أو ضاربات) الخ، ندرك من هذه الكلمات جميعاً أنها متصلة بمعنى الضرب فثمة عنصر مشترك بينها هو ض ر ب. ولكننا نجد فضلاً عن هذا عدداً من العناصر الصوتية المحددة لكون الكلمة فعلاً أو اسماً، والمحددة كذلك لفصيلتها النحوية من حيث النوع (مذكرة أو مؤنث) ومن حيث العدد (مفرد ـ مثنى ـ جمع). ومن حيث الشخص (متكلم مخاطب، غائب).

هذه العناصر الصوتية «مورفيمات». «المورفيم» الذي يحدد أن «ضرَبَت» فعل مسند إلى المفردة الغائبة هو الصوت «ت». وفي «يَضرِب» مورفيم، هو العنصر الصوتي «يَـ» (وهو «سابقة»[١]) يحدد أن الفعل مسند إلى المفرد الغائب (في مقابل «تضرب» و«أضرب» و«نضرب»).

وكلمة «يضربون» حدد أنها تدلّ على أن الضرب واقع من جماعة

(١) انظر اللغة لفندريس ص ١٠٤ ـ ١١٢.

(٢) Prefix

المذكرين المقطع الأخير « . . . ون ، [uun] (وهو «لاحقة»[1]) واشترك في هذه الدلالة مع هذا المقطع «السابقة» «يَـ» ، كما أن ثبوت النون مورفيم دال على علاقة هذا الفعل بسائر الكلمات في الجملة التي يقع فيها .

وكلمة «اضربْ» الهمزة المكسورة فيها مورفيم صوتي يدل هو وسكون الباء وحركة الراء على أن الكلمة فعل أمر للمخاطب المفرد المذكر، في مقابل «اضربي» التي تتميز بعنصر مورفيمي جديد هو الياء المحدودة المتطرفة التي حددت أن الأمر هنا للمخاطبة المفردة المؤنثة .

الكلمات السابقة جميعاً «أفعال» ؛ وتتكون من نفس المادة (ض ر ب) كلمات تحدد «علاقات» أو «مورفيمات» معينة فيها أنها «أسماء» . فـ «ضارب» يحدد اسميتها الألف المتوسطة وكسرة الراء «والتنوين» ؛ والألف المتوسطة عنصر صوتي زيد في حشو الكلمة (في مقابل الإضافات التي تلحق أول الكلمة فتسبقها ونسميها «سوابق» ، وتلك التي تلحق آخر الكلمة ونسميها «لواحق») : ثم إن «التنوين» وهو عنصر صوتي من صوت واحد، يلحق آخر الكلمة (نْ) مورفيم يدل على أن الكلمة «نكرة» ، في مقابل «الضارب» الذي يدل على كونها «معرفة» المقطع الأول (اَلْـ) الذي أدغم هنا في الضاد فصار (اَضّـ) ، وخلو الاسم من التنوين .

ثم تنماز «ضاربة» من «ضارب» بأن في الأولى علامتين «مورفيمين» تحدد أن نوعها وهو أنها اسم مؤنث ؛ هاتان العلامتان هما فتحة الباء والمقطع «تُنْ» (ـةٌ) وهو «لاحقة» .

ثم إن «ضارب» و«ضاربة» من حيث العدد «مفرد» ويقابل هذا «ضاربان» و«ضاربتان» بزيادة المقطعين الأخيرين «ـانِ» و«تَانِ» (مع فتح

---

(١) Suffix

الباء) للدلالة على التثنية مذكرة فمؤنثة، كما يقابل هذا كذلك «ضاربونَ» و«ضاربات» (أو «ضوارب») بزيادة «ونَ» وضم الباء في الأول؛ وبزيادة «ـات» وفتح الباء في الثانية، أو بإدخال المقطع «وَا» حشواً وفتح الضاد وكسر الراء (في «ضَوارِب»).

رأينا في هذه الأمثلة أن من المورفيمات عندما يكون «إضافة»[1] تلحق الكلمة ما يسمى «سابقة» ومنها ما يكون «لاحقة» ومنها ما يكون «حشواً»[2] ومنها ما يكون جزءاً من الكلمة كما في الأمثلة السابقة، ومنها ما يكون كلمة مستقلة كالضمير «هما في قولنا «هما قالتا».

وقد يتصرف «المورفيم» وهو عنصر صوتي. فـ «ليس» في قولنا «ليس محمد في الدار» عنصر صوتي وهو كلمة مستقلة؛ إنه مورفيم يدل على النفي في الماضي، وهو يتصرف فنقول: «ليست فاطمة في الدار»، و«لست في الدار»، و«لستَ. . .» و«لستِ. . .»، و«ليسَا في الدار»، و«ليستا في الدار» و«لستما. . . .» و«ليسوا. . .»، و«لسْنَ. . .» و«لستم. . . .» و«لستن في. . .».

وهذا هو الشأن في كان وأخواتها: إنها مورفيمات كل منها كلمة مستقلة وهي متصرفة.

وما يسمى في العربية «أفعال الشروع» كـ «شرع» و«أخذ» كل منها مورفيم فإنا إذا قلنا «أخذ محمد يبكي» فـ «أخذ» لا يراد بها معنى الأخذ وحده مستقلاً، ويراد من «يبكي» معنى البكاء وحده مستقلاً بل إن «أخذ يبكي» كأنهما فعل واحد للدلالة على الشروع في البكاء وكل من الفعلين يتصرف

---

(١) Affix

(٢) Infix

وحده، وقد يفصل بين الفعلين بكلمة أو أكثر وقد لا يفصل: يقال «أخذت أبكي» «أخذنا نبكي» (للمتكلمْين)، «أخذنا نبكي» (لجماعة المتكلمين)؛ «أخذتَ تبكي»، أخذتِ تبكين» «أخذتما تبكيان» للمخاطبيْن المذكرين»؛ «أخذتما تبكيان» (للمخاطبتين)؛ «أخذتم تبكون»؛ «أخذتن تبكين»؛ «أخذ يبكي»؛ «أخذتْ تبكي»؛ «أخذا يبكيان»؛ «أخذتا تبكيان»؛ «أخذوا يبكون»؛ «أخذن يبكين».

وقد يتكون «المورفيم» الواحد من عنصرين صوتيين منفصلين، وأشهر مثال على ذلك الدلالة على النفي في الفرنسية بـ. . . ne....pas . . . . فنحن نكون من هذين العنصرين المنفصلين وحدة قائمة بذاتها «فإن» "Je ne mange pas" «لا آكل» الفرنسية لها من الوحدة ما لـ "nitoimlim" في الأيرلندية.»[1].

عرّفنا حتى الآن بـ «المورفيم» عندما يكون عنصراً صوتياً (صوتاً واحداً، أو مقطعاً، أو أكثر من مقطع، أو كلمة مستقلة) يلحق الكلمات «العناصر» الدالة على «المعاني» أو «التصورات».

٢ ـ ونأخذ في التعريف بالقسم الثاني من «المورفيمات» وهي التي تتكون من طبيعة العناصر الصوتية الدالة على «المعنى» أو «التصور»، أو من ترتيب هذه العناصر الصوتية.

١ ـ والأمثلة على هذا كثيرة فيما يسمى «تبادل الأصوات الصائتة»[2]

ومن ذلك في العربية المقابلة بين المفرد وبين جمع التكسير في حالات معينة.

(١) فندريس: اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص ص ١٠٧.

(٢) Vocalic Ablaut

فنحن في جمع كلمة «رَجل» نقول «رجال» ونحن بهذا لا نضيف عنصراً صوتياً جديداً إلى المفرد، كما رأينا في أمثلة القسم الأول من «المورفيمات»: فالقيمة المورفولوجية لكلمة «رجال» يدل عليها بطبيعة أصواتها الصائتة وترتيبها مقابل طبيعة الأصوات الصائتة وترتيبها في مفردها رجل.

وهذه مجموعة من «المقابلات» بين المفرد وجمع التكسير، تتحقق فيها القيمة المورفولوجية عن طريق طبيعة العناصر الصائتة وترتيبها، لذلك فالعناصر الصائتة وترتيبها هي «المورفيمات» في هذه الأحوال:

المفرد	الجمع
جَمَل	جِمال
طِراز	طُرُز
خَرُوف	خِراف
كَبير	كِبار
كَريم	كِرَام
طِرْس	طُرُوس
شَمس	شُمُوس
بَيت	بُيُوت
قَبْر	قُبُور

٢ ـ والمقابلة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول تتم في العربية، في حالات كثيرة، عن طريق التغيير في العناصر الصوتية الصائتة ليس غير:

مبني للمعلوم	مبني للمجهول
ضَرَبَ	ضُرِب
حَسِبَ	حُسِبَ

فَتَحَ	فُتِحَ
شَدَّ	شُدَّ
وَعَدَ	وُعِدَ
قال	قِيل
بَاعَ	بِيع
دَعَا	دُعِيَ
رَمَى	رُمِيَ
سَعَى	سُعِيَ
أكرَمَ	أكْرِم
اِنْفَصَل	اِنْفُصِلَ
استَخْرَج	اسـتُخْرِج

٣ ـ والمقابلة بين اسم الفاعل واسم المفعول لا تتم في حالات إلا بهذه الكيفية ، كما يظهر من هذه الأمثلة :

اسم فاعل	اسم مفعول
مُعْطِي	مُعْطَى
مُذيع	مُذَاع
مُستخرِج	مُسْتخرَج

٤ ـ ومـن أمثلـة هذا القسـم من «المورفيمـات» في الإنجليزية هذه المقابلات بين المفرد والجمع :

المفرد	الجمع
man	men
goose	geese
foot	feet